

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/علي عبد الواحد وافي
القاهرة

محمد بن الفقي

الأهمر

وأثره في النهضة الأدبية الحديثة

الجزء الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

نشر

المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف

المطبعة المنيرية بالأزهر

الشيخ عبد العزيز البشري

المتوفى سنة (١٣٦٢ - ١٩٤٣)

نشأته وحياته

الشيخ د عبد العزيز بن الأستاذ الأكبر المرحوم د سليم البشري ، الذي ظل شيخاً للأزهر مدة من الزمان ، وكان من المتبحرين في فقه المالكية وكان إخوة الشيخ عبد العزيز د علماء وطلاباً في الأزهر ، فافتضت هذه البيئة الأزهرية العلمية التي نشأ في ظلها أن يتجه متجهها وأن يكون أحد طلاب الأزهر فألحق به في بواكير حياته ، بعد أن قضى فترة في المكتب ألم فيها بمبادئ القراءة والكتابة وأنتم القرآن حفظاً ، وظل يوالى دراسته في الأزهر حتى نال شهادة العالمية ، ولم يكبد يحصل عليها حتى طلبته وزارة المعارف وجعلته محرراً فنياً بها لما ذاع من أدبه وطار من شهرته . ثم ولى القضاء الشرعي حيناً من الدهر^(١) واختبر في مناصب أخرى حتى أصبح وكيلاً لإدارة المطبوعات فسـكرتيراً برلمانياً لوزير المعارف ، ثم عين رئيس تحرير لمجلة المجمع اللغوي الملكي ، وكان المرحوم د محمد جاد المولى بك ، مراقباً إدارياً للمجمع ، فلما نقل الثاني إلى وزارة المعارف عين د البشري « بدلامنه » وظل بهذا العمل حتى استأثر الله به في صباح الخميس الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ م

صفاته ومواهبه :

وقد نشأ رحمه الله مجبولا على حب الأدب نهما في الاطلاع ، عكوفاً على

(١) وإذ كان قاضياً بمحكمة د امباية ، الشرعية ندب لتدريس الأدب في الأزهر وكان يفد إلى درسه طلبة دار العلوم من أمثال الأستاذ د صالح هاشم ، والأستاذ د عبد الوهاب حمودة ، وغيرهما .

البيان العربي يروى نفسه من روائعه ، ويستظهر من غرره ، وقد سمعت من أهله وخلصائه الذين اندسست فيهم للوقوف على ما خفى من سيرته ، فرووا أنه عكف ليلة على كتاب الأغاني لأبي الفرج ، وكان من عشاقه المتوفرن على قراءته فظل مستغرقا في الاطلاع يضيء له مصباح نفط ، ولم يره إلا أن والدته دخلت عليه وقالت له : (أطفئ المصباح إذ لا حاجة لك به فقد طلعت الشمس) .

وكان من فتونه بالأدب أن عزف به في كثير من الأحيان عن الدروس في الأزهر أيام الطلب وشغف بالتفرغ للكتابة الأدبية يروى بها ظمأه وأقبل على الصحف الأدبية يكتب لها وهو حدث كما افقتن في صباه بحب الفن وأغرم بأهله ، رويت عن أحد خلطائه الأدباء أنه لم يفته مجلس من مجالس الطرب التي كان يقيمها المطربون في شبابه من أمثال : « عبده الحمولى ، ويوسف المنيلوى ، ومحمد عثمان ، وغيرهم ، ومع أنه من هذه البيئة الدينية التي يلزمها بجانب اللهو واللعب كان يحتال برشوة يقدمها للخدم للخلاص من القيود ، فلا يزال يحول في القاهرة ويتحسس مواقع السمر ومواطن الطرب حتى يعود مع الفجر وقد أثر في نفسه طول ماغنمه من أوقات اللذة والسرور وما استمتع به من الفن والتطريب ، فزاد في إحساسه وهذب مشاعره ، على ما نشأ عليه من رقة النفس وإرهاق الحس .

وكان البشرى حاد الذكاء ، حاضر البديهة ، صافى الذهن ، لماع الخاطر ذواقا إلى أبعد الحدود ، قوى الحس إلى درجة نادرة حقا لا يكاد يمر به شيء إلا التقطه التقاطا ، ورسمه في نفسه رسماً يخالطه مخالطة حتى يصبح كأنه جزء منه^(١) .

وكان سريع التأثر أيضا حتى لقد عرف بذلك بين أصدقائه فكانوا يتقون مواطن تأثره ويحسبون لها حسابا . وإذا تأثر بشيء لم يكذب يطيق

(١) الدكتور طه حسين في مقدمة المختار الجزء الأول .

احتماله بل يتبرم بكتمانها ، ويسعى لأحبابه وخلانها فيلقى به اليهم ويعالونهم بما ضاق به فاذا هم صفحة من نفسه ، وقسم في شعوره وحسه .

وبما امتاز به حلاوة فكاهته وحسن محاضراته وسعة اطلاعه على المجتمع وأخلاق الناس وأحوالهم وإلمامه بأسرار الجيل التي واثته من طول المداخلة وحسن المخالطة حتى إذا حدث في هذا المقام كان خبيراً بما يقول .

وقد عني عناية خاصة واحتفل احتفالاً بالغاً بكتاب الأغاني ، فقلب فيه النظر وأدمن الاطلاع عليه ، وتروى كثيراً من أدب الجاحظ وتردد على مطالعته وجرّد له جانباً من وقته ، وكان الاطلاع على الأغاني ، وكتب الجاحظ ، حبيباً إلى نفسه متسقاً مع هواه ، ترسم دأباً الفرج ، دأباً عثمان ، وتأثر بهما وانطبع على طريقتيهما وتحدث بلغتهما ، وخاصة دالجاحظ ، الذي يحيل عليه في كثير من المواطن ويشير إلى الأخذ عنه والتهدي إليه ، ويصرح في مطالع ما كتبه دالفي البخل ، بأنه قرأ كتاب البخلاء دالليإمام الجاحظ ، أكثر من مرة ويذكر حين يتحدث عن المداعبات والأفاكية بأنه قرأ للإمام دالجاحظ ، شيئاً في هذا المعنى ، وحين يصور الشيخ دالتفتازاني ، في المرأة يقول : دأنه لو نجم في عهد دالجاحظ ، أو اطلع عليه دكارليل دالخصت به الرسائل وأفردت له الأسفار ولكن أنى لنا جزالة قلم دالجاحظ ، أودقة ذهن كارليل ، لنقول في الشيخ كل ما ينبغي أن يقال فيه^(١) ،

وإذا تحدث في تمهيدته للكتابة في المرأة عن النكتة يقول دوالإمام دالجاحظ ، في هذا المعنى قول جليل فراجع إن شئت في كتابه البخلاء .

ومن تأثر بهم دالبشرى ، في طريقتهم وأولع بأدبهم وأسلوبهم دالمويلحي الكبير ، فقد كان ينهج في رسائله دالفي المرأة ، نهجه في تحليل الشخصيات دون

خدش في الأعراض أو اسفاف في الأداء^(١) .

ولم يكن ذلك وحده هو ما تأثر به من المويلحي ، فقد كان منذ شب على الكتابة يكتب إلى صحيفته الأدبية « مصباح الشرق » ، ويكلف بالمصباح الذي أصبح في الأدب العربي فتحاً جديداً وأمسى مصباحاً حقاً يهتدى المتأدبون بسناه ، بل صار أخيراً مدرسة لطلب الأدب الرفيع الجزل الطريف في هذه البلاد ، بل إن « البشري » يدل صراحة على أنه اهتدى بالمصباح في نشأته الأدبية فيقول « لست أغلو إذا زعمت أنني في مطلع نشأتي الأدبية كان مصباح الشرق عندي هو المثل الأعلى للبيان العربي ، وبهذا كنت شديد الإعجاب على قراءته وتقليب الذهن واللسان في روائع صيغته وطرائف عبارته حتى لقد كنت أشعر بأنني أترشفهما ترشفاً لتدور في أعراق وتخالط دمي وتطبع على هذا اللون من البيان الجزل السهل النافذ الطريف^(٢) .

« والبشري » نظم الشعر في شبابه وكثيراً ما نظمته في هجاء المرحوم الشيخ « علي يوسف » ونشره في جريده « الظاهر » . ولكن شعره قليل على جودته وقد استأثرت الكتابة بعبقريته فلم تدع للشعر مجالاً في نفسه ، حتى لاذت في صديقه المرحوم « حلي المنشاوي » الطبيب وهو غض الشباب جرت عاطفته بشعر نشرته « الرسالة » في حينه .

أسلوب البشري :

اتسم أدب البشري بالجزالة والفصاحة التي ترجع بالكتابة إلى العصر

(١) المويلحي الكبير هو « إبراهيم بك المويلحي » الأديب السكاتب كان من أول من اهتموا في هذه النهضة إلى الأدب العربي القديم وفتنوا بروعته وسحر بيانه ترسم الجاحظ في أسلوبه وامتاز بجزالة اللفظ ودقة الوصف وجمال العبارة وتوفي سنة ١٩٠٦

والمويلحي الصغير هو ولده السكاتب العالم « محمد بك المويلحي » صاحب حديث عيسى بن هشام توفي سنة ١٩٣٠

(٢) المختار ج ١ ص ٢٩٦

العباسى الأول ، وتجلت فى أسلوبه كثرة الترادف والآن دواج وتكرار المعنى فى كثير من صوره ، وفى أسلوبه كثير من السجع ولكنه مقبول لا يعل سماعه ولا يستكره ترديده ، على أنه يوافيك بثروة لغوية خصبة ليس بها أثر من التوعر تواتت له من غزارة مادته وسعة إطلاعه وكثرة مارواه من البيان العربى وأساليب القدماء ، وقد ظهر فى أدبه دقة الوصف وإيقاؤه حقه ولا سيما حين يصف الأشخاص كما يظهر للبطلع على مقالاته التى كتبها فى المرأة ، وقد تأثر فيها بأساليب الغرب فى تحليل الشخصية والإفاضة فى وصف الأشخاص والتسلل إلى مداخلهم النفسية فضلا عن أوصافهم الظاهرية .

وإنه ليروعك من د البشرى ، تطفنه إلى عادات الناس وأخلاقهم وشذوذهم وخواصهم البعيدة التى لا يلتفت إليها إلا الذواقون من الأدباء المرهفون حسا ، حتى إنه ليعرف الشخص فيرسم له صورة دقيقة منعطفها فيها إلى سماته الخلقية والخلقية بما يعز اكتناهه على أحد ، وهو يجرد قلبه الرشيق فيصور به كل خاطرة تخطر أو حادثة تقع أو فكرة تملك عليه نفسه .

ولقد أتيج له من مخالطة العظماء ومصادقة الكبراء وغشيانه كل مجلس وناد واقتحامه ميادين الحياة المختلفة من سياسية واجتماعية أن يلم بمظاهر الحياة فيها وأن يقف على كثير من صورها .

وكثيرا ما يتمثل بالشعر العربى الرصين فى كتابته حتى ليستفتح بالشعر أحيانا كتابته .

وما من شك فى أن أسلوب د البشرى ، كان متشدداً فى السجع واستعمال الكلمات العربية الغريبة وإن كان ذلك عن طبع منه لا أثر للتكلف والقصد فيه ولكنه حينما طلبت إليه الصحف أن يكتب لها والإذاعة أن يلتقى بها أحاديث للناس ألان حينئذ أسلوبه وطوع بيانه وقصد أن يزيد وضوحه

وإشراقه ليلاً ثم الغرض ويشاكل القصد وينتفع بأدبه خاصة الناس وعامتهم
وإذ ذاك خلف غريبه وقل سجعته وكان أنصع ديباجة وأوضح تعبيراً .

وكان من الأسباب التي ألانت قلبه وزادت أسلوبه سهولة ونصاعة
وجعلته لمشايعة الحياة أكثر قرباً ما تكاثرت عليه من مطالب الوزراء والكبراء
الذين يريدون أن يخطبوا أو يكتبوا في مناسبات اجتماعية رسمية تتطلب
التجويد الذي لا يسمح وقتهم - على الأقل - به فاضطره ذلك إلى أن يجارى
بقلبه ما يتسق مع الطابع العصري السمج ، وما يؤتم الخطيب أو الكاتب من
السهولة والإشراق .

وأسلوب د البشرى ، قريب من كل روح مداخل لكل نفس يجد كل
فيه غذاءه الروحي ومتعته السائغة .

وهو يؤتم فيما يكتب بين الكلمة العربية الرصينة والكلمة الأوربية
المستزمنة والعامية الشائعة على ألسنة العوام إذا اقتضت النكتة سوقها ، على
أنك تجد الائتلاف والالتئام بين هذه الكلمات سواء تقاربت أم تلاحقت .

د وأخص ما يمتاز به أدب د عبد العزيز ، إنه حلو سمح خفيف الروح
لا يفتن قارئه منسقة في قراءته ولا جهداً في فهمه ولا عناء في تذوقه

٨١

النكتة من مظهر

كانت النكتة البارعة من الأمور التي جبل د البشرى ، عليها وشغف
حبابها ولم يكن يستطيع مغالبتها فهي تقهره وتدفعه إلى المفاخرة بها دفعا ، وقد
اشتهر بها عند الناس حتى لا يلقونه إلا وهم يترقبون تناديه ومطايبتة بها
ويفجؤ بها الخبثاء فلا يعجز عن نكتة تقع موقع الارتياح والعجب
وتكون أبلغ من غيرهما جمالا وروعة .

يخلع جبته ليتوضأ ويضعها على المشجب^(١) فيرسم أحد الظرفاء عليها وجه حمار ويزعم أصحابه أن «البشرى» يرتج عليه من هذه المفاجأة فما أن يقع بصره على الجبة حتى يقول «من منكم مسح بالجبة وجهه؟»، وهكذا لا يعيا بنسكته ولا يغيض معينها في حادثة.

ولم يعرف أنه اغتاز لنسكته وما استغضبه إلا ما وقع بين بائعي الأكفان وبينه في طريقه إلى داره فقد كان يمر كل يوم بعالم «محل الأكفان» الذين يقول الشيخ فيهم «وجزت بهم مصبح يوم وعيناي تنضحان بالدمع من أثر رمد فأتلعوا إلى أعناقهم ورأيت البشر يشيع في وجوههم وسرعان ما تحركوا جذلين للقائى وهم يدعون الله في أنفسهم أن يجعل استفتاحى (لبناء) فصحت فيهم استريحوا يا أولاد ال فسابى والله بكاء ولكنى الرمد وكلنا والحمد لله بخير وعافية» وقطع الله أرزاقكم ولا أدخل عليكم النعمة أبداً^(٢).

وتراه يلبى داعى النسكته ويرسلها في غير تخرج في شتى المواقف ومختلف المناسبات ولا يكتمها مهما كلفته من ثمن أو حملته من تبعه.

كان «على باشا إبراهيم» قادما من الإسكندرية بالطريق الصحراوى في سيارته ليحضر مجلس الجامعة المصرية الذى كان رئيسه إذ ذاك وكان «البشرى» معه فى سيارته وقد بقى على انعقاد المجلس زمن قصير ذهب به توقف السيارة مرات متعددة لإصلاح خلل فى (سلوكها) أو ترميم فى (سيرها) وبينما الرجل مغيط محقق من التوقف والتأخير إذا «البشرى» يغادر السيارة ويقول له (لن أركب معك بعد اليوم إلا إذا قدمت لى شهادة بحسن (السير والسلوك) فيذهب غيط الرجل ويستلق من الضحك.

(١) المشجب خشبات منصوبة توضع عليها الثياب .

(٢) المختار ج ٢ ص ٢٥٦ .

دخل مآتما ليعزى أحد الناس في أحد بنيه فصفع سمعه صوت القارىء
وكان منكرا مزججا وقد أشيع حينئذ أن (الإذاعة) تختار أروا الفقهاء لإذاعة
القرآن وكان بمجلس العزاء طائفة من الكبراء والعظماء بينهم مدير الإذاعة
نخف الشيخ على مرأى ومسمع من هؤلاء إلى رئيس الأسرة المعزى وجعل
يستحلفه بالله أن (يتوه) هذا الفقيه عقب التلاوة مباشرة حتى لا يأخذ
عنوانه مدير الإذاعة ويرمى الناس به ، فقد لبى داعى النكتة دون حرج من
موقف العزاء :

والعجيب من أمر « البشرى » أنه يرسل النكتة «تضحك الشكلى وهو
عابس ليس به أثر من الضحك أو المداعبة ، فكان مجلسه نادرة في طريقه ومرجه
وكان كبراء الناس يتشبهون حديثه لما فيه من خفة الروح وحلاوة الدعابة
وروعة النكتة .

النكتة فى أدبه :

ولم تكن النكتة لتشيع فى حديثه فحسب ولكنها تنضّر أدبه الذى يكتبه
أو يلقيه فى الإذاعة أو ينشره فى الصحف ، وخاصة ما كان ينشره فى « المرأة »
فإنه ميدان فسيح لنكاته الأدبية الرائعة وطالما وضع النكتة مع صورة من
يتحدث عنه كأنما هى عنوان الموضوع ، كأن يكتب تحت صورة « حافظ
رمضان باشا » المتخيلة التى رسم فى أعلاها وجه « مصطفى كامل باشا »
« ومحمد فريد » « وجه مصطفى كامل » « وجه فريد كلاهما لازم لوقت الشغل
فقط » كما يكتب تحت صورة « إبراهيم وجيه باشا » الذى كان وزيرا للخارجية
معروفا بالمبالغة فى الأناقة والعناية بالمظهر ، على مفوضينا وقناصلنا فى جميع
أقطار العالم موافاتنا « تلغرافيا » بأخر « مودة » وكما يصور المخفـور له
الأستاذ الأكبر الشيخ « أبا الفضل الجيزاوى » ويكتب تحت صورته « الحمد
لله لم يبق لى إلا مائة ألف جنيه و ٥٠٠٠ سهم بنك عقارى قديم حتى أنقطع

إلى عبادة الله والزهد في الدنيا (١) .

وكما يصور دأبا نافع باشا ، عمدة دسان استيفانو ، بصورة ضخمة وأمامه حماره الصغير مذعوراً ويكتب تحتها د لا تخف فإني والله مخيف ، .

ولعل أحفل ما كتبه بالنسكة الأدبية هو موضوع د في الطيارة ، يتحدث عن ساقية السيارة فيقول د وإني لأسأل الرجل منهم أن يتريث فلا يسمع وإذا فعل طوعاً لرجائي أو لزجري فثانية أو اثنتين ثم عاد أجرى وأسرع بما كان وإني لأقول (ياسيدي لست مستعجلاً أمراً والله ما أنا ذاهب لاطفاء حريق ولا لانتقاذ غريق صدقني والله ما أنا ماض لقيادة الجيش في المعركة الحاسمة ولا أنا مدعو لتأليف الوزارة ولا لشراء (النمرة) الراححة في سباق الدربي كل هذا ولا حياة لمن تنادى ، حتى يقول حين أفزعه ركوب الطائرة د تعودت إذا ركبت القطار أو السيارة أن أقرأ حزب البر فإذا علوت السفين قرأت حزب البحر فمن لي اليوم بحزب الهواء ، ؟

ويتحدث في موضوع آخر عن الثقلاء الذين يزعمون الناس فيقول د يراك منهمكاً في طعامك والدهن يسيل من يديك ككتهما فيمد يده بورقة د اليانصيب ، حتى تحول بينك وبين طعامك وحتى تكاد أصعبه تفقاً العين أدى اللي فضلت ، السحب النهارده ، اللي تكسب متين جنيه ، .

ويحدثك عن شاب أنيق الملبس التقى معه فيقول قال لي د يا عم كم الساعة

(١) تنصل د البشري ، في مقدمة د المرأة ، مما كتبت عن المغفور الشيخ أبي الفضل الجيزاوي في مقالات وادعى أنه من قلم أديب آخر ، وهذا التنصل إنما هو رعاية للصلة الأزهرية بينه وبين الشيخ وبين الشيخ ووالده ، ولكن ذلك لا يغني من نسبة المقال له شيئاً وإلا فما الذي حمّله على أن يثبت في كتابه حديثاً لغيره وفيه تجريح لرجل ذي مقام عظيم على البشري أن يقدره ويحمله ؟ على أن المقال مطبوع بطابع البشري موسوم بسمه أسلوبه ناطق بأنه له وإن تبرأ منه

الآن ؟ فطالعت ساعتي وقلت له الساعة اثنتان وسبع دقائق فحسر كفه الأيسر فأنكشف عن ساعة يد ذهبية ونظر فيها وقال لا . لا . ساعتك مؤخرة أربع دقائق ، ثم خلى بيني وبينه الطريق وانطلق لطيبته وبعد أن أجلت ظني في شأنه أدركت أنه ربما كان مفتش عموم الساعات ، .

وهكذا يفيض أدبه بروائع النكت الطريفة التي تهتز لها النفوس وتطرب لها الأسماع «فالبشرى» لا يجاريه أحد في صوغ النكتة الرائعة ، وهو أكثر الكتاب المحدثين اصطناعا للنكتة البلدية يصطنعها بلغته العامية في غير تكلف ولا تحفظ ولا احتياط ، يأخذها من حى السيدة زينب أو من حى باب الشعرية فيضعها في وسط الكلام الرائع الذى يمكن أن يقاس إلى أروع ما كتب أهل القرن الرابع والثالث للهجرة ، فإذا النكتة البلدية العامية مستقيمة في مكانها ومطمئنة في موضعها لا تحس قلقا ولا نبوا ولا يحس قائلها قلقا ولا نبوا ولكنها تفجؤ القارىء فتعجبه وتملأ نفسه رضى ثم هو يحس أن الكلام ما كان ليستقيم لو لا أن هذه النكتة قد جاءت في هذا الموضع واستقرت في هذا المكان (١) .

وقد اضطر «البشرى» أن يسرق النكتة باللغة العامية الخالصة إذا أراد أن يجلو على القارى صورة كاملة من حديث قوم في مناقلاتهم ومناوراتهم وما تطارحوا من فنون الكلام ، إذ يقتضى الحديث أن يورد كما نطقوا به وبخاصة إذا كان يجرى في التعبيرات التي تشيع على ألسن الناس وتذهب عندهم مذهب الأمثال ، وإلا لو أدى بفصيح اللغة فسد الغرض واختل نظام الكلام (٢)

ولأن النكتة إذا سبكت في العربية الخالصة فقد ينضب ماؤها ويحول بهاؤها (٣)

(١) من كلام الدكتور طه حسين في الجزء الثانى من المختار .

(٢) من كلام البشرى في مقدمة « فى المرأة » .

(٣) البشرى في المختار ج ٢ ص ١٢٠ من حديثه عن النكتة .

هذا هو الذى حدا بالبشرى أن يسوق النكتة بالعامية ، ولم يكن الدافع له عجزه عن العربية الفصيحة وهو أبو عذرتها وابن بجدتها ، وهو أحد الذين ردوا إلى الأدب العربى فى النهضة الحاضرة قوته وجزالته . وكان على جانب عظيم من معرفة اللغة العربية والتضلع فيها ، حتى ليفيض أدبه بثروة لغوية خصبة ، ويقتدر على التعبير عن كل ما يريد بأفصح لغة وأبلغ تعبير .

آثاره الأدبية :

المختار :

هو مجموع ما نشره فى الصحف وما حاضر به وألقاه فى الإذاعة مما أبدعه أسلوبه وافتن فيه بقلبه ، فكان آية فى إشراق الأدب وغازاة البيان وفصاحة العبارة ، وسعة الأفق ، ضم هذا الكتاب صور آمن الأدب الرفيع يعزسها على غير يراعه والحق أن « المختار » كما يقول الأستاذ « خليل مطران بك » فى مقدمته للجزء الأول متحف حافل بالمفاخر وكل طريقة من طرفه جديرة بأن تطالع فى تدبرورية .

أما الجزء الثانى فقد كتب فى مقدمته عميد الأدب الدكتور طه حسين بقلبه الرشيق وأدبه العذب فزاد فى بهائه وأعلى من مكاتته ، والجزءان مطبوعان طبعا مصقولا مهذبا .

فى المرأة :

يضم هذا الكتاب ما اختاره « البشرى » ، مما كان ينشره فى مجلة السياسة الأسبوعية مع جمهرة أخرى من القطع الأدبية الساحرة التى دمجها قلبه المبدع والكتاب يتضمن صوراً دقيقة لعظماء مصر وكبرائها وساستها وعيونها ، رسمها بريشته التى يعيا المصور عن توضيحها كما أوضح وانطاقها كما أنطق ، فقد تدسس على جميع ما يختص بهؤلاء الناس فوصف نفوسهم وطباعهم وشرح

أخلاقهم وعاداتهم ، وتفطن إلى مواطن الشذوذ فيهم واكتنه ما خفى من أمورهم حتى على المتصلين بهم ، فكان نفاذاً في وصفه بارعا في تصويره ولم يدع شيئا مما يتصل بهم وبخلقهم وخلقهم إلا وقد أنطقه وجلاله بأوضح بيان كل ذلك بأسلوب مرح خلاب ، وعبارة جزلة فصيحة وبيان مشرق منطلق ونسكتة أخاذة تثير العجب والطرب .

وقد كان لما يكتبه «البشرى» ، في هذه المراتى ، أكبر الأثر في نفوس الناس وكانوا ينتظرونها ويخشى كل عظيم أن يكون في مرآته ، وإذ يكتب عن كبير أوذى شأن فإنما يمنحه الرفعة ونباهة الشأن أو ينزل به إلى مكان سحيق ويدعه مضغة الأفواه وحديث الألسن .

وقد وضع لكل شخص يتحدث عنه في هذا الكتاب صورة متخيلة ، ولا يخلو الحديث عن واحد من الذين تناولهم في المرأة من نكتة بارعة يلصقها به فتسير وتذيع وتناقضها الأفواه .

وقد نسج على منواله كثير من الأدباء فكتبوا مرأى مختلفة نهجوا فيها نهجه في التحليل ، ولكن شتان بين ما كتبوا وما كتب .

كتاب التربية الوطنية :

وللبشرى كتاب في التربية الوطنية تناول فيه موضوعات مختلفة تتصل بالوطن وشؤنه والتربية وفنونها ، وأسلوبه في هذا الكتاب ناصح يبين الموضوع في وضوح وسلاسة .

آثار أخرى :

واشترك بتكليف من وزارة المعارف في تأليف كتاب «المفصل في تاريخ الأدب العربى» وهو جزءان و«المنتخب من أدب العرب» وهو جزءان أيضاً ، والمجمل في الأدب العربى ، لطلبة المدارس الثانوية ، أسهم في هذه الآثار الأدبية وهى ذات قيمة وأثر ملموس لما نشرته من الأدب في تحقيق دقيق صيغ بأسلوب سهل فصيح .

والبشرى أيضا كتاب «القطوف» ، وهو مجموع مقالاته التي نشرها في الصحف وألقاها في الإذاعة مما لم يطبع قبل ، والقطوف لا يزال غير مطبوع

* * *

نماذج من أدبه

ما أذاعه عن (الراديو) المذياع كما يصفه أعرابي قادم من البادية .
وأقبل على صاحبي يعرف لي الرجل قال إنه من إحدى بوادي نجد وهو يتنخس في الدواب (١) على أنه لم تهبأ له رؤية الحضر من قبل بل لقد كان يرسل على إبله وخيله إلى مصر وغير مصر ولده وبعض معشره ، ثم بدا له أن يفد معهم هذا العام ليشهد عيش الحضر قبل أن يدركه الأجل ، ووافق مقدمه حاجتي إلى بعض الجياد وسألته أن يقيم عندي ما أقام في مصر لما رأيت من ظرفه وخفة روحه ولطف حديثه وحسن بديهته .

ولقد بعثت (الراديو) ذات عشية في حضرته فارتاع رشده ، وذهب الرعب بلبه كل مذهب ، ثم اطمأن صاحبي فترة قصيرة وقال وعلى الشيخ عدلان أن يقص بقية الحديث والتفت إلى الرجل وسأله أن يتكلم فتعذر وتمنع فعزم عليه الا تكلم فأكرم الضيف وأوماً إلى .

تنخح الرجل وسعل سعالاً رقيقاً ثم أنشأ يتحدث في طهجة بدوية كثيراً ما كان يلتوى على فيها اللفظ فيسويه لي بعض من حضر .

سيداتي سادتي

الآن أنقل إليكم حديث ذلك الأعرابي بعد أن علقته وقيدته بقدر ما واثاني الجهد ، فان كنت قد عاجلته بعض العلاج ففي شيء من الصياغة بتقويم

(١) يتنخس في الدواب يتاجر فيها

ما لا يستقيم في آذاننا من لهجة أولئك الأعراب قال
دعاني صاحبك ذات عشية الى أن أصدع اليه ، فلما استوينا في مجلسنا
من احدى الغرف أو ما الى ركنها فحوت بصرى فإذا دمية (١) من خشب
بتر ساقاها فأقعدوها على منضدة لها أنف صغير ولها أذنان دقيقتان وقد
توسط ما دون الجبين عين لها وعجابه — واحدة تمزقت حدة فتناثرت
في بياضها تناثر أكارع النمل على صفحة الرمل ، ولها فم — يا حفيظ — قد
استهلك نصف وجهها مشجوه بديباجة من حرير وليتهم سدوا عليه مسامير
من جديد ، وما أحسب والله. هذه الدمية إلا صنعت على صورة الجن لم
تطبع على صورة انسان .

ثم قام صاحبك اليها فحرك أذنهما ، وسرعان ما أحدث حدة فتناثرت فاستعذت
بالله من الشيطان الرجيم ، ثم سمعت لها حسيسا (٢) ما لبث أن استحال
زمزمة (٣) وهمهمة (٤) نخلت والله أن الأرض قد زلزلت على وأحسست
قلبي يتمشى من الروح في صدرى حتى يصك حنجرتى ، فجمعت ثوبى للهرب ،
فجذب صاحبك فضل ردائى ولو قد أطلقنى ما أصبت المهرب ، فلقد تخاذلت
عنى ساقاى ، وأظلم ما بينى وبين وجه الطريق وجعلت ألتمس آية الكرسي
أستعصم بها من هذا الشيطان فأذهبها الرعب عنى وكأنى لم أحفظ منها فى
دهرى الأطول إلا كلبة واحدة ، ولما رأى صاحبى ما بى قال لى خفض
عليك يا شيخ ، فقلت وهذا العفريت — قال لن ينالك منه مكروه إن شاء
الله ، فلقد قيدوا ساقه وشدوا وثاقه ، فما يجد له من اساره فكاكا ، ولا
يستطيع فى محبسه حراكا ، قلت — أفيستن سليمان المردة فى مقام نحاس أو
من ذهب ، وأتم لاتبالون أن تسجنوها فى جماجم من خشب ؟

(١) الدمية بضم الدال وسكون الميم — الصورة المزينة والمراد بها هنا تمثال

(٢) الحسيس — الصوت الخفى

(٣) زمزمة هى ضجيج الرعد وصوت النار فى الوقود

(٤) همهمة — بفتح الهاتين مصدر همهم الرعد سمع له دوى

طرب

وبما كتبه بهذا المعنى

غنانا د صالح ، ولست أدري أكان مغنيا يرسل الصوت فيقع حقا في
الآذان ، أم ساحرا يتلعب باللبابنا فيخيل إلينا أنا في الجنان ، تتمايل على النسيم
بين الآس والريحان ، ونسمع من شدو القمارى على أيكها أبداع الأنغام
وأروع الألحان .

حدثنى يا فتى - أى روض جاز به صوتك قبل أن يبلغنى ، وكم نسمة
اختلطت به مما نفت فيه صب مشوق ، وحمل عاشق من زفرات كبده الى
معشوق ، حتى أخذ فينا كل هذا الأخذ وفعل بقلوبنا كل هاتيك الأفاعيل .
آه - وفى آه لذة وألم ، وفيها برء وسقم ، وفى آه راحة وهناء ، وفيها يأس
وفيها رجاء .

أشاك أنا أم شاك ، وضاحك أنا أم باك ، وراض أم غضبان ، وسال أم
ولهان وناعم أم بائس ، وراج أم آيس ؟
قد غرنى أمرى فسلوا صوته ونبتون .
يا ليل وما عساك تبغى من الليل ؟ لقد نام الخليون ، هنيئا لهم ، وأمعنوا
فى المنام .

نعم ، إن فيك يا ليل عيوننا تسيل بالدم شئونها ، وإن فيك يا ليل جراحات
تفيض بالدمع عيونها ، وكم فيك يا ليل من فؤاد تحلل نسما ، وكم فيك يا ليل من
أكباد تطايرت حسما ، هذا عان يشكوا بثه وحزنه وأساه ، وهذا صب يبثك
وجده وجواه ، وهذا مشدوه لا يتخذ الرفيق إلا من بين كواكبك ونجومك
وتلك والهة لا تجد الأنس إلا فى وحشتك ووجومك .

(٤ - أزهرك ثالث)

إن تحت الضلوع عواطفتين من طول احتباسها ، أطلقها (يا ليل) تخرج
أنفاسك بأنفاسها ، أطلقها تملك الجو عليك طربا وشدوا ، وتملأ هذا الهواء
تحننا وشجوا ، ففي العواطب بلبل وكنار ، وفيها يا ليل فاخت وهزار ، أطلقها
بالله يا ليل لتغنى الثريا وتشكو وجدها لسهيل

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قت منتهضا . بثقل ما حملوني في الهوى قعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبهم بين الجوانح لم يشعر به أحد
يا عين — وقل يا عين حقيقة أردتها أم مجازا ، ورجعها صبا غنيتها أم
أم حجازا ، فإنه :

هوى بتهامة وهوى بنجد قد أعيثنى التهاشم والنجد
غن يا فتى غن ، فالله أكرم من أن يثير هذا كله في صدور الناس ويحرمهم
غنائك يا صالح .

* * *

الشيخ

ومما كتبه في المرأة بعنوان « الشيخ » :
صديق أو غير صديق أوهما معاً ، الأستاذ الشاب أو الكهل أو الشيخ
أوكل أولئك في وقت واحد . الشيخ أو السيد فلان :
وأنا أشهد أنه ما اطلع على مجلس إلا حللت له الحبوة (١) ولا جلس إلى

(١) الحبوة - احتبي بالثوب اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها
والاسم الحبوة ويظم .

إلا أثرته بتكرمي ، ولا أرسل يده إلى إلا أسرع بتقييلها ، لأنني أرى في الشيخ عظيما وإن لم ير غيري أن فيه عظيما .

هو شيخ طريقة وهو على صداقته وملازمته لشيخ مشايخ الطرق لا نرى على ما يزعم شائوه لطريقته في سجلات مشيخة مطرق الصوفية عينا ولا أثرا .

ثم هو رجل جمع بين أقصى مطالب الدنيا وأقصى مطالب الدين فتراه كما يظهر الأصيل في حلقة الذكر يظهر العشاء في بار (ارستومين) .

ثم هو سعيدي وعدلي وحر دستوري وحزب وطني واتحادى ومحادي ومستقل وغير هؤلاء جميعا .

ثم هو لا يفتر عن أداء حقوق القصر ولا يني عن التواني في كل موسم لدار الوكالة الإنجليزية ولا يترك جريدة السياسة إلا إلى بيت الأمة .

ثم هو يحسن العربية ويحكم الإنجليزية فلا تعرف أن كان غريبا مستشرفا أو شرقيا مستغربا .

ثم هو مصرى وفي الوقت نفسه مطاف الجالية الفرنسية في مصر يتحدث عن أمورها ويدلي بمهمتها في هذه البلاد فلا تعرف أن كان عربيا مستعجبا أو عجيبا مستغربا ثم هو إذ تقصيت أصله وقصصت منشأه ومنجمه رأيت من المنوفية ومن الشرقية ومن البحيرة ومن الدقهلية ومن القليوبية ومن الجيزة ومن المنيا ومن أسيوط ومن جرجا ومن قنا ومن هؤلاء جميعا ، وهو يلاغى بلغاهم جميعا فترى في لسانه حديث أهل البحيرة وجشوبة (١) منطلق أهل الصعيد فتسمعه إذا نادا (محمدآ) قال (يا محم) وإذا عبر عن الفهم قال (الحشم) .

هو ولا شك عصبية أمم تجول في قفطان وجبة .

(١) جشوبة هي الغلظة والحشونة ،

وإذا حضر في هذا المقام أن الشياطين تتشكل ، فلا يذهب عنك أن
الملائكة كذلك تتشكل وأن أولياء الله يتشكلون وللأقطاب والأبدال في
التشكل أحاديث طوال . (١)

وإذا كنا نحتفل في هذه الدنيا بشخصية واحدة وتتخذها موضع الحديث
فكيف بسبع وثمانين شخصية قوية اتسقت كلها لرجل واحد .
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

* * *

(١) الأبدال الزهاد (أساس البلاغة) وفي القاموس (الأبدال قوم بهم يقيم
الله عز وجل الأرض وهم سبعون : أربعون بالشام وثلاثون بغيرها لا يموت
أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس) كذا .

أزهريون لغويون أدباء

عنى الأزهريون باللغة (أو أكثرهم) فيما عنوانه من أصول النهضة الأدبية عناية بالغة فتوفروا على دراستها وجدوا في معرفة خفاياها وأسرارها ومن مظاهر عنايتهم بها دراستهم علم الصرف فما هو إلا تصريف للكلمات اللغوية وبيان ما فيها من إعلان وقلب وحذف وغير ذلك .

ثم هم قد أكبوا على دراسة غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وغريب الشواهد العربية وأطالوا البحث في الوقوف على المعاني اللغوية في الأدب العربي بمختلف فنونه ، فلذلك هم يقلبون مجفوات ما يرونه من الألفاظ اللغوية للوقوف على معانيها المختلفة ، بل هم ينحون إلى اللغة في غير علومها فتراهم يذكرون بصدد المصطلحات العلمية في شتى العلوم معانيها اللغوية ويستطردون في شرحها ، وترى الشروح والخواشي تتغالى في بيان مدلولاتها والإفاضة فيها .

ومن مظاهر عنايتهم باللغة أيضا تصحيح كتبها ، وتحرير معاجمها وقواميسها وتناولها بالنقد والتعليق ، والتوسع في ذلك .

علاقة اللغة بالأدب :

وغير خاف ما بين علم اللغة والأدب من وشيخ الصلة ، وما يتطلبه الأدب والإضلاع في اللغة والغوص في أسرارها ، فإن ذلك يعين على شرح غريب الأدب من شعر أو نثر ، ويمكن من تفسير غامضه ، وتجليه مبهمه ، وقد درج المؤلفون في علم الأدب العربي ، المتبعون نهضته في مظاهرها المختلفة أن يتحدثوا عن اللغة واللغويين ، وأن يتقصوا بالدراسة آثارهم ، لما بين اللغة والأدب من شديد التآخي .

وقد تحدث ابن خلدون ، في مقدمته عن علاقة اللغة بعلم الأدب فقال

« هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر على الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية (١) » .

على أن هؤلاء الذين نعقد لواء هذا البحث لهم وتحدث في هذا الوضع عنهم ، لم تكن اللغة وحدها مناط نبوغهم ، وبجال تبريزهم ، والسمة التي استموا بها وحدها ، فهم أدباء مبرزون ، وأعلام في البيان مجلون ، وما فيهم إلا من هو شاعر معروف أو كاتب مشهور ، إلا أن النزعة اللغوية ظهرت في أديهم وغلبت على آثارهم وكانت لهم باللغة شهرة وفي ميدانها سبق ومن ثم أفردناهم بعنوان وخصصناهم ببحث — وقد جعلناهم بين الكتاب والشعراء لما أنهم واسطة العقد تتنازعهم الناحيتان ويشرف بهن الفنان معا .

هذا وقد سبق لنا الحديث عن جمهرة من المضلعين في اللغة العربية وعلومها فيما هو بعنوان « الأزهر والتصحيح » ، لما أن تصحيحهم الكتب والصحف كان أظهر آثارهم .

وستترجم لأشهر اللغويين الأدباء مبينين فضلهم على النهضة الأدبية وآثارهم اللغوية ، مرتبين الكلام عنهم حسب وفاتهم .

* * *

الشيخ حسن قويدر الخليلي

المتوفى سنة (١٣٦٢ هـ - ١٨٤٥ م)

نشأته وحياته :

هو « حسن بن علي قويدر » كان مولده بمصر سنة ١٢٠٤ هـ وأصل أسرته من المغرب ، استوطن أحد أفرادها « الخليل » من بلاد فلسطين واشتهرت ذريته هناك بالمغاربة ، ثم نزح منها إلى مصر ، والده « علي » في تجارة وأقام بها ، ووهب المترجم فلما بلغ أشده ألحقه والده بالأزهر لطلب العلم فيه ، فتلقى العلوم والآداب على كبار شيوخه وجله أساتذته من أمثال الشاعر النائر « الشيخ حسن العطار » والشيخ « إبراهيم الباجوري » فخرج عليهم في اللغة وعلومها والآداب وفنونه ، ولا سيما الأول الذي كان من أبنه الأزهرين في الأدب شأننا وابعدهم في فنونه صيتا ، وكان « لقويدر » رغبة فطرية في الأدب وهوى للغة وعلومها ومعرفة خفاياها واكتناه دقائقها فبرع في ذلك وجود وانشأ الفصول ونظم الشعر وحرر الرسائل ودارت بينه وبين كتاب العصر محاورات ومراسلات وأمه الناشئون من عشاق الأدب والشعر فأفادوا منه ونشروا فضله .

ولم يعرف أن « قويدرا » شغل منصبا أو زوال عملا حكوميا ، ويظهر أنه كان عزوفا عن الوظائف وقيودها فلم يسع لها ، وربما واثقه دون عناء لو انصرف لها ، ولكنه كان يتجر فيما أورثه والده من المال شركة مع بعض السوريين الذين كانوا يرسلون إليه بضاعة سورية ويرسل إليهم أخرى مصرية .

ولم تكن التجارة لشغله عن العلم والآداب ، فنال منهما حظا وافرا وأعطاهما فراغ وقته فصنف الكتب وشرح المؤلفات ،

وكان رحمه الله جوادا سخيا يبذل كثيرا مما يفد اليه من ربح تجارته
الوارقة الظلال كما كان عفيفا أميناً يرعى الود ويصون لسانه عن الخوض
فيما يؤذى الناس ، اللهم إلا إذا استفزه الدفاع عن نفسه ، فإن له اذ ذاك
لشأنا كما فعل مع «عاقل افندى» ، في رسالة «الأغلال والسلاسل» ،

وقد كانت وفاته في شهر رمضان سنة ١٢٦٢ هـ فرثاه الشعراء وبكاه
الأدباء ومنهم تلميذه الشاعر المشهور «محمود صفوت الساعاتي» الذي زعموا
أنه رأى «قويدراً» في منامه قبل وفاته بثلاث ليال ميتاً فانتبه قائلاً :-

رحمة الله على حسن قويدر فحسب جعلها فكان تاريخاً لسنة وفاته (١)
٢٢٠ ١١٨ ١١٠ ٦٦ ٦٤٨

والساعاتي هو الذي رثاه بقوله :-

بكت هيون العلا وانحطت الرتب ومزقت شملها من بعدك الكتب
ونكست رأسها الأقلام باكية على القراطيس لما ناححت الخطب
ويقول فيه أيضاً :-

قالوا قضي حسن المناقب فارثه فأجبتهم ومدامعي تتحدّر
لا أستطيع رثاء من لمصابه أضحي لسانى في فني يتعثر

نثره

نثر الشيخ «حسن قويدر» مجرى مجرى الصنعة ويبدو عليه أثر العمل
والتكلف ويلتزم الجناس فلا يفلت منه ، وليس بعجيب أن يكون أدبه
كذلك وأن يكون طابعه الزخرف والطلاء ، وقد كان ذلك أدب العصر
وطريقته الملتزمة على أنه تلميذ «الشيخ حسن العطار» وثمره من ثماره وكان
«العطار» أستاذه ممن يلتزمون السجع في رسائلهم ، ويولعون بالصنعة في
كتابهم ، وكتاب «انشاء العطار» على ذلك شهيد

(١) أعيان البيان للسندوبي ص ١٨

ولكن «قويدراً» رغم متابعتة للعصر ومسايرته لاستاذة غير ممن في التعقيد ولا مفرط في الاستغلاق ، بل إن نثره أقرب — على قيوده وتكلفه إلى الوضوح والرصانة .

نموذج من نثره

ومن نثره ما قاله في خطبة شرحه لكتاب

«ومن شغفى بتلك العرائس الخواطر ، حملتني بواعث الخواطر على أن أكتب عليها شرحاً وأبني على دعائهما صرحاً ، وأشد نطاق البلاغة لها كشحاً فوقفت على أقدامى متردداً في تأخرى وإقدامى وشددت نطاق العزم وتقلدت بصارم الحزم ، وقومت سنان يراعى ، وبسطت في حومة هذا الميدان باعى وانى لأرى التوفيق يقوم أمامى — والعناية تقود زمامى ،

شعره

شعر «قويدر» يميل إلى الزخرف والطلاء ولكنه يتفاوت قوة وضعفاً حسب اغراقه في التكلف أو لطفه في تناوله « وكلما كان أكثر تعاملاً كان أكثر تعقيداً وهو غير ملتزم بطريقة واحدة ولا نهجاً واحداً .

فمن شعره الذى يميل إلى السهولة ولا يغرق في المحسن والصنعة ، ما قاله ناصحاً .

يا طالب النصيح خذ منى محبرة	تلقى إليها على الرغم المقاليد
عروسة من بنات الفكر قد كسيت	ملاحة ولها فى الخد توريد
كأنها وهى بالأمثال ناطقة	طير له فى صميم القلب تغريد
احفظ لسانك من لفظ ومن غلط	كل البلاء بهذا العضو مرصود
واحذر من الناس لا تركز إلى أحد	فالخل فى مثل هذا العصر مفقود
بواطن الناس فى ذا الدهر قد فسدت	

فالشر طبع لهم والخير تقليد

هذا زمان لقد سادت أراذله قلنا لهم هذه أيامكم (سودوا)
ويقول في شرحه على منظومة «القطار» ،

منظومة الفاضل القطار قد عبتت منها القلوب برىا نكهة عطره
لو لم تكن روضة في النحو يانة لما جنى الفكر منها هذه الثمرة
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها والليل داج أرانا وجهه قره
قالوا جواهر لفظ قلت لا عجب بحر البلاغة قد أهدى لنا درره
فأنت ترى أن تخفيفه من المحسنات البديعة اكسب شعره طلاوة ، ولم
ينفر الذوق منه أو تتصرف النفس عنه .

وبما قاله وأسرف في الجناس فيه قوله

فشمر الغصن عن الساق وقد جرد سيفاً لرقابهم وقد
وقال جرى بكلامكم وقد أنا الذى أشبه أعطافاً وقد
أحملكم وتجهلون قدرى

(فقد) دارت كلمة (وقد) في هذه الأشطر خمس مرات بالواو وبغيرها
فكانت حرفاً مقروناً بالواو في الشطر الأول ، أما قوله «وقد» في الشطر الثانى
فيحتمل أن يكون اسماً بمعنى النار واقعاً صفة لسيفاً أى سيفاً وهو النار لرقابهم
وأن يكون فعلاً بمعنى اتقد أى سيفاً اتقد ، وقوله بكلامكم (وقد) محتمل
أيضاً المعنيين أى جرى نار أو اتقد وقوله في الشطر الرابع أشبه أعطافاً وقد
جاءت فيه هذه الكلمة على معناها الحرفى مع الاقتران بالواو ، وقد الأخيرة
جزء من قدر المضاف إلى ياء المتكلم .

فقد أرهق الشاعر نفسه وشعره بهذه الكلمة التى وضعها خمس مرات في
خمس أسطر وضعاً مختلفاً فيه تهافت عبث بالمعنى وعقده ، وتكلف ذهب
بجمال الشعر وأفسده .

ولقويدر مزدوجات أفن في صياغتها وبرع في نظمها إلا أنها محتملة كثيراً

من التكلف موسومة بالنزعة العلمية في غير موضع ، ومنها قوله :
رأيت بدرا فوق غصن مائس يخطر في خضر من الملابس
ويسحر العقل بطرف ناعس وهو بشوش الوجه غير عابس
كأن ماء الحسن منه يجرى
خاطرت لما أن رأيته خطر وحار فكري في بهاذك الحور
وقلت لا والله ما هذا بشر ومن بشمس قاسه أوبقمر
فليس عندي بالقياس يدري

وكلمة القياس هنا من مصطلح علم المنطق الذي تأثر الشاعر به .
فلفظه العذب لقلبي قوت كأنه الدر أو الياقوت
وسحره إلى السهى (مبثوث) يعجز عن مثاله هاروت
وهو الحلال من صنوف السحر
الحسن شيء ماله ميل وكل وجهه حازه جميل
والنفس دائماً له تميل وصاحب العزله ذليل
في قيد أسر نهيه والأمر

والنهي والأمر كلاهما من مصطلح علم النحو كما ترى ، وشعره متفرق لم
يجمع في ديوان .

آثاره العلمية والأدبية :

للشيخ د حسن قويدر ، آثار لغوية قيمة ومؤلفات أدبية جلية ، غير
أن كثيراً من هذه الثروة القيمة لا يزال مخطوطاً لم يطبع وكثير منها عبثت
به الأيام فحرمت الانتفاع به الأفهام والأقلام — ومن أهم هذه المؤلفات :

نبيل الأرب في مثلثات العرب :

وهو كتاب جليل جمع فيه المؤلف ما يثلث من الألفاظ العربية بالحركات
نظمه في أرجوزة حسنة السبك محكمة النظم يقول في مطلعها :

يقول من أساء واسمه حسن لكن له ظن بمولاه حسن
فكم لمولاه عليه من منن بالعد لا تدخل تحت الحصر

وهي سهلة الحفظ واضحة غير معقدة وبها مشها فوائد قيمة فيها غنية لكل
أديب ؛ طبعت بمصر سنة ١٣٠٢ وفي صدرها ترجمة للمؤلف بقلم الأستاذ
« محمد فني » ، وترجمت هذه المثلثات إلى اللغة الإيطالية بقلم « فيتو » المستعرب
وطبعت الترجمة في بيروت (١)

ويقول في مقدمتها :

جمعت فيها الكلمات اللاتي تكون في الشكل مثلثات
أبدأ بالمفتوح ثم آتى بالضم لكن بعد ذكر الكسر

ثم يقول :

رتبتها كمعجم على الولا معتبر اللباب حرفا أولا
بذا أتت غريبة في الوضع يعشقها كل رقيق الطبع
وعدد أبياتها ٢٢١ بيتا .

ومن مؤلفاته شرح منظومة العطار :

وهي منظومة نظمها في النحو أستاذه الشيخ « حسن العطار » ، وقد شرحها

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ٤ ص ٢٩٨

هو شرحاً دقيقاً قيماً ، والمنظومة مشهورة يتداولها أبناء الأزهري .
وله كتاب يسمى « زهر النبات في الانشاء والمراسلات » غير مطبوع .
وشرح على مزدوجته البديعة غير مطبوع أيضاً ويقال إنه كان واقعاً في
مائة ونيف كراسة ذهبت بها الأيام^(١) .
هذا عدا شعره المتفرق ومزدوجته المطبوعة المتداولة بين الأدباء .

الشيخ عبد الهادى نجا الإييارى

المتوفى سنة (١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م)

نشأته وحياته :

هو « عبد الهادى ، بن « السيد رضوان ، نجا الإييارى نسبة إلى « إييار ، لإحدى قرى الغربية الشهيرة ، ولد بها سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م وما أن تعلم القراءة والكتابة حتى دفعه هواه إلى المطالعة والدرس ، وكان والده أحد علماء الأزهر وفضلائه فلما تنسم ذلك الميل فيه شرع يلقنه العلم ويعبد له طريق الأدب وعلوم العربية فبلغ منها فى زمن يسير الحظ الموفور وقد حدث المترجم أنه حضر على والده (فى الحديث الجامع الصغير والبخارى والمواهب وفى التفسير الجلالين ، وفى الفقه إلى المنهج ، وفى النحو إلى الأشمونى ، وفى الفرائض والتوحيد وغيرها جملة ^(١) .

وألقنه والده بالأزهر فتلقى علومه على الأساتذة الفحول أمثال الشيخ « محمد الباجورى ، والشيخ « محمد الدمهورى ، والشيخ « محمد عليش ، شيخ المالكية وغيرهم .

وقد نبغ فى سائر العلوم الأزهرية من دينيه ولسانية ، وكان دائماً الجسد موصول الاطلاع لا يشغله عن التوفر على العلم شاغل حتى ذاع صيته وتحدث الناس بعلمه وأدبه وفضله ، وأنهى إلى مسامع الخديو « اسماعيل ، علو شأنه فاستقدمه وأثنى عليه وعهد إليه فى تعليم أنجاله خاصة وفيهم « توفيق ، فتقفهم وعلمهم الآداب العربية ، وأدى ما كلف القيام به أبلغ أداء .

ولم يكن ذلك ليصرفه عن التدريس فى الأزهر ومجالس العلم والأدب

(١) الخطط التوفيقية ج ٨ ص ٣٠ .

يعقدوها في بيته ويأوى إليها النابهن من كان لهم بعد شأن ، يذكر كالشيخ
« حسن الطويل » والشيخ « محمد البسيوني البيباني » .

ويؤخذ مما كتبه في بعض رسائله أن الود بينه وبين « اسماعيل
صديق باشا » الشهير « بالمفتش » لم يكن ثابت الدعائم ومن ثم ألقى في نفس
الخديو ما أغضبه فأوعز الخديو إلى بعض خاصته أن يكتب إليه ليرحل عن
القاهرة ، فأقام ببلده حتى نكب « اسماعيل صديق » فعاد الخديو فاستدعاه
وغمره بفضله .

ولما ولي الخديو « توفيق » عرش مصر بعد « اسماعيل » لم ينس فضل
أستاذه عليه فأدناه منه وقربه إليه وأجله وأحله رفيع المكانة وأقامه للهيئة
مفتيا وإماما ، فظل كذلك حتى استأثر الله به .

مواهبه :

عرف الشيخ « عبد الهادي نجا » في عصره بغزارة العلم وسعة المادة
والتبحر في اللغة وعلومها ، حتى كان ثقة يرجع إليه في حل المشكلات (١) .

وهو إلى جانب هذا (الشاعر الناثر الحافظ الماهر (٢)) .

وقد طارت شهرته في العالم العربي كله فدارت المكاتبات والمراسلات
بينه وبين العلماء والأدباء والشعراء من أمثال الشيخ « الأحمد » والشيخ
« أحمد فارس الشدياق » والشيخ « ناصيف اليازجي » وغيرهم .

وكانت له أياد غر وأقلام حداد في فنون الأدب العربي تذكر له بالشكر
وتؤثر بالثناء (٣) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٨ ص ٢٩ .

(٣) أعيان البيان للسندوبي ص ٢٢٤ .

نشره

مسرف في التكلف مولع بالصنعة مفتون بالزخرف والطلاء حريص على السجع مفرط فيه مترصد له يجتهد في حشد المحسنات البديعة ولو نبأ بها الكلام ومن ثم مال أسلوبه إلى الإغراب وجنح إلى التعقيد وربما ضلت الفكرة في ثنايا ما تهالك عليه من هذا العمل ، ولو أنه ارتضى لنفسه السهولة والوضوح وآثر البعد عن ذلك التكلف أو مسه برفق لكان له من غزارة مادته ومن كرم موهبته ما يسمو به إلى مصاف الكتّاب البارزين الذين تراح النفوس لأدبهم ، ولكنه أغرق في مجارة العصر وغالى في متابعتة .

فمن نشره ما كتبه إلى الشيخ «الأحدب» ،

«السيد حفظه الله شيخ الأدب ، وفارسه الذي من خطاه في حلبيته فقد أخطأ وأساء الأدب ، كيف لا وهو الذي بنى قصوره وشيدها ، وبين معالمه بعد الاندراست وجددها ، ورفع في سبيل البيان مناره ، ونصب أعلامه ابتداء ورفع أخباره ، وجلى عرائسه للخطاب من الخطبا وأبرز خرائده من الخدور أترابا عربا وتحمل بتفصيل ما أجمل من جملة ، وتفضل بتبيين ما تشابه منه توضيحا لسبله ، واستخرج من معدنه إبريزه فصفاه ، واستنتج ما ترشحت به العضلاء عن نتائج قضاياه ، اذ تمكن من تصريف رياح المعاني فهي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، وتميز من بين سادة العصر بأنه من أئامه الله الحكمة وفصل الخطاب فتي فاه فاح عرف الحكم ، ورأيت لسان الحال له بالتفرد في لسان العرب قد حكم .

... إلى أن قال وبعد

فما هذه الرسالة البديعة المثال البعيدة المثال ؟ اللآلئ في نخب حور أم كواكب مشرقة في ديجور ، وحدائق أزهار ، أم رقائق أشعار ، ومغانى كواكب أتراب ، أم معاني فرائد آداب ، وثغور باسمه عن جمان ، أم زهور بديع في رياض بيان ؟ ... الخ

ومن رسالة كتبها الى «السيد الحلواني» ،
سیدی ما الذى أوجب تناسيك لحبك الذى لم ينس لعهدك ، والذى
لا يزال على ممر الأيام يرقب إلك ويرعى ودك ، وما الذى توهمته فى صديقك
الفقير الصادق ، حتى قطعت صدقات رسائلك عنه ، وهو بها وامق وبك
واثق سیدی ما هذا التجنى ، والاعضاء عنى ، سیدی ما لعرائس كتبك عنى
استأخرت ولأوانس فضلك منى استنفرت ، وأنى بهالرهوف ، شغوف ،
بحسنها الشغوف .

فأنت ترى أنه حريص على الجناس حتى ليحتال عليه ليوقعه فى
الكلمتين المتجاورتين مع تهافته على الطباق ، وتصيده ما استطاع من المجاز
قبل أو نبا وتهالكه على الاستعارة ولو مجها الذوق كقوله فى الرسالة الأولى
تمكن من تصريف رياح المعانى وهو أيضا كثير الاقتباس من القرآن ليحلى
به رسائله وتدور فى كتابته المصطلحات العلمية متأثرا بها ، ثم إذا نظرت
فى كلامه الذى يطول لم تجد فيه رفيع معنى ولا كبير غناء ، إنما هى ألفاظ
محشودة للتقريظ وترادف متصل أعانه عليه غزارة مادة اللغة ، وتمكنه من
أبرارها ودقائقها .

شعره

وشعره ميدان يثبارى فيه بحشد الزخرف اللفظى والمحسن البديعى
ما عبت له طريقه وأرخت له عنانه ، وقد عبث هذا الطلاء الذى يكلف به
بالمعنى الشعرى وضلت المنسكرة فى بيداء صنعتها المسرفة ، ويلوح من تهالكه
على المحسنات وافراطه فيما يتناوله من المجاز والاستعارة أن ذلك مقصده
الأسمى من الشعر وأنه لا شئ من التصوير الشعرى بذى بال عنده وذلك بما
لم يدع شيئا من شعره يستهوى النفوس وتروح منه نسيم الشاعرية .

فمن شعره ما قاله متغزلا

اقطف ورود خدود الغيد بالقبل وقل وفاء بحق للهوى قبلى

(٣ - أزهى ثالث)

واخلع عذارك في خال العذار ولا
وكن على حذر من أسهم عرضت
من أعين ما رنت ألا رمت مهبجا
تحيك ما غزلت ثوب الضنا فتري
واهضر قد ودا زهت بمشوقة فغدت
واضمم فؤادك فوق الحصر مختصرا
وان تشأ فار تشف من مبسم ضربا
وكرر الرشف تشف النفس من كيد
تبال فالعذر عند الحال منه خلى (١)
لمن تعرض للألحاظ والمقل
تبيت في وهج منها وفي وهل (٢)
منها الحماسة للألفاظ في الغزل
معشوقة لغصون البان والأسل (٣)
واجعل لنفسك كفلا ما من الكفل (٤)
ولا تخف ضرب جد الشارب المثل (٥)
وتطف من كبد نارا من القل (٦)

فهذه الأبيات لا يعفك بيت واحد منها من محسن بديعي ولا يخلو
أحدها من جناس خف أو ثقل وقد يتكرر تبعا لضرورة الشاعر ، وهي
بعد ذلك خالية من الخيال الشعري الخصب والروعة الشعرية التي تستهوي
النفوس — غير أن مادته اللغوية من أهم الأسباب التي مكنته من الألفاظ
ينصرفها على مقتضى هواه ، ومن ثم لم يعدم الجناس لتوفر مادته .

وما قاله موجهها الى الشيخ د ناصيف اليازجي :

بنصيف قد أنصف الدهر يبرو مت فأضحت تئيه في ثوب سؤدد
ولن أصبحت تفاخر كل الما دن أضحي لعمرى الحال يشهد
ما سمعنا بمثله عيسوبا يتحدى بمثل معجز أحمد

(١) عذار : الدابة السير الذي على خدها من اللجام ويطلق العذار على الوسن
وعذار اللحية الشعر النازل على اللحيين

(٢) وهل كفرح ضعف وفزع فهو وهل ككشف

(٣) الأسل نبات معروف والرماح والنبل وشوك النحل

(٤) الكفل بالكسر الضعف والنصيب والحظ والكفل محركة العجز أورده

(٥) الضرب — العسل الأبيض

(٦) الغلل محركة وكأثير العطش أو شدته أو حرارة الجوف

نظم الدر والدرارى فى أحسن
 ألمعى لىكنه عيسوى
 لو تروى ارتوى بكوثره العذ
 ب وأروى ظماء من بات يجحد
 حكم مولى يقضى علينا بما شا
 م تعالى عن التولد سرمد
 دم حليف العلا نصيف بفضل
 لا يوازى وحسن حمد مؤيد
 والشاعر فى هذه الآيات أقل تهافتا على المحسنات ومن ثم كانت أغزر
 معنى وأوضح غرضا وأشهى مذاقا مع قلة حظها من الروعة .

وكثرا ما يخضع الشعر للعلم فيقيد به مسائله ويودعه جواب سؤال أو
 دفع اشكال كما جاء فى كتابه « عقود الكواكب الدرية » قوله :-

ويقضى واجب قد فات إلا	بعشر قد أتت كالدر نظما
فناذر حج دهر فات عاما	وناذر صوم دهر فات يوما
ونذر صلاة أول وقتها فى	وأخره بها يوما ألما
واحرام لداخل مكة ان	نقل هو لازم من رام حتما
وناذر ان يحرق كل عبد	له والبعض مات ففات رغب
ومن بجماع أفسد حجة ث	م أفسد للقضالم يقض خزما
وناذر التصدق كل يوم	بفاضل قوته فراه عدما

آثاره العلمية

له آثار كثيرة يذكر د على مبارك باشا ، فى خططه أنها تليف عن
 أربعين كتابا منها .

سعود المطالع

فقد كان للأبيارى رسالة تضمنت لغزا فى اسم الخديو اسماعيل ، فأودع
 كتاب « سعود المطالع » شرح هذه الرسالة وحل ذلك اللغز الذى تعجب
 اذ تراه استخراج منه خمسة وأربعين فنا على نسق غريب ، وهو كتاب قيم

دل على قدرة مؤلفه ووقوفه على شوارد اللغة وأسرارها ، وهو واقع في
سفرين كبيرين مطبوع في مطبعة بولاق سنة ١٢٣٨ هـ

النجم الثاقب

كتاب وضعه في الفصل بين صحيفة « البرجيس » التي كان يحررها بالعربية
في باريس المرحوم « سليمان الحريري التونسي » وصحيفة « الجوانب » التي
أنشأها الشيخ « أحمد فارس » في الآستانة وذلك في مؤاخذات لغوية
وانتصارات في فنون إنشائية حكم « الإياري » فيها بالتبريز لمنشئ الجوانب
على محرر البرجيس ، وقد طبع هذا الكتاب على الحجر سنة ١٢٧٩ هـ .

الوسائل الأدبية في الرسائل الأحادية

وهو كتاب يضم طائفة من مراسلاته الأدبية وما وقع بينه وبين الأدباء
المعاصرين من مراسلات ومكاتبات ولا سيما الشيخ « الأحذب » و « السيد
الخلواني » طبع سنة ١٣٠١ هـ . وقد صدره بخطبة ابتدأها بقوله الحمد لله الذي
أنزل علينا كتابا نقرأه وبشرنا بأنه تعالى على عمر الأيام يكلاؤه ، والصلاة
والسلام على من حثت رسالته على اتباع ملة إبراهيم ، وأوقى من البلاغة
والفصاحة ما لم يبلغ أحد من العالمين مبلغه العظيم ، وعلى آله الأجلة ، وصحبه
الذين حذوا من الفضل حله ، ثم يقول

وأهبي ما ورد به خد الكتابة والخطابة ما دار بيني وبين نادرة العصر ،
الذي تفعل آدابه البديعة بالعقول مالا تفعله سلافة العصر ، حضرة المولى
الأجل أديب الشام « السيد إبراهيم الأحذب » بلغه الله من الحظوظ كل
مطلب فأليكها عرائس مجلوة ، من كشف لثامها ورشف رضاها استكمل
الظرف والفتوة موسومة بالوسائل الأدبية في الرسائل الأحادية ، واستطردت
في خلالها ببعض ما كتب لي من أبناء العصر أو كتبته لبعض ، بما رأيت
أن ترك قيده عبث محض ، وربما فسرت في خلال بعض الرسائل ما أودعته
فيها من الإشارات لبعض المسائل الحكيمة ، وأوضحت ما أومأت إليه من

الفوائد التاريخية والأدبية والكتاب يقع في خمسين ومائة صفحة تقريبا من القطع المتوسط .

نقطة الأكام في مثلث الكلام

وهو نظم رقيق يشتمل على الكلمات العربية المستعملة بفتح أولها وكسره وضمه - يقول في مقدمته :-

قد نظمت منه ما وجدته	مثلا من بعد أن هذبت
وما تركت حسبا ظننته	شيئا وإن كان فبعض النزر
معولا على أصول الأسماء	وتارك المختلفات رسما
كمثل واوى مع بائى اذا	هذا مثلث على ما أدرى
وهو يبدأ بذكر المفتوح ثم المكسور ثم المضموم كما قال :-	
أبدأ بالمفتوح فيها أولا	وبعده ذو الكسر فالضم ولا
ثم أزيد البعض منها حيث لا	حاجة للتكميل حسب اليسر
وربما تركت ما قد اشتهر	من المعاني ان يكن ثم آخر
رتبتها على الحروف للنظر	فيها لدى الحاجة لا بعسر

والنظم واقع في ١١٩ صفحة ، وتم طبعه في السادس عشر من جمادى الأولى سنة ست وسبعين ومائتين وألف من الهجرة

وله متن السكواكب الدرية ، في نظم الضوابط العلمية لعلوم وفنون مختلفة بذل فيه من العناء والتدقيق ما يستحق العجب فإنه ضبط مسائل في الفقه والنحو والصرف واللغة والسيرة والتاريخ والفلك وغيرها في نظم دقيق بارع دل على قدرة ناظمه وتبحره في شتى العلوم . وفي آخره ما نصه كتبه ناظمه الفقير الى رحمة سيده الغنى عبد الهادى نجا الإييارى ، الشافعى غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين ، في يوم الجمعة الحادى والعشرين من

شعبان سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين وألف ،

وله كتاب المواكب العلية في توضيح الكواكب الدرية في الضوابط العلمية ،
وهو كتاب قيم شرح به هذا المتن شرحا دقيقا مستفيضا دالا على قدرته
في علوم شتى

والمتن والشرح مطبوعان في سفر واحد

وله كتاب الفتوح لمعرفة أحوال الروح ،

وهو كتاب يبحث في أمر الروح وحكمة خلقها قبل الأجساد وأصل
نشأتها هذه الأمور التي كان المؤلف دائم التفكير فيها ضيق الصدر بها
حتى أسفر له من الهند كتاب الأسفار للصدر الشيرازي وفيه من ذلك
فوائد جمة وفرائد مهمة إلا أنها متفرقة فيه أيدي سبا ؛ بعبارات صعبة
تشتت بها أفكار من لها صبا فلنخصها المؤلف وقربها للأفهام وضم بعضها
إلى بعض مراجعا في ذلك كتبها جليلة كالمواقف وشرحه والطوالع وشرح
الإشارات وكشاف الاصطلاحات والمقاصد والتفسير الكبير وكبير اللقاني
على جوهرته وغير ذلك ، فاجتمع عنده من كل ذلك ما شئ غليله وأودعه
هذا الكتاب القيم وهو مطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤ هـ واقع في ستة
وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط .

وله غير ذلك كتاب د نيل الأمان في توضيح مقدمة القسطلاني ،

والقصر المبني على حواشي المغنى

«ودروق الانداد في أسماء الاضداد» جمع فيه أسماء الاضداد يقول
عنه وهو كتاب جمعت فيه أسماء الاضداد ونظمتها في بسيطة سميتها دروق
الانداد في أسماء الاضداد (١)

(١) الوسائل الأدبية في الرسائل الأحادية ص ١٠٠

وله «ترويح النفوس على حواشي القاموس»، و«صحيح المعاني في شرح منظومة البيهقي ورشف الرغاب في المصطلح أيضا» و«الحديقة في البيان»، ولها شرحان «وشرح كشف النقاب»، و«زهرة الروابي»، شرح وضعيّة الانبائي «والمورد الهني»، و«شرح سرور المنعني»، و«الفواكه الجنوية في الفوائد النحوية»، و«سعود القرآن في نظم مشترك القرآن»، و«الثغر الباسم»، في مختصر حاشية الباجوري على ابن قاسم «وزكاة الصيام في ارشاد العوام»، و«فاكهة الإخوان في مجالس رمضان»، و«البهجة التوفيقية في اللغة والأدب»، و«زهرة الجملة في الكلام على البسملة»، و«حاشية حصن الحصين في علم الحديث»، و«حجة المتكلم على متن مختصر النووي لصحيح مسلم».

هذه آثار أدبية ولغوية دالة على أبلغ قدرة وأعظم براعة وأعزّر مادة؛ ولو أن هذه الكتب القيمة كانت مطبوعة معبّدة السيل لكان فيها أعظم النفع وأبلغ الجدوى، ولكن كثيرا منها لا يزال مخطوطا رهن مكتبة المؤلف.



الشيخ حسين المرصفي

المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م

نشأته وحياته :

هو الشيخ «حسين المرصفي» نسبة إلى «مرصفا» بلده بالقلبيوية أنجبت بجمهرة من أعلام الفقه واللغة والأدب ، وكان والده الشيخ «أحمد حسين المرصفي» من أئمة العلم في عصره .

ولد المترجم له في مصر ونشأ بها ، وبعد أن أتم حفظ القرآن التحق بالجامع الأزهر فتلقي العلم على كبار شيوخه ، وما زال يكدر ويبحث حتى صار من العلماء الفحول ، وتصدر للتدريس فقرأ بالأزهر أمهات الكتب في العلوم العربية كغنى اللبيب في النحو لابن هشام .

وكان رحمه الله مكفوف البصر ، وقد عرف منذ صغره بحدة الذهن وتوقد الذكاء ، وإذا صح ما قيل من أن والده حفظ القرآن في ستة أشهر فإن ذكاه موروث عن أبيه ، وكان إلى ذلك جادا مثابرا شديد التوافر على كتب الأدب يرتوي من محاسنها ويستظهر من روائعها ، لم يسترح إلى الأدب الشائع في عصره ولم يرقه نهجه ، بل كان من أوائل من تفتنوا في هذه البلاد إلى قدر الأدب القديم (١) .

وكان من حبه للأدب العربي القديم وقدرته على تفهم أسرارهِ وتذوق بلاغته يقرأ كثيرا في كتب البلاغة العربية ودواوين الشعراء الفحول ويبذل جهده في استظهار ما يهتز له ، ويحبل قلبه على غرار ما بهره من هذه الآداب حتى استقام له بيانه الرصين .

وكان إلى جانب هواه بالأدب شديد الميل إلى العلوم العربية ، دائم البحث

(١) المفصل في تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٣٩٨

في أسرارها وتفهم دقائقها واكتناه خفاياها حتى صار في العلم بها حجة ثبتا .
وقد قرأ الخط العربي والفرنسي في أقرب زمن مع انكشاف بصره وهو
حروف اصطلاح عليها اصطلاحا جديدا تدرك بالجلس باليد^(١) .

وتولى تدريس الأدب وعلوم العربية بمدىسة دار العلوم وتخرج على
يديه طليعة الناهضين من أبناء الشعراء والأدباء .

أثره في النهضة الأدبية :

الشيخ «حسين المرصني» شيخ الأدباء في ذلك العصر وأستاذ الطبقة الأولى
من دار العلوم فقد تخرج عليه طلائع النابهين في هذه المدرسة من أمثال
«حفي بك ناصف» وأترابه .

وكان قبلة الشعراء والأدباء في هذا العصر ينهلون من علمه وأدبه وينتفعون
بتوجيهه وإرشاده ، صاحبه ولازمه أعيان البيان العربي فعرضوا عليه منظومهم
ومنشورهم فنقح ما شاء له ذوقه وعلمه وهذب كثيرا من بيانهم ، وراضهم
على ما تهدي إليه من الأدب العربي القديم الرصين .

انتفع بتوجيهه «عبد الله فكرى باشا» فكان أحد تلامذته الذين أفادوا
منه بل أن «البارودى» نفسه وهو زعيم النهضة الشعرية ورافع لوائها في
العصر الحاضر كان أحد تلامذته الذين صاحبه ولازموه ، علم المرصني زعيم
الشعراء اللغة العربية الفصيحة ، وهدهاه إلى الأساليب المجودة الفحلة ،
وعرض عليه شعره فهدبته قريحته التي صقلها الأدب العربي وطبعها بطابعه
الجميل ، وإن لصلة البارودى به لحديثا طريفا نمر به سراعا ولكننا أفضنا فيه
حين تكلمنا عن شعر الأزهر وكيف أن الأزهريين كانوا أساتذة زعماء
الشعر في العصر الحاضر .

وكان من أثره في الأدب فصوله الممتعة التي كان ينشرها في صحيفة

(١) الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٤٠

« روضة المدارس » ، فقد رسم بها للأدباء أمثل الطرق في ممارسة البيان العربي الجزل ، وكان قدوة الكاتبين بطريقته العذبة التي تجمع بين الجزالة والسهولة .
أما أسلوبه فطلي رصين واضح فصيح لا يلم بالسجع إلا إماما ولا تستهويه البصنعة التي يكلف بها أصحاب الأدب الفارغ فيستروا بزخرفها نقص أدبهم وفراغه ، وهو في سلاسته وترتيبه المنطقي أقرب ما يكون شيها « بابن خلدون » في مقدمته ، فهو بحق من أولئك الأفاضل الأعلام الذين ردوا على اللغة في العصر الحديث ما كان لها من البهاء القديم في العصر القديم^(١)

ومن حديث المرحوم « الشيخ عبد العزيز البشري » عنه قوله ويقوم ذلك الكاتب الأديب المجدد فيلفت جمهرة الأدباء عن ذلك الأدب الضامر ويوجه أذهانهم وأذواقهم جميعا إلى الخالص المنتحل من أدب العرب في جاهليتهم وفي إسلامهم ويبعث لهم شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري وغيرهم من فحول الشعراء ، كما يدل على بيان ابن المقفع والجاحظ والضولي وأحمد بن يوسف وأضرابهم من متقدمي الكتاب فسرعان ما يصفو البيان ويجلو ، وسرعان ما يجزل القول ويعلو ، وسرعان ما تنفجر آفاق الكلام وتنبسط أسلوات الأقلام في كل مقام وناهيك بغرس يخرج من ثماره « إبراهيم المويلحي » في الكتاب « ومحمود سامي البارودي » في الشعراء^(٢)

آثاره ومؤلفاته

ألف كتاب « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » وهو كتاب جليل القدر لا يستغنى عنه أديب ، وقد شاع الانتفاع بما فيه من الآداب والعلوم ، ولا يزال منتجع الأدباء إلى يومنا هذا ، والكتاب جزآن يقع الثاني منهما في صفحات تربى على ثلاثة أمثال الجزء الأول .

(١) المنتخب من أدب العرب ج ٢ ص ٥٨٣ هامش

(٢) المختار ج ١ ص ٤١

« والوسيلة الأدبية ، مجموعة من الآداب والعلوم المختلفة من نحو وصرف وفقه وبيان ومعان وبديع وتاريخ ساقها المؤلف لتعليم الكتابة الانشائية وترويض الملكات البليانية على غرارها ونهجها العربي الصحيح ، وهو يتبع في هذه الكتابة طريقة الشرح والافاضة والتتابع والاستطراد ، فاذا ألم ببحث علمي وفي جوانبه وبسط في آفاقه ، ولم يدع فيه ما يحتاج اليه الباحث المتعقب ، واذا أورد قصيدة أو خطبة شرح معانيها اللغوية شرحا دقيقا متمكنا ثم بين مراد الأديب بما قاله ، وتعرض له بشيء من أخباره وآثاره ، وقد يستطرد فيقرن المعنى بمشابه له أو مقارب منه أو مضاد له يفيض في كل ذلك بأسلوب رصين واضح فصيح ، وقد عمد فيما اختاره من آثار عربية إلى روائع الأدب من شعر ونثر وخطب ورسائل ، فهو حسن الذوق في كل ما يهتدى إليه ، غزير المادة بما يفيض فيه ، قريب الشبه في مسلكه بالكتب التي هي أصول للأدب من أمثال « الأمانى » و « الكامل » و « العقد » إلا أنه لم يغلب عليه ناحية خاصة تستأثر به وتدعه ضعيفا في غيرها بما يقدم عليه ببحثه وشرحه ونقده وتعليقه ، وإنما هو في هذه النواحي جميعا المتمكن الذي يعدل بينها .

والوسيلة بجزئها تتضمن تمهيدا وأربعة مقاصد ، يشتمل كل منها على فصول ومقالات — فالتمهيد في بيان فضل العلم وتقسيم العلوم ، وتعريفات لعلوم العربية والأدب مع افاضة بذكر الأمثلة ، والمقصد الأول في العقل وشرح أنواع المعقول ، والمقصد الثاني في تعريف اللغة وبيان الداعي لوضع علوم العربية ونهايته نهاية الجزء الأول ، والمقصد الثالث وهو أول الجزء الثاني يحتوي فنون البلاغة بإسهاب وشرح وإفاضة مع دقة وتحليل ، والمقصد الرابع وهو أوسع المقاصد وأكثرها بسطا يتضمن المكاتبة والتربية الأدبية والأدعية التي جرى السلف على استعمالها في مكاتباتهم ، ومكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، ومكاتبة الملوك والأمراء والأدباء ، وفي الأمثال العربية وغير ذلك من البحوث الأدبية الممتعة ، وقد ختم الجزء

الثاني بكلمة ضافية عن المرحوم «عبد الله فكرى باشا» ومن أهم ما حواه الجزء الثاني حديثه عن البارودى الشاعر العظيم - والكتاب مطبوع بمطبعة المدارس الملكية بمصر من سنة ١٢٨٩ إلى سنة ١٢٩٢ هـ

وله كتاب «الكلم الثمان»

وهو رسالة شرح فيها كلمات جرت على ألسنة الناس في عهده وكثر ترديدهم لها ولهجوا بذكرها بما دعاه إلى بسطها وتبيينها كلفظ الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسية والحرية والتربية والانسان والمربي وكيف يجب أن يكون وما به تكون التربية ، كتبها بأسلوبه الرصين الرشيق وهى مطبوعة بالمطبعة الشرقية بمصر سنة ١٢٩٨ هـ

وله أيضا «دليل المسترشد فى الانشاء»

وهو كتاب وضعه لتعلم طرق الانشاء وأساليبها وكيفية افتتاح المراسلات والمكاتبات والموضوعات الانشائية المختلفة ، وأورد فيه طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم وكتب خلفائه الراشدين إلى القياصرة والأكاسرة والعرب خاصتهم وعامتهم ، وجمهرة من القصائد والمقاطيع لمشهورى الشعراء من الطبقات الأولى الثلاث .

والكتاب يتضمن مقدمة تحتوى على ما يحتاج إليه المنشئ من معرفة مبادئ العلوم وتمييز بعضها عن بعض ، ثم يحتوى بحوثا قيمة فى تعريف الكتابة وبيان طرق التعليم والأغراض التى يحاول المنشئ أن تحسن بها صناعته ويجود بها إنشاؤه - والكتاب مخطوط لم يطبع .

نماذج من إنشائه

كتب في الوسيلة الأدبية بعنوان «تمهيد»

«اعلم أن الأدب معرفة الأحوال التي يكون الإنسان المتخلق بها محسوبا عند أولى الألباب الذين هم أمناء الله على أهل أرضه من القول في موضعه المناسب له ، فإن لكل قول موضعا يخصه بحيث يكون وضع غيره فيه خروجا عن الأدب كما قال «جروول» الشاعر المشهور «بالخطئية» فإن لكل مقام مقالا .

ومن الصمت وهو السكوت المقصود في موضعه فإن للصمت موضعا يكون القول فيه خلاف الأدب يرشد إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ،
رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وفي لامية الطغرائي
ويا خبيرا على الأسرار مطلعا أصمت في الصمت منجاة من الزلل
ولبعضهم

عجبت لأزراء العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالعلم أحزما
وللصمت خير للعيي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلمها
والكلام المنبه على مواضع الأقوال وعلى مواضع الصمت كثير ،
ومن الأحوال التي يكون التخلق بها أدبا ، وضع الأفعال في مواضعها
كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله
فتمن به سبحانه وتعالى على أن المطلوب العفو المصلح دون المفسد ، وقال النابغة
الجعدي ، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا خير في حلم إذا لم تسكن له بواد تحمي صفوه أن يكدرها
ولا خير في جهل إذا لم يكن له لبيب إذا ما أورد الأمر أصدرها
والناس في الأدب متفاوتون تفاوتوا عظيما ، فمن قرأ العلوم وطاف في

البلاد وعاشر طوائف الناس بعقل حاضر وتنبيه قائم وضبط جيد حتى عرف العوائد المختلفة والأهواء المتشعبة وميز الحسن منها وتخلق به يكون بالضرورة أكثر أدبا ممن قرأ وخالط ولم يطف ويمن قرأ وطاف ولم يعاشر، وموافقة جميع الناس أمر غير ممكن، فإن الدين والعقل يمنعان من ارتكاب أمور لا يسر بعض ذوى الأهواء غيرها، وأولئك هم السفهاء الذين لا أبواب لهم فهم بمنزلة قشور الأشياء التي لو لا لبها لم تصلح إلا للنار أو ما أشبهه.

وكتب في التخلق ببعض الأخلاق فقال :-

غير خاف أن التخلق بالكبر والخيلاء والعجب والتعظيم على الناس بما أفضل الله به على الإنسان من علم وجاه ومال أمر غير حسن، لما حيلت عليه النفوس من الآباء والنفرة ممن يتعظم عليها، فما أكثر ما بدل حسن الود والتآلف بأشنع العداوة والتنافر، لكن لذلك موضع يكون فيه حسنا وبيانه أن من المشاهد كون النوع الانساني محتاجا في حسن تغيثه وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة وإنصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا خرج بعض الناس من الجمعية وسعى في الأرض فسادا، ونجب على الناس تأديبه بما يعيده إلى الصلاح، وربما كان التكبر والزهو عليه أنكى له وأرجى لمثاب فكرة وانحيازه إلى حيز الاستقامة، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فارسا من أصحابه يمشى بين الصفيين مختالا يميل يمينا وشمالا فقال (هذه مشية يكرها الله تعالى إلا في هذا الموضوع) فقد علمنا أن للتكبر موضعا يكون فيه حسنا.

الشيخ حمزه فتح الله

المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م

نشأته وحياته

ينحدر من سلالة مغربية ولكنّه ولد بشجر الإسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) وشب بها فحفظ القرآن في أحد مكانها ، ودرس العلوم الشرعيه واللغوية بجامع « الشيخ ابراهيم باشا » ثم ألحق بالأزهر فأنتم به دراسته وتوفر على الآداب واللغة فتمكن منهما وأصاب حظا كبيرا ، وديج الرسائل الأدبية ونظم الشعر ، ثم عاد إلى « الإسكندرية » ورحل إلى « تونس » فلبث فيها بضع سنين تولى في أثناءها تحرير جريدة « الرائد التونسي » فأكسبه مرانة ودربه على معالجة الكتابة الصحفية والسياسية ، ثم عاد إلى « مصر » فآلئ نار الثورة العرابية مشبوبة فاتصل بالخدوي وكان من أعوانه ومناصريه فأوحى إليه أن يحرر جريدة (البرهان) لمنشئها (معوض فريد) وقد كانت أسبوعية تصدر في الإسكندرية وتعلن أنها صحيفة الخديو وتفاخر بأنها حلت من أعتابه العليا محل القبول

كانت الصحف المصرية تحبذ الشورى وتدعو لها ، والكتاب يعضدون هذا المسالك ويجهدون في سبيله ولكن الشيخ « حمزه » رحمه الله دعا دعوة رجعية تنافى ما أجمعت عليه الصحف في ذلك الحين ، ولم يقتصر في مناصرته الخديو على تحريره جريدة « البرهان » بل أصدر جريدة « الاعتدال » عام الثورة العرابية ذياداً عن العرش ، وكثيراً ما كان يخطب معاضدا هذه السياسة .

وفي سنة ١٨٨٦ م ندبته الحكومة المصرية لتمثيلها في المؤتمر العلى الشرقى الذى عقد في « فينا » كما ندبته مرة أخرى لتمثيلها في مؤتمر العلوم الشرعية الذى اجتمع في « استكهلم » سنة ١٨٨٩ .

ثم رأى أن يزاول التعليم فعين في سنة ١٨٨٨ م بمدرسة الآلسن ثم مدرساً بمدرسة دار العلوم العليا ، وتخرج عليه طائفة من المصلعين^(١) في اللغة والأدب .

وفي سنة ١٩١٠ م عين مفتشاً أول للغة العربية ، وظل كذلك إلى أن خرج بحكم الستين في سنة ١٩١٢ م فعكف على البحث والاطلاع والتقليب في كتب اللغة والأدب حتى وافته المنية في إبريل سنة ١٩١٨ م بعد أن كان كف بصره .

أثره في اللغة والأدب

كان رحمه الله حجة في اللغة متمكناً من أصولها وفروعها ملماً بأسرارها ودقائقها غوراً عليها شديد الحفاظ لها يلتزمها في حديثه مع جميع الناس حتى مع خادمه ، ولم ينزل عن غريبها في جميع ما كتبه من شعر أو نثر أو حديث أو مراسلة أو تقرير ، حتى كان بعض الأدباء يضع بعض النواذر في أسلوب غريب وينسبها إليه لتلصق به .

وكان شديد الحفظ قوى الذاكرة ملماً بطائفة عظيمة من شعر الفحول وقصصهم وأحاديث السلف وما يتعلق بهم ، فما تذكر له حادثة إلا يفيض في تقريرها وبيانها والتعليق عليها والانتقال منها إلى أخرى مشابهة لها .

هذا إلى عنوبة حديثه وصحة عبارته وحلاوة محاضراته وجمال دعايته وما يتدفق منه من بيان وعلم غزيرين .

وكانت له على المدرسين هيمنة واسعة واشراف دقيق في أثناء تفتيشه بوزارة المعارف فقد كان يحاسبهم حساباً عسيراً على هفواتهم ، ويرشدهم إلى زلاتهم وينبههم إلى مواطن الخطأ والصواب حتى اضطرهم إلى مراجعة معاجم اللغة والبحث في مجفواتها ، وما طال هجره من الألفاظ ، فأخرج كنوزها

(١) أضلع بالأمر — قدر عليه

ورد إليها بهجتها ونفى عنها ما يداخلها من الأغلاط وخلصها من أدران العامية والدخيل ونقاها من عجمة الأساليب وفساد التراكيب .
ويحدث الأستاذ « عبد العزيز البشري » رحمه الله عن أثره في اللغة فيقول :

« وفي أعقاب نهضة « المرصفي » يقبل العالمان الأدبيان « الشيخ حمزة فتح الله » و « الشيخ إبراهيم البازجي » فيكشفان عن مجفو العربية ويستظهران من أوضاعها وصيغها ما يدل على الكثير من الأسباب الدائرة ويتعقبان الأخطاء الشائعة ويدلان على الصحيح الناصح ^(١) من كلام العرب فيأخذ الكتاب والشعراء أنفسهم بالتحري في التماس الصحيح حذر النقد والتشهير وكذلك تصفو اللغة وتشرق ديباجتها ^(٢) . »

كان من أثر هذه العناية وما أخذ به المدرسين من شدة المراقبة وعسر الحساب أن طبع كثير منهم بطابعه فتشددوا تشدده ونسجوا على منواله ووقفوا عند السماع وعكفوا عليه ، بل تغالى بعض المفتونين منهم وتعدوا طورهم فجعلوا يقولون ، لا توجد هذه الكلمة في اللغة ، ولو وجدت في شعر فحول الأدباء من أهل القرون الأولى ^(٣) .

والحق أن هذه طريقة نخدمت اللغة وكان لها أثر طيب في سلامتها ، ولكن الإمعان في التشدد ، وهجر ماسهل من الالفاظ إلى الغريب المتوعر ربما أورث الكتابة تعقيدا وغموضا .

وكثيرا ما كانت تعرض عليه وزارة المعارف ما نطبعه من كتب العربية فيقوم بتصحيحها ويخرجها سليمة من الأخطاء اللغوية والعربية .

(١) نصح خلص ، والناصح الخالص

(٢) المختار ج ١ ص ٤١

(٣) الوسيط في الأدب العربي ص ٣٤٠

مؤلفاته

ترك الشيخ . حمزة فتح الله . ثارا دالة على غزارة علمه ودقة بحثه وتمسكه من أسرار العربية وإلمامه بدقائقها ، وقد اتسمت هذه المؤلفات بالبحث المنظم والنسج المحكم والاستيعاب الدال على سعة العلم .

ومن هذه المؤلفات :-

المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية ،

التي أحيا بها ما اندثر من آثار السابقين وجرى فيها على طريقة الجاحظ والمبرد والقال والمرتضى في أماليهم ، وهي فنون من اللغة والأدب - والعلم دالة على سعة اطلاعه وطول باعه في علوم مختلفة من أدب ونحو وصرف وبلاغة وتاريخ وغير ذلك فهي أخذت من كل فن بطرف وجمع لما يوسع المدارك ويثقف الأذهان ، وهو إذ يعرض خطبة من خطاب العرب أو قصيدة من قصائدهم أو رسالة من رسائلهم يترجم للخطيب أو الشاعر أو الأديب ويذكر شيئا من خبرهم ثم يشرح أثره الشعري أو النثري شرحا لغويا دقيقا ويستطرد إلى أعراب الشعر ويعرج بذكر طرف من النحو أو الصرف أو البيان مقابلا بين هذا المعنى وما ذهب إليه غيره ، وهكذا لا يزال يهتم في الأدب والعلم وينجد ويطوف بك بين رياضته ويهدي إليك من ثماره وأنت مفتون بما أهدى إليك ، معجب بطريقته في البحث ومنحاه في الدراسة وتحسن تنظيمه وترتيبه ، والمواهب ، جزءان حافلان بالنسكت الأدبية والبحوث المختلفة التي تقوم الألسنة وتمد الأقلام وتنفع الأديب بما لا غنية له عنه .

والكتاب مطبوع متداول

ومن مؤلفاته رسالة في المفردات الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم وهي بحث طريف أعان عليه سعة عمله ، وله رسالة أخرى في الرسم ، سماها

هدية الفهم إلى بعض أنواع الوسم ، تحدث فيها عن وسم الخيل والغنم وغيرها وأسماء ذلك عند العرب مما عثر عليه في كتاب المخصص لابن سيده وغيره من كتب اللغة ، وفي أول الرسالة فهرس بأسماء السمات مرتب على حروف الهجاء والرسالة محلاة بصور بعض الإبل الموسومة ، طبعت في بولاق سنة ١٢٣١ هـ وله رسالة في التوحيد نهج فيها نهجا عقليا في البحث والاستدلال وله رسالة سماها دباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام ، وهي مطبوعة أيضا .

كتابه

كانت له في الكتابة طريقتان - طريقة وعرة متكلفة وأخرى سهلة مرسلة فهو يلتزم السجع أحيانا ويفتن في استعمال الغريب ، ويعمد إلى الزخرف والصنعة فتجىء كتابته ثقيلة متوعدة غامضة تنفر النفس من طول ما بذل فيها من العمل والتكلف ، ولكنه يعمد أحيانا إلى السلامة والسهولة ويتجنب السجع فلا يرد في كلامه إلا عفوا غير مطلوب ويتضح معناه ويشرق تعبيره وهو في كلتا الحالتين فصيح العبارة محكم النسيج شديد السطوة ، ويغلب أن يكون النوع الأول في رسائله ومعاطاته الوصف ومجاراته أساليب القدماء وأشد ذلك في توقيعاته ، ويغلب أن تكون السهولة والوضوح في كتابته الصحفية وما يتناول به لشئون الاجتماعية .

شعره

أما شعره فهو غريب مشدود لا يجري مجرى الطبع والارتياح بل يتناول على استكراه وتكلف ويعنى فيه بالزخرف والصنعة ولا تشم منه روح الشعر المطبوع ولم نعثر على شيء من شعره إلا قليلا .

نماذج من كتابته

كتب إلى بعض الفضلاء يطلب وده وهو من نثره المتكلف الجاري
مجرى الصنعة والتعمل كما أن شغف (١) الجنان (٢) ، بالحسن والإحسان
تكون داعيته المشاهدة وتسريح الأنظار في محيا (٣) الكمال ، ومجئ (٤) الجمال
فترى العين من تلك الغرة (٥) ما يملؤها غرة (٦) ، فكذلك السماع يستدعي
هذا الشغف فيتأثر الفؤاد بما يشنف (٧) الأذان مما تهديه إليه طرائف (٨)
الأخبار حتى كأن حاستي السمع والبصر في ذلك صنوان (٩) ، بل أخوان في
هيكل هذا الجنان (١٠) .

ألا وأن محاسن السيد الأجل لما سارت بها الركبان وأثني عليها كل
لسان ما بين أخلاق أبي من الروض النضير (١١) وأعراق (١٢) أشهى من
عذيب (١٣) النير (١٤) قد احتلت من فؤادي لا أقول منزلا رحيبا ولا

(١) الشغف - شدة الحب

(٢) الجنان بالفتح - القلب

(٣) المحيا بضم الميم وتشديد الياء - الوجه

(٤) مجئ - منظره

(٥) الغرة - الوجه

(٦) نزت العين - جف دمعها وبردت من السرور والاسم منه القررة بضم القاف

(٧) يشنف الأذان - يطربها . وأصله من لبس الشنف وهو القرط

(٨) الطرائف - الأحاديث المستملحة

(٩) الأخوان الشقيقان

(١٠) الجنان - بضم الجيم الجسم

(١١) النضير - الحسن

(١٢) الأعراق هنا - بمعنى الطبائع والصفات

(١٣) النير - الكثير الماء

(١٤) شماء - عالية

وأديا خصيبا بل منزلة شماء^(١) ودارة^(٢) علياء وأوجا^(٣) بطوالها السعيدة يسعد ، ويلوح بها من ذكراه كل حين فرقد^(٤) فلم أنشب^(٥) أن قدمت كتابي هذا المولاي بين يدي اللقاء عله إن يسمح به الزمان وتشعر^(٦) عنه الليالي والأيام ليتاح^(٧) لي رى الفؤاد بما أرويه من حديث زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقال له ما وصف لي أحد فرأيته ألا وجدته دون ما وصف لي سواك وإن فيك خصلتين يحبهما الله (الحلم والأناة^(٨)) مقتديا بالإمام محمود جار الله^(٩) ، فى تقديم هذا الحديث الشريف على ما أنشده إياه الشريف ابن الشجرى أول ما لقيه وكان قد تحابا بالسمع .

كانت مسالة الركبان تخبرنا عن جابر بن رباح أطيب الخبر
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قد رأى بصرى
ومن كتابته السهلة الواضحة التى لا التواء فيها ولا تعقيد ، ما كتبه بعنوان
الشورى ومجلس النواب المصرى ، فما قاله :-

ونحن وإن كنا نعلم ما يترتب على الشورى من الفوائد العظيمة ، والمنافع
الجسيمة وما ينجم عن التفرد بالرأى من سوء العاقبة ، غير أن ذلك لم يمنعنا
من ابداء ما نراه من الملاحظات فى الأمر بين كليهما ، أعنى الشورى والتفرد
بالرأى المعروف بالاستبداد ، فأما الشورى فانها وإن كانت بمدوحة عقلا

(١) دارة — دار ويراد بها المكانة

(٢) الأوج — العلو

(٣) الفرقد — نجم قريب من القطب الشمالى

(٤) لم أنشب — لم ألبث

(٥) تشعر — تكشف

(٦) يتاح لى — يتهيأ لى

(٧) الأناة — الوقار والحلم

(٨) هو الامام الزمخشري العالم المفسر المشهور

وشرعا بما ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة في غير موضع ، إلا أن ذلك ليس على معنى أنها واجبة حتما على أولى الأمر ، بحيث لا تمضى بدونها بيعتهم ، ولا تنفذ أحكامهم لأن هذا ما لا يقول به أحد ، بل إن مبلغ العلم فيها أنها من الأمور التي ندبت إليها الشريعة المطهرة من قبل اتمام مكارم الأخلاق .

وأما الاستئناس بأن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ترك الأمور شورية فهو غلط ظاهر .

ألا وأن الملوك ظل الله في أرضه لا يجوز الخروج عن طاعتهم ولا البغى عليهم ولا تخفّر ذمتهم ولا تنكث بيعتهم ولا ينقض عهدهم في حال من الأحوال ، اللهم الا بكفر صريح لا يحتمل التأويل ^(١)

نموذج من توقيعاته

وقع لبعض المدرسين على قطع المحفوظات التي أرسلت إليه ليقرأها وكان قد ضرب على بعضها فقال وهو غاية في الغموض والإغراب .

لم أراد بذلك الترميغ ^(٢) الا الرعوى ^(٣) على النشاء ، فإن قلا مع حفظ المبني خير من كثر يطوح ^(٤) به في مواى ^(٥) المنبت ^(٦)

نموذج من شعره

قال في مؤتمر العلوم باستكهم ،

(١) نشرت بجريدة البرهان الصادرة في أول ديسمبر سنة ١٨٨١ م

(٢) الترميغ — إفساد السطور بعد كتابتها

(٣) الرعوى ويضم النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه

(٤) يطوح به — يرى به

(٥) المواى — جمع موماه وهي الصحراء

(٦) المنبت — المنقطع عن السفر

حمد السرى يا أخى العود^(١) والناب^(٢)

أنساك وعثاء^(٣) إغباب وإخباب^(٤)

ولو شهدت عابا خضت لجثه على سفين^(٦) بجنح الليل خباب^(٧)
يطفؤ إذا خفقت فيه بأجنحه من تحتها كل غواص ورساب
تجر فى اليم أذبالا - مصبغة

كالخود^(٨) تختال فى اذبال جلاب^(٩)

ومنها :-

طفقت أختلها^(١٠) شزرا^(١١) وقد سمرت

عنها اللثام ونضت^(١٢) فضل أثواب

تقول ما للنوى بى مولعا دنفا يا ليتما بعدولى فى الهوى مابى

(١) العود - البعير المسن

(٢) الناب : الناقة المسنة

(٣) الوعثاء - المشقة

(٤) أغباب : أغب الإبل صا حبها إذا ترك سقيها يوما وليلتين

(٥) الاخباب - الأسراع

(٦) سفين - جمع سفينة

(٧) خباب مضطرب

(٨) الخود - الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ج خودات وخون

(٩) الجلاب - كسرداب القميص ، وثوب واسع للراة دون الملحفة أو ما

تغطى به ثيابها فوق كالمحفة أو هو الخمار

(١٠) اختلها - أخذعها

(١١) شزرا - شزره واليه يشزره نظر منه فى أحد شقيه أو هو نظر فيه

إعراض أو نظر الغضبان بمؤخر العين والنظر عن يمين ويسمال (قاموس)

(١٢) نضت - خلعت

ومنها :-

وهو الذى كان أغرائى بنظرته
فهو الذى إن كتمت الحب باحبه
فأعجب له كيف أغرائى وأغرى بى
وهو الذى فى مهاوى الحب ألقى بى
ومنها فى الحكم :-

کم جامع بالثريا راضه (۱) سفر

فوق التری بین اُکوار (۲) و اُقتاب (۲)

ان الثواء ثواء والقصور قبور العاجزين ولا إيراد (٤) للخباي (٥)
ومن بغى نيل مجد وهو في دعة

فقد بغی من صفاء (۶) در احلاب (۷)

والمرء في موطن كالدر في صدف. والتبر في معدن والتبع في غاب

وقال يمنع الوزير خير الدين باشا ، بقصيدة مطلعها :-

آلاؤك (٨) الغر أو آناؤك (٩) الغرر زهايا في الزمان الجيد الطرر (١٠)

(۱) راضیہ - ذللہ

(۲) الاكوار - الرجال أو بأداتها جمع كور

(۳) الأفتاب - الأكف التي توضع على نقاله الاجمال جمع قف

(٤) الثَّوَاءُ - ثَوَى الْمَكَانَ وَبِهِ يَثْوَى ثَوَاءً وَثَوَى نَزَلَ وَأَثْوَى بِهِ أَطَالَ

الإقامة به وأنزل

(۵) الإبراء - أوردى الزند إذا أخرج ناره

(٦) الخابى - خبث النار سكنت أو طفت

(٧) الصفاة - الحجر الصلب الضخم لا يذبت فيه

(٨) أحلاب - الحلب ويحرك استخراج ما في الضرع من اللبن والحلب محركه

والحايب اللين المحلوب

(۹) الآلاء النعم واحدها إلى وإلى وإلى وإلى وإلى

(١٠) الآنا. جمع اناى واناى وأنا وانو- الوهن والساعة من الليل أو ساعة

مامنه وانی کالی وعلی - کل النهار والجمع آناء وانی وانی وانا کهنا

الله ملجأنا إذ ليس يعجزنا شر الخطوب وخير الدين لى وزر
حبر (١) له همة أعلى وأرفع من هام (٢) الثريا ومجد ليس ينحصر
وسيرة سرت الدنيا بشائرها
وضمخ (٣) السكون عرفا (٤) مسكها الذفر (٥)
لازال كهفا لمن يأوى بساحته في ظله تعقد الآمال والوطر
وكعبة وزراء الفضل أنجمها تزهو به وهو فيما بينهم قمر

-
- (١) الطرر — جمع طره جانب التوب الذى لا هذب له وشفير الوادى والنهر
وطرف كل شيء وحرفه والناصية وأن تقطع للجارية في مقدم ناصيتها
كالعلم تحت التاج
(٢) الحبر بالسكسر ويفتح العالم أو الصالح
(٣) الهامة رأس كل شيء ج هام وطائر من طير الليل وهو الصدى ورئيس القوم
(٤) الضمخ — لطنخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر كالضمخ
(٥) العرف الريح الطيبة
(٦) الذفر — مسك ذفر جيد إلى الغاية والذفر محركة شدة ذكاء الريح

الشيخ سيد المرصفي

المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣١ م

نشأته وحياته

هو الأديب العالم الجليل الشيخ «سيد» بن «علي المرصفي» ولد بالمرصفاً، إحدى قرى «القليوبية»، وهي بلدة أنبتت كثيراً من الأدباء والعلماء النابهين، نشأ بها وأتم القرآن حفظاً، ثم التحق بالجامع الأزهر فنهل من علمه وارتوى من ثقافته وشب مطبوعاً على الجد والمثابرة بهمة لا يتطرق إليها الملل، وكان ذا ميل شديد إلى كتب الأدب العربي يقرب فيها نظره، ويمتص بروائعها نفسه، وكثيراً ما حفظ من شعر العرب الفحول وتزود من أدبهم القديم الرصين، كما أكب على دراسة السكتب اللغوية فدرسها دراسة دقيقة ووقف على أسرارها واكتنه دقائقها من أمثال كتاب «الكامل للبرد»، «والأمالى لأبي علي القالي»، «والحماسة لأبي تمام»، وغيرها.

وظل يتلقى العلم على فحول العلماء من أمثال «الشيخ الشربيني» شيخ الجامع الأزهر الأسبق، ومن شيوخه أيضاً الشيخ «المباط»، والشيخ «عبد الهادي نجا الإيباري»، وكان يقول أخذت اللغة عنه.

وقد كتب كثيراً من كتب الشربيني بخطه منها شرح البخاري وتقريره على الأطول في البلاغة، وظل كذلك حتى تقدم لامتحان العالمية فحصل عليها من الدرجة الأولى الممتازة.

الوظائف التي شغلها

وأول عمل تولاه هو تدريسه اللغة العربية بمدرسة «عباس باشا الابتدائية»، ببولاق، ثم عتب عليه «الإنبائي»، شيخ الأزهر أن يحرم الأزهر فضله وعلمه فشكا «المرصفي» من أن مرتبات الأزهر لا تغنيه، ففضل «الإنبائي»

ومنحه مرتب التدريس بالأزهر على أن يلتقى درسا في جامع الزاهد «بجهة باب البحر» بين المغرب والعشاء فيجمع بينه وبين التدريس بمدرسة «عباس باشا الابتدائية» فكان يؤم درسه الأدباء والفضلاء، وحين كان مدرسا بهذه المدرسة تأخر قليلا عن الموعد المقرر فأستدعاه الناظر فكان جوابه تقديم الاستقالة، وما أثر عنه أنه قال ذهبنا إلى المدارس فوجدناها نظاما بلا علم وبحثنا إلى الأزهر فوجدناه علما بلا نظام، فأثر العلم على النظام وتولى «المرصفي» التدريس في الأزهر.

وكان الناهضون بالأزهر الراغبون في ترويح الآداب العربية به قد اتجهت عزائمهم إلى التوفر على دراسة الأدب العربي في الأزهر وبذل عناية خاصة به بعد أن كان نافلة ينساق الحديث إليه استطرادا.

فلما نهض المرحوم الشيخ «محمد عبده» بإصلاح الأزهر ومكن من تنفيذ خطط الإصلاح فيه، كان من أجل ما عني به توسيع آفاق الأدب العربي في الأزهر والعمل على أن يأخذ الأزهريون بحظ غير يسير منه، فاقترح أن يطلب من ديوان الأوقاف مبلغا لترقية التعليم في علوم اللغة العربية وأجيب هذا الطلب وقرر مبلغ مائة جنيه سنويا لهذا الغرض^(١)

وكان الشيخ «سيد المرصفي» قد اشتهر بالتمكن من الأدب العربي والاضلاع في علوم اللغة العربية، فعهد إليه بتدريس كتاب «الكامل للبرد» ثم درس «الأمالي لأبي علي القالي»، و«الحماسة لأبي تمام»، كما درس غير هاتين كتب اللغة العربية والأدب العربي وزيد مرتبه عن غيره من المدرسين لاضطلاع بتدريس الأدب، ثم جمع بين التدريس في الأزهر والتدريس بمدرسة السلحدار الابتدائية، ولما عين الشاعر العالم «الشيخ عبد الرحمن قراعة» مديرا للأزهر والمعاهد سعى في منحه عضوية جماعة كبار العلماء «المرصفي» فيما نعلم أول عالم أزهرى تمحض درسه للأدب في الأزهر.

(١) تاريخ الإمام الجزء الثالث ص ٥٩٢ من تأبين الشيخ أحمد أبي خطوة

وفي سنة ١٩١٣ عين مصححا بدار الكتب المصرية فصحح كتاب
أساس البلاغة للزمخشري ، وكتاب الطراز ، في البلاغة .

مسلكه في التدريس

كان يشرح ما في الكتاب من شعر أو نثر شرحا دقيقا وينقد ما فيه من
غلط أو مجافاة ، ويتجه اتجاهها لغويا أكثر منه فكريا ، وإذا نقد تبسط في
نقده ونفذ إلى الأعماق فيما يرمى إليه ، وكان شديد الطرب للشعر القديم
المتوغل في القدم ، شديد الكره للتعبيرات النحوية أو الصرفية أو غيرها
عما يجرى عليه مؤلف الكتاب الأزهرية ، يؤدي مراده بأسلوب أدبي رصين
ويحمل تلامذته على متابعتة والاقتداء به ، ولم يكن ليخفي نفوره من الشعر
المصري الحديث الذي لا يجرى في تركيبه على الأساليب العربية الجزلة .

وكانت دراسته أشبه بدراسة القدماء من اللغويين والأدباء ، أمثال أبي
العباس تغلب والمبرد والرياشي وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم من أعلام
اللغويين ورواة الشعر ويقول عنه تلميذه الدكتور طه حسين باشا ، في
تقدمة كتاب « الأدب الجاهلي » ، وكان يفسر لتلاميذه في الأزهر ديوان
الحجاسة لأبي تمام أو كتاب الكامل للمبرد أو كتاب الأمل للقيلي ، ينحو في
هذا لتفسير مذهب اللغويين والنقاد من قدماء المسلمين في البصرة والكوفة
وبغداد مع ميل شديد إلى النقد والغريب وانصراف شديد عن النحو والصرف
وكان طروبا لركة الحديث وعذوبة المنطق وحسن صوت المتكلم ،
تعجبه الكلمة الهادئة الرصينة المستقعدة في موضعها التي لا نبوء في استعمالها
وأكثر ما يؤذيه الكلمة الخشنة والصوت الأجلش .

وإذا استحسنت كلمة أو عبارة في بيت بالغ في استحسانها واطهار التأثر
والاعجاب بها وأعادها جملة مرات في صوت رقيق ونغمة عذبة وطلب إلى
تلامذته أن يسمعوا أو يعجبوا ويشاركوه في عجبها ، وبذلك تولدت عندهم

حاسة النقد الذوقى ، ونشأت عند كثير منهم ملكة الشعر الغنائى والنثر الرقيق الذى يشبه الشعر فى لطف موسيقاه .

وكان ملحننا فى طريقة أدائه حتى ليظهر طربه ويستخف تلامذته من موسيقى توقيعه ، ويرى أن الأوزان الشعرية ترجع فى توقيعها ونغمتها إلى ضروب السير للرجالة والركبان والفرسان ويجهتد فى تمثيل ذلك بصوته وتوقيعه وحركته .

أثره فى الأدب وتلامذته

كان « المرصفي » يعقد درسه فى الرواق العباسى ، وقد حدثنا أحد تلامذته الخالصاء الأدباء^(١) أن حلقة درسه كانت مهرجانا يضم الأدباء والشعراء على اختلاف بيناتهم وألوانهم ، فلم تكن مقصورة على الأزهرين فحسب بل كانت ندوة يؤمها عشاق الأدب جميعا ، وكان يقيم بجهة باب الفتوح على مقربة من الأزهر ، وبلغت الصلة بينه وبين تلامذته وعشاقه حدا غريبا فهم لا يقنعون بما انتفعوا به فى دروسهم ولسكنهم يصحبونه الى منزله فلا يزالون فى حديث أدبى موصول ودراسة طريقة ممتعة ويشق عليهم أن يدعوا لاستاذهم فرصة ينفرد بها . والحق أن « المرصفي » كان خفيف الروح جذابا ، يميل الى الدعابة والمفاكهة ، ويتبسط مع تلامذته فيزيل ما بينه وبينهم من الفوارق ويشعرون بجو روحى خالص تمتزج فيه مشاعرهم بمشاعره وخواطرهم بخواطره .

وكان يهتز للسؤال الأدبى اهتزازا ويخف له ويرتاح لموقعه من نفسه

(١) هو العالم المحقق الأديب القند الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد عميد كلية اللغة العربية وقد شرح مقامات البديع وعرضه على أستاذة المرصفي فقرظه كما شرح بعد ديوان الحامسة وديوان الشريف الرضى وسيرة ابن هشام وشرح ديوانى أبى نواس والبحر ترى وهما فى طريقتهما إلى الظهور ، وله مؤلفات قيمة فى النحو والصرف وغيرهما .

ويقرظ صاحبه حتى ليسمو بسؤاله فان سأل أحد تلامذته بما هو من النحو
أو على شرف منه أعرض عنه وقال « نعم يا بن خروف »

تخرج على الشيخ « سيد المرصني » فحول الأدباء والشعراء في مصر حتى
ليجزم بعض تلامذته بأنه رأى جميع الأدباء والشعراء في درس « المرصني »
ينتفعون بأدبه وتوجيهه .

ومن هؤلاء الذين غذاهم « المرصني » بأدبه وعلمه ، وبصرهم بمواقع
الأدب ومواطن الجمال فيه وعلمهم النقد الأدبي الصحيح « السيد مصطفى
لطف المنفلوطي » ، والشيخ عبد العزيز البشري ، « ومحمد مصطفى الهياوي » ،
« والدكتور طه حسين باشا » ، « والدكتور زكي مبارك » ، « الأستاذ أحمد حسن
الزيات » ، « الأستاذ محمد حسن نائل المرصني » ، الذي أخرج مجلة الجديد
وشهرزاد وصحح كتاب كلية ودمنه وعنى بضبط غريبه وتفسيره وبيان
ما فيه من أسماء الحيوان والطير ، وكتب مقدمة الكتاب وترجم لعبد الله
بن المقفع الذي نقله إلى العربية ، ومنهم أيضا « الأستاذ حسن السندوبي » ،
صاحب صحيفتي « الثمرات والجوانب » ، وصاحب كتاب « أعيان البيان » ، والشعراء
الثلاثة ، « وشرح المفصليات » ، « وشرح البيان والتبيين » ، « وشرح المقابسات » ،
« وأدب الجاحظ » ، « ورسائل الجاحظ » ، « وشرح ديوان امرئ القيس » ،
« وأخبار المراقسة وأشعارهم » ، « وأبو العباس المرسي » ، ومنهم الأستاذ أحمد
الزين الأديب الشاعر ، والشيخ حسن القيايقي ، الأديب الشاعر ، والشيخ
محمود الزناتي ، الذي شرح مختارات ابن الشجري وبعض كتب أبي العلاء
المعري ، كما أنه تصحيحات قيمة على كثير من كتب الأدب .

كما أن من تلامذته الأستاذ « محمود شاكر » ، الأديب الباحث الذي أخرج
رسالة ممتازة عن المتنبي بمناسبة مرور ألف عام على وفاته .

ومن تلامذته المجيدين الكاتب المعروف « المرحوم محمد إبراهيم هلال » ،

الذى كان يكتب فى «الكشكول» بعنوان «المرآة» وكتب به «البشرى»
فما بعد .

ومنهم الأديب الشاعر المؤلف الأستاذ «كامل الكيلانى» ، كما أن منهم
المرحوم الأستاذ «فهم قنديل» صاحب مجلة عكاظ .

هؤلاء جميعا وغيرهم نهلوا من أدب «المرصنى» واهتدوا بهديه واتجهوا
متجهه فى النقد الأدبى الصحيح .

وكان «المرصنى» صاحب الفضل العظيم فى لفت الأنظار إلى الأدب
العربى القديم واستخراج كنوزه والاقتباس من روائعه .

وبما قاله أحد تلامذته «الدكتور طه حسين» «باشا» أستاذنا الجليل «سيد
ابن على المرصنى» أصبح من عرفت بمصر فقها فى اللغة وأسلمهم ذوقا فى النقد
وأصدقهم رأيا فى الأدب وأكثرهم روية للشعر ولاسيما شعر الجاهلية وصدر
الاسلام وقال :

«حب الأستاذ ودرسه قد أثر فى نفسى تأثير شديدا ، فصاغاها على مثاله
وكونا لها فى الأدب والنقد ذوقا على مثال ذرقنه» .

إيثار للبديوى الجزل على الحضرى السهل ، وكلف بمناحى الأعراب فى
فنون القول ونوعن تكلف المولدين لأنواع البديع وانتحالهم لآلوانه الفلسفية
والمنطق وتفطن شديد لحكم الضرورة فى الشعر واللفظ السهل الملهل يقغ
بين الألفاظ الجزلة الفخمة إلى غير ذلك مما هو إلى مذهب القدماء من أئمة
اللغة ورواة الشعر أدنى منه إلى مذهب المحدثين من الأدباء والنقاد (١) .

وكان «المرصنى» شديد التمكن من روية الشعر العربى القديم متوثقا
من كل ما يرويه ، مفاخره بذلك بين تلامذته ، حتى لقد كان يقول «ان أبا تمام

(١) من مقدمة كتابه تجديد ذكرى أبى العلاء

اختار من هذه القصيدة هذه الأبيات وترك ما هو أجود منها وأكثر روعة .
وكان ينتقد أبا تمام في تصرفه في بعض القصائد بتقديم بعض أبياتها إذ
يراها مروية على ترتيب آخر في كتب الأدب التي هي أوثق رواية مما اطلع
عليه أبو تمام ، كما كان يفعل مثل ذلك في شرح الكامل للمبرد .

استظهاره شعر اللصوص :

وبما امتاز به استظهاره شعر اللصوص وكان يقول ان لسان هؤلاء
تشبه شائبة لانهم لم يتصلوا بالحضر ولم تفسد ملكاتهم
وهو يحب الشعر ويكلف به ويحفظ من روائعه ما وسعه الجهد ويقول ،
تعلبوا الشعر فان لم تكونوا شعراء تكونوا لغويين ،

نكاته ونوادره

وكان رحمه الله حاضر البديهة ، محبا للنكتة طريف النادرة ، وقد أثر عنه
من ذلك العذب السائغ ، لقيه في الطريق رجل فاستوقفه قائلا : طلمت
امراتي ثلاثا فما ترى ايها الشيخ ؟ فصاح في وجهه لا أدري ، لا أدري
فلما كلبه من معه قال أتريدون أن ينكحها على قفای ؟ ،

وفي أحد أعياد المسلمين أقيم حفل قريب من منزله واجتمع الناس به
فقام قس وأخذ يقول إن عيسى أفضل من محمد ، فثار الجمع لذلك وأجوا
في استحضار الشيخ - وكان قريبا من الحفل لمحاجة القس وأرهفت
الاسماع واشترأت اعناق - فقال له المرصني ، أليس عيسى بن مريم ؟ قال
نعم قال أليس محمد بن عبد الله ؟ قال نعم - قال أتفضل ابن المرأة على ابن
الرجل ؟

وحين كان مصححاً بدار الكتب طلب منه السيد محمد البيلاوي ،
كتاب تهذيب اللغة للأزهري فقال : تريد تهذيب باللغة ؟

ولعل هذه النكتة وفدت عليه من اطلاعه على قول الأول

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبلغ قبل في تهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مذهب عدوه منك وساوسا تهذى بها
وقال لأصحابه يوما : كانوا يقولون ان البلاغة في طبع المصريين أتدرون
أن المنطق في طبعهم أيضا ؟ قيل كيف ذلك ؟ لقيتني فتاة فسألتني نشوقا هي
كونت في نفسها قياسا ، كأنها قالت هذا شيخ وكل شيخ يستنشق
فهذا يستنشق .

عليه في كتب اللغة والأدب

عمد إلى كتاب «الكامل للمبرد» ، والامالى لأبي على القالى ، فبذل أكبر
الجهود في شرحهما وهما من أمهات الكتب العلمية الأدبية وأغزرها مادة
وأوسعها علما وأكثرها نفعا ، وهما ميدان للبلاغة على مختلف فنونها
والأساليب في شتى ألوانها ، والأقلام في أخصب عصورها .

تصدى « المرصفي » ، لهذين الكتابين فتجلت مادته اللغوية ودرايته
بالرواية وقدرته على الشرح وبعد غوره في النقد وشدة تفضنه لمواطن البلاغة
وروعة البيان ، وطريقته في تناول هذين الكتابيين أن يتم القصائد ويشرح
الغريب شرحا دقيقا ويتعرض لنسبة الشعر إلى قائله ويراجع من أخطأ في
النسبة ويترجم لصاحب الشعر كما يترجم للخطيب أو الكاتب ،

ومن أهم ما عني به تصحيح الرواية وتخطئة الشراح السابقين ،

ونما يظهر في شرحه إكبابه على دراسة الغريب والتقصي عن وجوه
استعمال الكلمة الواحدة فيفرق بين معنى الكلمة في أسلوب ومعناها في أسلوب
آخز فرقا دقيقا لا يهتدى إليه الا مثله من غزيرى المادة اللغوية ومارسى
الأساليب العربية .

وشرح الامالى والعقد كلاهما مخطوط ، أما شرح الكامل فقد طبع في
ثمانية أجزاء .

(٥ - الأزهر - ثالث)

وقد تعقب ، المرصني ، أبا العباس فيما رآه خطأ في الرواية أو اللغة أو المعنى أو النحو أو شرح الغريب أو تفسير الغامض ، وكثيرا ما كان يقسو في نقد المبرد فيرسل جملا فيها من الجرأة بما لا يتفق مع مقام هذا الإمام الجليل كأن يقول كذب المبرد في هذا والمبرد كاذب في هذا وهذا بما تفرد به ، الخ ، والمرصني ، يقول في مقدمة الرغبة أسميته رغبة الآمل من كتاب الكامل مهتما ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ في الرواية وخطأ في الدارية ، ولا ينبئك مثل خبير ، فمن تخطتته المبرد (١) قوله قال أبو العباس قوله صلى الله عليه وسلم المتفهبون إنما هو بمنزلة قوله الثرثارون تؤكد له قال المرصني ذلك صواب لو كان معناهما واحد وليس كذلك وكان أبا العباس ذهل عما ذكر من اشتقاقه وبيان معناه وهو الامتلاء (٢) ومما خطأ به رواية المبرد قوله حين روى أبو العباس البيت .

ان الكريم من تلفت حوله وان اللئيم دائم الطرف أقود

قال المرصني كذا أنشد أبو العباس فغير لفظه ورواية الديوان

فمنهم جواد قد تلفت حوله ومنهم لئيم دائم الطرف أقود (٣)

وفي الرغبة كثير من هذا التغليب وغيره . والحق أن المرصني لم يطرد صواب ما أخذه على المبرد وربما نزع في غير قوسه فزاغ عن القصد سهمه كما وصف المبرد بذلك في مقدمة الرغبة ، ومن ذلك ما أتى به المبرد هجاء لجعله المرصني مدحا إذ قال - قال أبو العباس المبرد - وما يستحسن من شعر اسحق هذا - يريد ابن خلف - قوله في الحسن بن سهل .

(١) رغبة الآمل ج ١ ص ٢٣

(٢) رغبة الآمل ج ص ١٧٨ وقوله أقود يريد لا يلتفت إذ طعن بخلافه أن يرى

شخصا فيدعوه فوجهه مستقيم على نزاده لا يكاد يصرفه ، ، المرصني في الرغبة في الرغبة في الصحيفة نفسها .

(٣) رغبة الآمل ج ٤ ص ١٣٢

باب الأمير عراء ما به أحد
قالت وقد أملت ما كنت آمله
كفيتك الناس لا تلقى أخاطلب
ان الرجاء الذي قد كنت آمله
في الله منه وجدوى كفه خلف

ليس السدى والندى في راحقا لحسن

(في الحسن بن سهل) يريد ابن عبد الله السرخسى وزير المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، (باب الأمير) كأنه يريد أميرا غير الحسن (ولا تلقى أخاطلب ... الخ يريد الارجاء السدى ، وهو ندى الليل (والندى ندى النهار ضربهما مثلا لجوده ، وقد أخر هذا الاستثناء عن موضعه فيقل (١) وقد عني بتخطيطه في مثل ذلك الأستاذ احمد شاكر في تعليقه على الكامل .

على أن « المرصفي » وإن كان مضلعا في اللغة بارعا في النقد ثقة في الرواية لم يكن أول من وجه إلى المبرد ما وجه ، فقد سبقه إلى ذلك كثيرون ومنهم « أبو القاسم علي بن حمزة البصرى » في كتابه التنبيه على أغاليط الرواة ما غلط فيه المبرد ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب وبالمكتبة نسخة منقولة عنها « والمرصفي » قد يشير إلى نقد أبي القاسم المبرد وقد لا يشير ،

أسرار الحماسة :

شرح هذا الكتاب على طريقته التي نهجها في الكتب الثلاثة وقد رأى حكما قال في المقدمة :

« إن أبا تمام سماحه الله تعالى كثير آ ما يعتمد على ذوقه فأحيانا يقدحهم ويؤخر في أبياته وأحيانا يبدل بعض كلمات العرب بكلماته وبما حذف ما يحتاج

إليه المعنى ، فيختل المبنى ، كما رأى أن أيدي الرواة عبثت بجميع ما اختاره أبو تمام ، فمنهم من ابتدأ بشعر قيس بن الخطيم الأنصارى ، ومنهم من افتتحه بشعر قريط بن أنيف العنبرى ، وكثيراً ما يفرقون بين أشعار القبائل ويذكرون الأواخر أثناء الأوائل - وربما فرقوا بين كلمتين قليلتا في حادثة واحدة لشاعر وباعدوا بين أنساب العماير وأحساب العشائر .

لذلك رتبته « المرصفي » ترتيباً آخر فقسم أشعار الحماسة قسمين أولهما : الموضوعات الأدبية وثانيهما : شعر الوقائع الجاهلية والإسلامية ، قدم الشعر الجاهلي على الإسلامى والأموى على العباسى ملتزماً بإيراد القصيدة متى عثر عليها كاملة ، منبهاً إلى ما وقع فيه أبو تمام ، مفسراً المعنى مبيناً المغزى ، غير تابع لقوم مدوا أيديهم على ذلك الديوان بالكتابة وظنوا أنهم فوقوا سهام الصواب وقد أخطأوا غرض الإصابة .

ولغزارة مادته اللغوية وسعة أفقه وفيض علمه كان كثير النقد والتعليق والتخطيء والتصويب لكثير من كتب اللغة والأدب ، وقد اطلعت في مكتبته على طرف مما يقتنيه من هذه الكتب فوجدته قد طرز هوامشها وحواشيها بغرر من العلم وفنون من النقد ، كتبها بخطه الأنيق البديع الذى يضارع أروع الخطوط المحدثه .

ونسخته من لسان العرب قد زينت هوامشها بكثير من التصحيحات والنقد والمحاكمة خصوصاً فيما نقله « ابن منظور » عن « ابن برى » ، والجوهري ، إذ كان « لابن برى » شرح على « صحاح الجوهري » ، يتعقبه فيه ويكثر من تخطئه « وابن منظور » ، ينقل العبارتين فيقف « المرصفي » موقف الحكم بينهما .

وقد نقل « المرصفي » بخطه الجميل كثيراً من كتب الأدب ودواوين الشعر فى مختلف العصور ، ونسخ كثيراً من كتب اللغة العربية والبلاغة والفقه وغيرها ، وقد كان يكتب المتن بمداد ذى لون والشرح بمداد من لون آخر والتقريب بخط يخالف فى حجمه ، كل ذلك فى شكل مقبول ووضع طريف ،

وكثيراً ما كلف أبنائه وتلامذته بنسخ ما يروقه من الكتب والدواوين .
ومما اطلعت عليه بخطه كراسة وضع في أطرافها بالخط الضخم الرائع
كلمات غريبة عربية ثم وضع داخل الصفحة شواهد من الشعر العربي المشتمل
على هذه الكلمات منها إلى مراجع هذه الآيات ، وقد يكتب الكلمات في الإطار
ويدع مقابلها فارغاً من الشواهد ، انتظاراً للعثور عليه وبما كتبه .

الزرجون : قال أبو دهبيل :

ثم ماشيتها إلى القبلة الخضراء تمشي في مرمر مسنون
وقباب قد أمرجت وبيوت نظمت بالريحان والزرجون

الجفن : قال الفر التولي (من مجموعة التعالي) :

ألم بصحبتى وهم هجود خيال طارق من أم حصن
ألم ترها تريك غداة باتت بملء العين من كرم وحسن
سقية بين أنهار ودور وزرع ثابت وكروم جفن
لها ما تشتهي على مصفى إذا شاءت وحوارى بسمن

أسلوبه :

أما أسلوبه الأدبي فهو الأسلوب الرصين الفصيح العبارة المتخير اللفظ
الحسن السبك الذى يطالعك منه غزارة البيان وفيض اللغة والافتتان فى الأخذ
بأساليبها ، ويغلب على المرصنى ، أن يتناول السجع فى كتابته لكنه فى رفق
ولطف لا غضاضة فيه ولا ثقل .

شعره :

أما شعره ففصيح التعبير متلائم النسيج قوى الديباجة لكنه شعر علماء ،
وقد ينحو به نحو الصنعة ويجهد فى الجناس والتورية ويتناول التاريخ فى شعره

كسنة السابقين ولكن ذلك لا يخرجهم عن الوضوح والجزالة وإيثار المعنى وتوخي الغرض .

نموذج من نثره :

عما قاله في مقدمة « أسرار الحماسة » .

أما بعد . فلو لا ما يؤثر عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، لما كتبت في اللغة العربية آية تذكر أو حديثا يؤثر ، أو حكمة غرام ، أو رجزاً تحذو به حداة الإبل أو قصيدة تسيير مسير المثل ، ومعاذ الله أن يكون ذلك ضنة وبخلا ، أو بما وجب سفاهة وجهلا ، ولكن رأيت نفوس القوم مصروفة إلى تحقيق المسائل العلمية والمباحث العقلية ، والعلم عندهم من نظر إلى الاستدلال وأكثر طرق الاحتمال وولد من الكلام ما لا يولد ، وأوجد من الأفهام ما لا يوجد ، ولو علموا (هداهم الله تعالى) ما علمناه من خصائص اللغة وأساليبها وما أودعت من لطائف الأسرار في تراكيها ، لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد واغتنموا لغة القرآن المجيد ، والحديث الحميد .

على أنها لغة أمة أميين لا يعلمون القراءة والكتابة ويعلمون ما تحت السحاب وما فوق السحاب ، ما تركوا من أودية المعاني وأديا إلا بحشوه ولا طرقوا من مبهمات الكلام غامضاً إلا استنبؤوه ، وهم مع ذلك لم تجمعهم جامعة كلية ، ولم تحوهم مدرسة نظامية ، وإنما كان العربي في بدايته يتلقى من أمه وأبيه وفصيلته التي تؤويه ، حتى إذا بلغ أشده واستوى طفق يتنقل في الأحياء ، تنقل الأفياء ، يستمع ما يترنم به الفتيان وتشدو به الركبان فيحفظ منهم ما سمعه ويعي ما جمعه . فيستق بذلك لسانه ، ويقوى جناناه (وإنما العلم بالتعلم وملاك الفهم التفهم) .

فمؤذج من شعره : قال في عرس :

أهذه أنجم تزهو على الأنس أم ذى بدور بدت من مطلع الأنس
 أم ذى محاسن أنوار تنظمها أيدى السرور تحلى بهجة العرس
 لله ليلة أنس في ملاحظتها وحسن بهجتها أقصى منى النفس
 يريك منظرها من لطف رونقها روضا تنور زهرا أطيّب العرس
 أعجب بها ليلة مارامها أحد إلا تكشف عنه شقوة النحس
 تقارن البدر فيها وهو مكتمل في دارة العز والإيناس بالشمس
 وقال مقرظا كتابا في علم الإملاء ألفه الشيخ حسن شهاب ، وسماه
 دليل الكاتب .

لله حسن مؤلف في وضعه صور الحروف كفاية للطالب
 يهdy إلى طرق الكتابة رسمه يا حبيذا الهادى دليل (الكاتب)

ومدح الخديو عباس ، الثانى بقصيدة مطلعها

سل النجم عن جفنى محبك والكبرى

كفى شاهدا من سائل الدمع ماجرى

نجرى فوق خدى ناحل ررق جلده فأمسى ولا صبر لديه فيصبرا

وهنا الشيخ الإنابى ، إذ ولى مشيخة الأزهر بقصيدة كان يسميها

المعلقة الثامنة - قال في مطلعها :-

ملاك العلا فى غرة ملكت يدى أمن شأن مثلى فى العزازة أن يدى

أبت عز متى أن آخذ الحمد هينا بغير سنان أو لسان محدد

إلى أن يقول .

أمهت العلا أرخ بسامى كاله تهنأت الدنيا ودين محمد

١٥٦ ٦٦ ٧٠ ٩٢

وكان الشعراء هناؤا ، الشيخ الشربيني ، بتوليته مشيخة الأزهر فكتب
له مهنتا فكان مما قاله :-

تحجب البدر يا للناس عن نظري هل عارف فيكم بالعين والآثر؟
ردوا على فقلبي في هواه مضي وحلف الجفن في التسهيد والسهر
يا شيء مالي فما أدري تحجبه أساحري وشي أم رمية القدر^(١)
ولما قرأها ، الشربيني ، وكان قد قرأ القصائد جميعا قال علقوا قصيدة
المرصني ، فوق رأسي .

وللرصني ديوان مخطوط يجمع طائفة ضخمة من شعره الذي قاله في
مختلف الأغراض وله تخميس سماه ، الدر الذي انسجم على لامية العجم ، التي
قالها الوزير الكاتب مؤيد الدين ، الحسين بن علي الطغراني ، وأول اللامية
أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
ويقول ، المرصني ، في مقدمة التخميس إنه نظم (قياما بواجب الأدب
وأخذا بنصرة لغة العرب وامتنالا لإشارة أعزائي الإخوان من بني الإنسان
وما هو إلا خطرات فكر نزهته في روض اليراع . فجنى من أدبه الغض ما
استطاع ، سميته بالدر الذي انسجم على لامية العجم) متخليا عن وصمة الخائل
متخليا بحكمة القائل .

وما أعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد
ومن التخميس قوله :-

(١) يا شيء . كلمة يتعجب بها تقول يا شيء . مالي كياهي . مالي (قاموس) وفي
الأساس روى الكسائي . يا شيء . مالي في التلف على الشيء . وأنشد :
يا شيء . مالي من يعمر يغنيه مر الزمان عليه والتلقيب
وقال زهير بن مسعود :
يا شيء . ما هم حين يدعوه داع ليوم الروح مكروب

أنا الإمام وكل الناس لي تبع
لم يلحقوا شأو مجدى ان هم انتجعوا
لي المفاخر فيما بينهم جمع (مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع
والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل)
مجدى تعزز حتى اعتز بي وطني وتاه كبرا على بغداد أو عدن
لا أبتغى غيره والعز ينشدني (فيم الإقامة بالزوراء لا سكني
بها ولا ناقتي فيها ولا جلي)

ويقول في آخره .

ويا بصيرا بحال الدهر أهله للأمر أهل النهى حتى تأمله
إن وشحوك بما استوضحت مشكله
(قد رشحوك لأمر إن فطنت له
فارنا بنفسك أن ترعى من الحمل)

وقد طبع التخميس سنة ١٣١٢ هـ ويليه في كتيب واحد تخميس تليذه
السيد طه افندى أبو بكر، الذى سماه د بث الشجن على عينة أبي الحسن،
التي انشأها ابن رزق ومطلعها .

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه



الشيخ حسين والى

المتوفى سنة (١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م)

نشأته وحياته

نشأ في بيت كريم الأصل عريق في المجد ، فهو ابن المرحوم الشيخ «حسين والى» بن «إبراهيم والى» بن «اسماعيل والى» بن «وهدان والى» و «وهدان والى» الجد الثالث للمتزوج له ينتسب إلى «السلطان عامر» ابن «مروان الحسينى» وينتهى نسب «السلطان عامر» هذا إلى الإمام على كرم الله وجهه .

وقد ولد الفقيد ببلدة «ميت أبى على» الملحقة بمركز «الزقازيق» من أعمال الشرقية سنة ١٨٩٦ م - وكان والده من علماء الأزهر الفحول المعاصرين «للاشمونى» و«الإنابى» و«الطويل» وغيرهم ، وكان مدرساً بالمدرسة التجهيزية ، تثق به وزارة المعارف فتسند إليه رئاسة الامتحانات العامة وتعهد إليه بتفتيش المدارس ، كما كان من المقربين للخديو «توفيق باشا» .

تعلم المترجم في مكتب القرية وحفظ فيه القرآن الكريم ، ولما أوفى على التاسعة من عمره استنصبه والده إلى القاهرة حيث كان يقيم بقصر عمه المرحوم «مصطفى بهجت باشا» بحى «السيدة زينب» وهناك أدخل مدرسة ابتدائية أتم بها دراسته ، ثم ألحق بالأزهر حول الثالثة عشرة من عمره فتلقى العلوم على أساتذته بجد ومثابرة حتى نال شهادة العالمية ، وقد عرف طول درسه بالبحث والتدقيق .

وعين بعد ذلك مدرساً في الأزهر فدرس كثيراً من علوم الفقه والشرع وخاصة كتاب «الأم» في مذهب الشافعية إذ أذن له بتدريسه أستاذه

الأشعري، ولما يتجاوز الثلاثين من عمره، وكانت حلقه درسه مقصد الطلاب لثقتهم به وتمكنه من مادته .

ولما كان من العلماء الأثبات الراسخين في الإفتاء كان المغفور له الشيخ محمد عبده، يحيل عليه استفتاءات ترد إليه من مختلف الأقطار الإسلامية فكان مثار الإعجاب بدقته وعمله ورسوخ قدمه حتى أن مجلة المنار، أشارت إلى ما كان له من جهود في تحرى الحقيقة وتوخي الصواب فيما كان يصدره من فتاوى للمسلمين في شتى الأقطار .

ولما أنشئت مدرسة القضاء الشرعي اختير مدرساً لعلوم الأدب العربي والإنشاء والمنطق وأدب البحث والمناظرة وبعض العلوم الشرعية فتلقي عنه هذه العلوم طائفة من نابغي القضاء الشرعي (ومما يذكر عنه بمناسبة إشتغاله بالتدريس في مدرسة القضاء أنه كان جلداً على العمل دقيقاً في مراجعة ما يكتب تلامذته حتى أن حضره صاحب العزة الأستاذ أحمد إبراهيم بك، رحمه الله - وصفه المقيّد لنا بهذا الوصف في مقام ذكر حسناته قال، أنه كان أحد اثنين عرفا بالتدقيق في العمل والقيام بالواجب المدرسي، وهما الفقيه العظيم والمغفور له الشيخ محمد المهدي، الذي كان وكيلاً لمدرسة القضاء الشرعي^(١)

على أنه كان موصولاً بالأوصار بالأزهر وهو يدرس بمدرسة القضاء إذ شغل منصب المفتش العام للأزهر والمعاهد الدينية حين أنشئت وظائف التفتيش في الأزهر .

ومما يذكر أن له في الأزهر تشريعاً صدر به قانون في سنة ١٩١١ لا يزال هذا التسريع متبعاً حتى الآن في المعاهد الدينية - ثم أنه نقل من التفتيش إلى معهد طنطا حيث عين وكيلاً له، وقد أظهر من حسن الإدارة وبراعة التوجيه ما زاد في فضله .

(١) من كلية منصور فهمي باشا في تأييده في المجمع الفقهي

وإذ تولى المغفور له «السلطان فؤاد» عرش مصر اختير لمنصب كاتم السر العام للأزهر والمعاهد الدينية ، فاضطلع بأعماله الضخمة وأعبائه الجسام على غير وجه ، وما يذكر له بالحمد والتقدير أنه في أثناء توليه هذا المنصب قررت لجنة (١) إصلاح المعاهد الدينية وضع الأزهر تحت تفتيش وزارة المعارف كفاء عشرين ألف جنيه تأخذها المعاهد الدينية من وزارة المالية وكان ذلك في وزارة المرحوم «يحيى إبراهيم باشا» ولما رفع قرار اللجنة إلى مجلس الوزراء أصدر رأيته بالموافقة عليه ، إلا أن «واليا» حملته الغيرة على استقلال الأزهر فغضب له واستطاع بنفوذه البالغ ولباقته الساحرة أن يصرف الأمر عن وجهه بعد ما تهيأ له من أسباب التنفيذ .

عضويته في جماعة كبار العلماء

وفي سنة ١٩٢٤ تقدم ببحث على لينال عضوية الجماعة فصدرت الإرادة الملكية بتعيينه في عضوية هذه الجماعة الموقرة .

في مجلس الشيوخ :

ثم اختير بعد ذلك عضواً في مجلس الشيوخ فمثل الأزهر أكرم تمثيل ودوى صوته الديني في جنبات المجلس فقاوم التبشير وحض على العناية بالقرآن الكريم في المدارس الإلزامية ووقف للغة العربية موقف المدافع الغيور فكان يشور حين يجد خطأ في الأداء منبهاً صاحبه إلى الصواب مهما علا شأنه .

وما يذكر في هذا الصدد أنه دخل المجلس يوماً فقال لأعضائه فيم تبحثون؟ فقالوا نبحث قانون التسول ، فقال لهم التسول معناه الاستكراش واسترخاء البطن فهل تريدون في ذلك بحثاً؟ وكانت ملاحظة لغوية طريفة دلت على براعته التي شهد بها الجميع في كل مواقفه .

(١) اللجنة الجماعة يجتمعون في الأمر ويرضونه

في المجمع اللغوى :

ولما أنشئ مجمع فؤاد الأول للغة العربية في ديسمبر سنة ١٩٣٢ م كان أحد عشرين عضواً وقع الاختيار عليهم للقيام برسالة المجمع ، وقد شهد له بالفضل والتمكن في اللغة جميع علمائها الذين عرفوا فيه الدقة وغزارة العلم وسعة الاطلاع .

صفاته وأخلاقه :

هذا وقد كان رحمه الله جم الذكاء حاضر البديهة عذب الحديث آخذاً بأسباب الجد عظيم الخلق عفيف اللسان نزيه الرأى كريم التواضع ، فأكرم بهائيك أن تكون صفات العلماء .

مكانته اللغوية وأسلوبه :

كان رحمه الله دائم البحث والتنقيب في كتب اللغة وعلومها والآداب وفنونه ، وكان شديد الغيرة على اللغة العربية حريصاً على تنقيتها مما يشوبها من الخطأ والدخيل ، دائب السهر على سلامتها من كل يشوبها .

وقد أثر عنه إذ عين وكيلاً لمعهد طنطا أنه كان نافذ الرقابة على العلماء والطلاب ، ولما لاحظ بعض الخطأ في عباراتهم أراد أن ينقيها من هذا الزيف وأن يضع حداً لما يشوب الألسنة من الخطأ فكان يكتب ما يتداول من الكلمات على اللوح مبيناً الخطأ هادياً إلى الصواب ، وقد ظل يعرض هذه الكلمات في فناء المعهد مرتين في كل أسبوع وذلك مما كان له أعظم الأثر في صحة العبارة وسلامتها من كل شائبة .

وكان آية الآيات في غزارة المادة ودقة البحث والتلويح من العلم والتهدي إلى وجه الصواب فيما يتناوله من البحوث .

ومن يطلع على محاضر الجلسات للمجمع اللغوى ويستقرى ما دار فيها

من بحث وتنقيب يجده صاحب الفضل الضخم والعلم الجهم والرأى السديد ويجد له من الجهد الموفور ما يرمى على جهد جماعة مجتمعة .

وكان الحكم الفصل في المجمع فيما يطرح من بحث ويتناول من دراسة ، قوى الحجة متين البرهان ، مكنته سعة أفقه وطول اللأعه على أسرار العربية ودقائقها من أن يكون (فيصل هذه المناقشات يقول حين يدور الجدل في الاصطلاح أو القاعدة القول الذى يقطع الشك ويقف المناقشة على ما يحسن السكوت عليه^(١)) .

وقد شهد بوفرة علمه وشدة تمكنه فى اللغة وعلمومها ، وبراعته فى البحث وتفوقه فيه ، ما نشره فى صحيفة المجمع من أبحاث لغوية بارعة ، وخاصة ما كتبه بعنوان « سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس ، المنشور فى الجزء الثانى من صحيفة المجمع فإنه نموذج القدرة الفائقة والدرس الحصيف والبحث المتين .

وكان إلى جانب هذا أديبا عذب الأسلوب متخير اللفظ ، فصيح العبارة محكم النسيج ، رائع البيان حتى فيما يكتبه من بحوث ودراسات علمية .

شعره :

وكان ينظم الشعر ويجيده على إقلال ، إلا أنه كان منقطع النظر فى التاريخ الشعرى ، فقد أنشأ فيه القصائد الطوال ، وبلغ من البراعة فيه أن يجعل أحد مصراعى القصيدة رمزا للتاريخ الهجرى والمصراع الآخر رمزا للتاريخ الميلادى ، ومن ذلك قصيدته التى سماها (شوارة عكاظ) قالها فى مدح الشيخ « محمد عبده ، وبدأها بالفخر بنفسه وهى تبلغ خمسين بيتاً ، يؤرخ المصراع الأول من كل منها عام ١٨٩٨ م والمصراع الآخر عام ١٣١٦ هـ كما أن عنوانها يؤرخ عام إنشائها بالتاريخ الميلادى .

(١) من كلمة منصور باشا فهمى فى حفل تأييده فى المجمع اللغوى .

والشيخ كتاب لم يطبع سماه «عصا موسى» في قريض العرب والمولدين ذكر في هذا الكتاب قصيدة له سماها «مليكه شعر الدهر» وتؤرخ هذه التسمية بحساب الجمل عام إنشائها وهو ١٣١٠ هـ - ويقول عن هذه القصيدة إنها مائة تاريخ في ستين بيتا كل ثلاثة أبيات خمسة تواريخ تكتب في الأصل خطا واحدا فتكون القصيدة عشرين خطا وحينئذ تقرأ على أوجه متعددة لو قرأت على أصل كتابتها كانت مسدسة وكان المصراع الأول منها وما تحته من كل تسديس عشرين تاريخا لعام ١٣١٠ هـ والمصراع الثاني وما تحته كذلك عشرين تاريخا لعام ١٨٩٢ م والمصراع الثالث وما تحته كذلك عشرين تاريخا إلى سنة ١٩٠٦ قبطية والمصاريح الثلاثة المذكورة مصرعة إلى انتهائها، والمصراع الرابع وما تحته كذلك عشرين تاريخا لسنة ٢٢٠٤ رومية لازمة فيه قافية النون، كل مصراع مما ذكر تاريخ، والمصراعان الخامس والسادس وما تحتهما كذلك عشرين تاريخا لسنة ٥٦٥٢ عبرانية كل مصراعين تاريخ واحد لازمة في الخامس قافية الدال الموصولة بالهاء، وفي السادس قافية اللام ولست أدري إلى أي خد احتمل الشيخ عناء هذه الطريقة وكيف أطاق بهذا الجهد المضني، ولكنها قدرة وولوع.

مؤلفاته

ترك الشيخ مؤلفات قيمة كثيرة أعانه على تأليفها طول مشابرة وفيض علمه وبعض هذه المؤلفات مطبوع ككتاب أدب البحث والمناظرة، وكتاب الاشتقاق ورسالة في التوحيد، ورسائل في الاملاء، وله غير ذلك مؤلفات جليلة لا تزال مخطوطة في فقه الشافعية الذي كان إماما فيه، وفي علم الحيوان، وفي علم الكلام وتاريخه، كما ألف في اللغة كتابا ضخما تناول فيه اللغة وعوامل نشأتها وتطورها واختلافها ونمو اللغة وتعدد لهجاتها، وما أدخل على اللغة العربية من ألفاظ غريبة عنها مع تعيين أصل هذه الألفاظ.

هذه المؤلفات ثروة ذات خطر ، وحذا لو أتيحت مراجعتها وطُبعت
لينتفع الناس بكنوزها .

نموذج من نثره

بما نشر في الجزء الثاني من مجلة المجمع بعنوان « سبيل الاشتقاق بين
التياس والسماع » ،

كان للعرب في الجاهلية كلام كثير وشعر كثير لم يكن لهم علم أصح
منه ، ولم ينتهه إلينا جميع ما قالوا لأن اعتمادهم كان على الرواية لا على
دراوين معروفة فإنهم كانوا أميين لا يعلمون الكتاب ، ومن علمه منهم
فهو قليل .

ولما جاء الاسلام لفت العرب عما كانوا عليه ، وبهرهم القرآن بأساليبه
وشغهم بأحكامه وتكاليفه ، وغادر القادرون منهم الأرض الجزر إلى غيرها
في شلنن ساقتهم فشرقوا وغربوا إلى أن هلك منهم من لا يحصون موتا وقتلا
بيد أنه كان لمن بقى في بلاد العرب ومن خرج فترات أو فرص حصل فيها
إثبات طرف من الرواية وطرف من الكلام والشعر عليه من الرونق ما لم
يكن من قبل .

هذا ما صارت إليه لغة العرب من الكثرة فلم توشها من العرب إلا كما
يرث الرجل من أبيه نحو الكفاف من الرزق .

ثم حدثت أطوار عبثت فيها يد الحدثان بطائفة من هذا ، فبعضها أصابه
الفناء ، وبعضها أصابه التفريق ولولا حسن التصرف وسعة الحيلة لكشفت
الحاجة عن وجهها العابس .

إننا نجد مواطن غير تامة الافادة أو البيان في أمهات الكتب اللغوية
التي بين أيدينا وقد حشدت ما يرى كثيرا وهو قليل من الكثير الذي ذهب
ولو وصلت إلينا اللغة وافرّة ، لو جدنا طلبتنا فيما نحسب ، ومن هذه المواطن
ما انسقت إليه الفكرة الآن .

قد يذكر اللغوي الكلمة التي من شأنها أن تشتق أو يشتق منها ولا يذكر الأصل أو الفرع ، أو يقول مثل كلمة كذا لا فعل لها أو المصدر ممت أو لا تقل كذا . والفطين المستنبط لا يقف عند ذلك ، بل ينبعث للإحاطة بأسبابه وتوسيع البحث عنه ، والنظر في الاشتقاق وأصول العربية ، فإذا سلك هذا المنهج رأى أن بعض المحذور يصير غير محذور ، وأن الشيء قد يمنع من جهة ولا يمنع من جهة أخرى ، وأن هناك ما يقدر على القياس ولا يتكلم به لوجود مانع ، وأن هناك ما يؤتى به على القياس ويتكلم به وإن لم تتكلم به العرب ، لأنه لا مانع وما قيس على كلام العرب وسلم من موانع الاستعمال فهو من كلام العرب ، وعلماء العربية لم يضعوا أصولهم لما سمع من العرب ، وإنما وضعوها لما لم يسمع .

وما ألقاه في إحدى جلسات المجمع ما يأتي :-

سادتي

أشرف بأن أقوم بينكم لألقى كلمة في القرارات السبعة التي رآها مجمع اللغة العربية الملكي في دور الانعقاد الثاني ، وبيان مأخذها وسبيل الارتفاع بها وما رآها إلا عن نظر صحيح وحجج قائمة وقد دعت إليها الدواعي وبغثت عليها البواعث ، وإن المجمع لا تفتر له همة عن خدمة اللغة ومعالجة إنمائها بالاشتقاق وغيره ، وقيامها بالأغراض التي يتطلبها الزمان مع المحافظة عليها حتى لا يكون هناك ميل عن سنن الطريق .

وإذا كان المجمع نعمة على اللغة وأهلها من نعم صاحب الجلالة مولانا المعظم أيده الله وأبقاه ، فإن من شكر النعمة الدأب في العمل ، وإن شاء الله رأى الناس أن الطل صار وابلا .

وانما ألقى كلمتي في ضوء من بحوثي التي سمعها المجمع وعول عليها عنه النظر في المسائل .

(٦ - أزهري - ثالث)

لقد سن المجمع طريقة لإكمال المواد اللغوية التي ورد بعضها ولم ترد بقيتها حتى ينتفخ بما يجيزه القياس من هذا .

إن كتب اللغة هي مثابة اللغويين والادباء وغيرهم ، وقد جمعت كثيرا وبلغت كثيرا وإن لبعضها اصلاحا مرشدا ، ولكن فيها وراء ذلكم أصولا لم تذكر مشتقاتها ومشتقات لم تذكر أصولها ، وقد يذكر في بعض هذا أنه لا يقال كذا أو لا فعل لكذا ، أو أن المصدر مات ، أو ما شأنه أن يمنع من سد الثلمة ومرجع هذا الكلام العرب ، والعرب أمراء الكلام يتصرفون فيه بالسليقة يتكلمون تارة بالكلمة ومشتقاتها وتارة يتكلمون ببعض دون بعض ، وطورا يحبون الكلمة ثم يمتنونها كلمرة يتذوق الشيء فإذا لم يعجبه طعمه طرحه .

فهنا هذا كما في كتب اللغة ، وإن من اللغويين ذوى أحلام كشفوا الغطاء عن بعض ما نطن أنه محظور فإذا هو مباح ولو من من طريق القياس فكان ذلكم من أسباب التكملة التي رآها المجمع ، أما ترك الامر على حاله فإخفاق لخدمة اللغة .

ومن بحث في كتب اللغة بحث استقصاء ، وكان بصيرا بأصول العربية والاشتقاق عرف مواطن الاتفاق والاختلاف ، ومنزلة كل من المختلف فيه ، وعرف أن كثيرا مما أشرت اليه يجوز في القياس وإن لم تتكلم به العرب ، فما قيس على كلام العرب ولم يمنع من التكلم به مانع كان من كلام العرب ، فما وضعت أصول العربية والاشتقاق لما فاتوه ، وإنما وضعت لما لم يقولوه .

لما رأى المجمع رأيه جعل المذكور في كتب اللغة سبيلا إلى غير المذكور وأوى إلى ركن شديد بما حقق علماء العربية فأزال توهم بعض الناس أن ما لم تنص عليه كتب اللغة مطروح ، وأفاد أن أصول العربية هي الادوات التي تستخرج بها الثروة اللغوية المذكورة .

ومن الأمثلة قول لسان العرب «بخن فهو باخن، وطل، والحاء من بخن مفتوحة فإذا بحثت في كتب اللغة عن ضبط عين المضارع وعن المصدر لم تجد، فيفهم من تفسير بخن بطل أن بخن فعل لازم، ويفهم من فتح عينه أن مصدره هنا على مثال فعول قياسا، ويفهم من كون عينه حرف حلق أنها تفتح في المضارع قياسا، كدأب يدأب دأوبا فيقال بخن يبنخن بخنونا.

* * *

نموذج من شعره

قال يقرظ كتاب (شذا العرف في فن الصرف) لمؤلفه الشيخ الحملاوي وهو من تاريخه الشعري :-

شذا العرف بالطبع مبناه رق	وبرق اصطفا الصرف لطف ابرق
٣٠٠ ٩٨ ١١٤ ٣٨١ ١٠٠١	٣٠٢ ١٢٠ ٤٠١ ١٨١ ٣٠٨
كتاب نقي أغار الحسود	وأخمل كل كتاب سبق
١٠٩ ١٢٠٢ ١٦٠ ٤٢٣	١٦٢ ٤٢٣ ٥٠ ٦٧٧
كتاب كريم عظيم مقام	صفا مثلما رق لطف ابرق
١٨١ ١٠٢٣ ٢٧٠ ٤٢٣	١١٠ ١٢٠ ٣٠٠ ٦١١ ١٧١
كتاب تباهى بأقعد وضع	وأضحى حليفنا لحسن نسق
٨٧٦ ١٠٢٠ ٢٧٠ ٤٢٣	٢١٠ ١٤٨ ١٢٩ ٨٣٥
به الصرف وأفاه أسمى افتخار	فأبدى زهاء عظيم الألق
١١٨٣ ١١١ ٩٣ ٥٠١ ٧	١٨٢ ١٠٣٠ ١٣ ٩٧
غوى الصرف زلفا فأرجعه	فصار برجعته كالفلق
٣٥٩ ١١٨ ٤٠١ ١٠١٦	٢٦١ ٦٨٠ ٣٧١
صنيع أخى الفضل وافي الأيادي	وأرقى جليل شريف الأرق
٥٧ ٦٥ ٩٤١ ٦١١ ٢٣٠	٣٣٢ ٥٩٠ ٧٣ ٣١٧

أغر البرايا النيل الفريد	من البدر دون زكاه أتمحق
٢٤٥ ١٢٣ ٣٢٥	٩٠ ٢٣٧ ٦٠ ٧٢٦ ١٩٩
غياث العلا الحملاوى العزيز	مناط النهى من به الفخر حق
١٣٢ ١٥١ ١٢٦ ١٢٥	١٠٠ ٩٦ ٧٩٠ ١٠٨٩ ١١
لعمرك هذا الذى عز جأها	يبث ثناء المديح نطق
٣٦٠ ٧٠٦ ٧٤١ ٧٧ ١٠	٥٠٤ ٥٥٦ ٩٣ ١٥٩
سنة ١٨٩٣	سنة ١٣١٢

وقال يهنى الشيخ ، حسونه النواوى ، بتوليته مشيخة الأزهر من قصيدة
عدتها خمسة وعشرون بيتا صدورها للتاريخ الهجرى (١٣١٣) وأعجازها
للتاريخ الميلادى (١٨٩٥) على طريقة الرسم الكوفى .

لعمرك مجد الدهر حسونة الاسمى أخو المجد خدن العز رب العلا قدما
أشتم الورى رأيا ومجدا ومحتدا وأنغمهم فضلا وأطودهم علما
وقال يهنى الشيخ ، محمد عبده ، من قصيدة طويلة صدورها تاريخ لسنة
(١٣١٧ هـ) وأعجازها لسنة (١٨٩٩ م) وهى على طريقة الرسم الكوفى أيضا

توحد عزك لاذ ونهى جناه سواك ولاذ وعظم
فأنت مآل القوافى تزف م فرائد طالت بأعلى الكلم
منيع الذرى ووطيد السعو دمنيع العلا وأغر الشيم
مسدد رأى إذا رأى ند م وشهم عزيز إذا الخطب عم

الشعر في العصر الحديث

مر بالشعر في هذا العصر ثلاثة أطوار أو مراحل كان في كل منها مغايرا للآخرى في ظواهرها تبعاً لعوامل النشاط والخنود التي تهيأ له - فالطور الأول من ولاية محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ إلى ولاية اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م والطور الثاني من ولاية اسماعيل باشا إلى الاحتلال الانكليزي سنة ١٨٨٢ م والطور الثالث من الاحتلال الانكليزي إلى يومنا هذا .

الشعر في المرحلة الأولى

وفدت هذه النهضة والشعر صورة من ماضيه في العصر السالف لا ابتكار في أغراضه ولا تهذيب في أسلوبه ولا تجديد في معانيه وأخيلته ، وظلت مواهب الشعراء مجدبة لا تخصب ، جامدة لا تلين وذلك لأن عوامل النهضة المستحدثة لم تكن قد أثرت في الاتجاه الادبي واللغوي في بواكيرها ولأن ما جرى من الإصلاح لم يكن في وجازة مدته وضيق أفقه يؤثر في طريقة التفكير أو يغير من أسلوب الكلام .

ولم يكن محمد علي ، منصرف الهممة إذ ذاك إلى الآداب بله الشعر فهو أمي ليس للشعر موضع من تفكيره ، ولا نصيب من تقديره ، وما كانت حكومته حينئذ عربية الصبغة ، بل كانت تركية في كثير من مظاهرها ، ولم يكن الوالي ذلك الوقت يعنى إلا بتشجيع العلوم التي هي أساس الإصلاح المادي ، ولم يلتفت إلا لإنهاض البلاد وانقاذها مما انحدرت إليه من تأخر إداري وحيوي تمخض عنه العصر السابق .

بقى الشعر في هذه المرحلة على ما كان عليه من ارتصاد للبديع وتهالك على الزخرف وولوع بالتاريخ الشعري الذي اخترع في العصر الماضي وأغرم الشعراء به بل من القصائد ما يكون كل بيت أو شطر منها تاريخاً .

ولعل لرغبة الأمراء في تسجيل أعمالهم وضبطها بسنى حدوثها أثرا في إكثار الشعراء من ذلك فقد رأينا التواريخ تكتب بالشعر على القبور والمنشآت من مساجد ومنازل وسفن وغيرها ، ويسجل بها ما يكون من قران أو ختان حتى طبع الكتب كان يؤرخ بالشعر أيضا .

ومن شعراء الأزهر في هذه الفترة ، السيد اسماعيل الخشاب ، والسيد على الدرويش ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد شهاب الدين المصري ،

الشعر في المرحلة الثانية

كان عصر اسماعيل ، نهضة مشهورة في شتى مظاهر الحياة ، نهضة في العلم والفن والآداب ، وقد أعان على ذلك نشاط المطابع في إخراج الكتب المؤلفة والمترجمة ، وإحياء ما اندثر من الأدب العربي الخصب ، وماتم من إنشاء دار الكتب التي سهلت للأدباء الاطلاع ووفرت لهم اتساع الثقافة وقد مكن الخديو اسماعيل ، الأفرنج وغيرهم من النزوح إلى وادي النيل والاقامة فيه ، ونشط الأدباء وقربهم وأنعم عليهم فتكاثر الشعراء والأدباء ودخل الأدب شيء من صبغة المدنية الحديثة وأخيلات الشعرية التي نقلت بالمخاطلة أو الأسفار أو بمطالعة كتب الأفرنج الشعرية (١)

وشاعت الحرية في عصر اسماعيل ، وأحس الشعراء والأدباء بالقدره على التعبير لا يحد من حريتهم عنيت ، ولا يحبس عواطفهم تضيق أو إرهاب وبشيوع الحرية استيقظت الافكار ونهضت القرائح وتيسر للأديب والشاعر أن يعبر عن إحساسه وخوارج نفسه بألوان من التعبير وفنون من التصوير .

ونزع شعراء هذا العصر أيضا إلى تقليد الاساليب الغربية ، وتأثروا بالحضارة الحديثة والعلم الجديد وامتزجت خيالاتهم بخيالات الغرب التي

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ٤ ص ٢٢١

نقل منها إذ ذاك جانب غير قليل .

ولم يكن د اسماعيل ، ليجفوا الادباء أو ينأى بجانبه عن الشعراء ، بل كان هاشا لهم بارا بهم ، يفيض عليهم في غير عسر ولا تضيق ، حتى لقد ذكروا أنه أعطى بطرس البستاني ألفا وخمسمائة جنيهه معونة له على طبع دائرة المعارف ، وأجرى على د السيد جمال الدين الافغانى ، عشرة جنيهات شهريا من مال الدولة تقديرا لفضله ، وعوض على د ابراهيم المويلحى ، خسارته التى خسرها فى التجارة (١)

وبلغ من حب د اسماعيل ، للشعراء خاصة أن اصطفى منهم شاعرين لخاصته هما الشاعران الازهرىان ، الشيخ على الليثى ، والشيخ على أبو النصر المنفلوطى بل لقد وكل تربية أبنائه إلى العالم الشاعر الاديب د الشيخ عبد الهادى نجا الاييارى ،

وكان ذلك حاثا للشعراء على أن يمتدحوا د اسماعيل ، وأن ينظموا الشعر فى الولاء له ، حتى لم تخل صحيفة الوقائع وهى الصحيفة الرسمية من شعر يمدح به فى شتى المواسم والاعياد والمناسبات .

على أن هذه العوامل كلها لم تكن كفيلة بأن تغير صفحة الشعر تغييرا تاما ، بل لقد ظل متورطا فى الصناعات اللفظية والمحسنات البديعة ، ولم يزل الشعراء عاكفين على التاريخ فى قصائدهم ، وإن كانوا قد اتجهوا نحو الفكرة فى الشعر وتوخوا المعنى شيئا ما ، واتسعت أفكارهم ، وخف تناولهم الزخرف وتزيينهم الالفاظ والاساليب .

أما د توفيق باشا ، فقد منح الادب عناية وتشجيعا عظيمين وأجدى على الشعراء وكافأهم ، بل دل على ولوع بالشعر وارتياح له ، وقد حدث د عبد الله فكرى باشا ، أن د توفيقا ، أمره بأن يجمع من الحكم والامثال وجوامع الكلم أبياتا تكون زينته فى المسامرة ، وعونه فى المطارحة والمحاضرة ،

ومرشدا لمحاسن السجايا الفاخرة

وارتياح «توفيق» للشعر هو الذى بدل عضبه على الثائرين على حكومته
صفحا ورضا، واستجاب للشعر فعفا به وأغضى، كتب إليه «عبد الله
فكرى باشا» وكان متهما باشتراكه فى الثورة العرابية ومشايعته الثائرين
يستعطفه بقصيدته التى يقول فى مطلعها

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى

وكبر إذا وافيت واجتنب الكبرا

وقف خاشعا واستوهب الإذن والتس

قبولا وقبل سدة الباب لى عشرة

وبلغ لدى الباب الخديوى حاجة

لذى أمل يرجو له البشر والبشرى

فلم يلبث «توفيق» أن هش له وعطف عليه ورد إليه معاشه الذى كان
قد حرمه إياه

ويدل صنيع «توفيق» مع «السيد عبد الله نديم» هذه الدلالة فقد شفع
له إذ مثل بين يديه بعد أن كان جادا فى تعقبه مكافئا على العثور به وهو
خطيب الثورة الذى هيج النفوس وملأها حماسة وثورة، عفا عنه «توفيق»،
إرتياحا لأدبه وتقديرا لبيانه، وذلك هو المرحوم «أحمد شوقي بك» يحدث
عما تقلب فى أعطافه من رعاية «توفيق» وحده إذ أمره بالألا يتجه إلى والده
فى شىء من حاجاته ورغائبه وأن يتجه بها جميعا إليه

وكان من آثار شيوع الثقافة وانتشار التعليم والصحافة وسعة الحرية
تلك الثورة العرابية التى هزت الأفكار وأيقظت القرائح والعقول

ومن شعراء تلك المرحلة «محمود صفوت الساعاتى»، «والسيد على أبو النصر
المنفلوطى»، «والسيد صالح مجدى بك»، «وعبد الله فكرى باشا»، «والشيخ
على الليثى»، «وعثمان بك جلال»

المرحلة الثالثة

أقترن عهد «توفيق» بالثورة العرابية التي كانت أثرا من آثار الشعور بالكرامة الوطنية ، والنزوع إلى الحياة الكريمة ، وكان الاحتلال الإنجليزي يدا امتدت إلى الحرية فسلبتها ، وإلى العزة فجرحتها ، وإذا ذلك صرخى الدماء واشتعلت العزائم وهب الشعب المصرى ينادى بالحرية والحياة فطفق الأدباء والشعراء يعبرون عن نكبة الوطن بمختلف الأساليب ويصورون حال الشعب بفنون من القول ، ونزح كثير من المصريين إلى أوربة لطلب العلم بها والتحدث عن قضية مصر فيها ، فنجم عن ذلك الاختلاط امتزاج في الفكر والخيال كان مما ساعد على بلوغ هذه النهضة

وكان لهذا الاحتلال السياسى أثره في نفوس الأدباء والشعراء فصوروا هذه الكارثة السياسية وحضوا على الجهاد والتحرر ما ساعفهم المجال وأصبحت السياسة غرضا جديدا من أغراض الشعر يتوخاه كل شاعر حسبما تسمح ملابساته وشؤنه ، والتفتوا إلى ماضيهم الخالد ينشرون مجده ويعرضون منه صفحات عناها تحفز الهمم لتصل الحاضر بالماضى

وكان «البارودى» أبلغ الأثر في توجيه النهضة الشعرية في هذا العصر فراح الشعراء يحجرون على طريقته ، ويترسومون سبيله ويتوخون محاكاته فعكفوا على شعر الفحول من شعراء العرب في الجاهلية والإسلام واستظهروا مازاق وطاب ، فتهيات لهم ملكات سليمة ، وطباع طيبة (وجرى الشعر جزلا شريف اللفظ مشرق الديباجة متلاحم النسيج ، رصين القافية) (١)

وبدأ الشعراء يهجرون الطلاء اللفظى ويحافون الزخرف والمحسنات ، لا يعملون فيها فكرا ولا يبذلون لتحصيلها جهدا ، إلا إن واتهم عفوا ووفدت إليهم دون استكراه ، وأصبح الشعراء على الإجمال يستنكفون من القيود التي كان سلفهم مقيدين بها من حيث الاستهلال والتخلص

والجناس وصاروا إذا اهتموا بمدح أو رثاء أو غزل أو حكمة بدأوا بها
رأساً وإن كان كثير منهم لا يزالون يتحدون أساليب القدماء (١)

أما معاني الشعر فقد زادت جدتها واتسع أفقها بما تيسر لها من مظاهر
جديدة ونهضة محدثة وأدب أجنبي يفسح في الثقافة ويزيد في ألوانها ويمد في
خيالاتها ، كل هذا كان نبعا صافيا نهل منه الشعراء فأغنهم عن مجازاة الأقدمين
في بكاء الأطلال والديار والحنين إلى الطباء والعيس ، فأصبحوا يصفون
ما جد من المخترعات وما استحدث من العلم وابتدع من الفنون

وقد حفلت هذه الفترة بالشعراء المبحول الذين رفعوا مكانة الشعر
وردوا إليه حياته وجماله من أمثال « محمود سامي البارودي » ، « وأحمد شوقي » ،
« وحافظ إبراهيم » ، « وحفني ناصف » ، « ومحمد عبد المطلب » ،

* * *

التجديد في الشعر

كان من الطبيعي أن يساير الشعراء روح العصر وأن يتأثروا بالحضارة
الحديثة التي وافتهم من الغرب فيجددوا في أفكار الشعر وأساليبه وخيالاته
وطرق تصويره ، ويحانبوا الغموض والتعقيد ، ويعالجوا وصف المخترعات
المحدثة والحياة الجديدة ، ويتوخوا المعاني فيجعلوها موضع احتفالهم ، والأغراض
فتدور على شرحها والتعبير عنها أفكارهم ، دون كلف باللفظ أو ولوع بالطلاء
وكان من الشعراء المصريين في هذا العصر من بلغوا في هذا الشأن مبلغا
سما به الشعر والشعراء ، فكانوا مثلاً كريماً للشعراء الذين جمعوا إلى جزالة
القديم ورصانته تطور الحديث في كل مظاهره ، وكان منهم جمهرة يعقد عليهم
الآمل ويناط بهم الرجاء من أمثال « شوقي » وحافظ وإسماعيل صبرى ، لولا

(١) تاريخ أدب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ٤ ص ٢٢٦

أن الموت استأثر بهم فقام من بعدهم فريق من الشعراء يهتدى مرة ويضل أخرى ، وتستقيم له الطريق حيناً وتلتوى به آخر

وكان من آثار النهضة الجديدة في الشعر أن التفت كثير من الشعراء عن العكوف على طريقة العرب القديمة فلجأوا إلى السهولة وبجارية العصر في الوصف وتصوير الحضارات الطارفة ، واستعملوا في شعرهم ما يتصل بشئون العصر من تعبير أو تفكير أو خيال أو غرض ، غير أن بعض الشعراء لا يزالون يتحدثون عن الأطلال والدن والأربع الخوالي ، والناقة والبيداء ، والعرار وصبا نجد ، وكأنهم لم يجدوا من بينهم الخصبة بخيالاتها ومشاهدها وصور الحياة فيها ما يشغلهم ويكون مجالا لتفكيرهم وأداة لخيالهم ومناطاً لتصويرهم ، وكأنهم يعيشون في عصر غير عصرهم ويحدثون قوما لا صلة لهم بهم في الشعور والتصوير

نحب تراثنا العربي المجيد ونود أن نفاخر به في كل حين وأن يستزيد الشعراء من استظهار هذه الثروة الخصبة ليستمدوا منها القوة والجزالة ويستعينوا بها على تقوية الملكات وتنمية القرائح ، لكن على أن يعين ذلك كله الشعراء على تأدية رسالتهم في هذه الحياة فيؤاثموا العصر ويساقوا الشعور وإلا عاش الحاضر بماضي الآباء والأجداد ، وعقم المعاصر عن إيجاد نهضة شعرية تكون للأدب حياة وللشعراء مجدا

وهناك فريق من شعراء مصر انصرفوا عن القديم برمته ، وأغضوا عن كل ما أعقبه الماضي من ثروة ، وهاموا بالجديد وانفضوا عن القديم لأنه قديم ، كأن الجدة وحدها هي البريق الذي يخطف أبصارهم ، نأى هؤلاء عن الشعر العربي القديم ، وتخلوا عن أساليبه ففاتهم جزالة النسيج وأخطأوا النهج الواضح وضلوا الأسلوب الرصين وأصبحوا فراغا من القديم والجديد معا لأن ما وأفاهم من الجديد لم يكن إلا تخبطا وعثارا وما كان هذا المسلك منهم إلا عيا في الملكات ، وجودا في القرائح ، والموهوبون من الشعراء الفحول من يجمعون بين جزالة القديم وروعته وجدة المحدث وطرافته

وانك لتجزع لما يطالعك من شعر هؤلاء من خيال سقيم وغرض تافه
وإدعاء ممقوت ، ومعنى سمج ، وفكر ناب ، وقد ملأوا الدنيا ضجيجا ومفاخرة
بدواوينهم الغثة التي يخلعون عليها ألقاب المجد ونباهة الشأن ورفعة المنزلة ،
مدعين أنها دراسات فنية دقيقة وتصويرات رائعة رقيقة ، وأنها الهامات من
لدى الوحي الصادق والعبقرية الملهمة

وأول ما تشاهده في هذه الدواوين بوجه عام ذلك التنوع الظاهر في
إختيار الأسماء وإختلاق الألقاب للدواوين والأشعار فانك تجد فيها
(الينبوع والشفق الباكي واللحن الضائع والغمام الحائر والأعشاب ، وتجد
بين أسماء القصائد والمقطوعات الحزن الوديع ، وزهر الحب ، واللمفة الخالدة
والبسمة الحزينة ، وحلم العذاري وأنشودة الهاجر) وهي ترجمة لبعض
ما يترامون عليه ويدعون دراسته والمعرفة برجاله من الأدب الأجنبي بما
يصح أن يشعرك أيضاً بإهتمامهم لأدبهم حتى احتاجوا إلى تزيينه بمثل الكلمات
المجلوبة والألقاب المموهة (١)

هذه هي الألقاب التي يفتنون في إطلاقها على دواوينهم وقصائدهم
ومقطوعاتهم وذلك هو مظهر التجديد عندهم ، على حين أن شعرهم من
المعاني الخصبه والأغراض الكريمة خواء

* * *

(١) الأستاذ محمد هاشم عطية من بحث في صحيفة دار العلوم العدد الثاني من
السفة الأولى .

شعراء الأزهر والتجديد في الشعر

ومن التجديد المثمر الذي أدخل على الشعر العربي في العصر الحديث ما فعله الشيخ «رفاعة رافع الطهطاوى» ، أحد زعماء النهضة الأدبية والعلمية في هذا العصر ، فإنه لما عاد من بعثه إلى «باريس» ، حاول إدخال نوع جديد في الشعر المصرى إذ كان قد تعلم الفرنسية وآدابها وأراد محاكاة بعض الشعراء هناك ، وكان من أول أثره في ذلك أن نقل قصيدة «المارسيليز» التى هى تشيد فرنسا القومية إلى العربية فى شعر تصرف فيه بعض التصرف حيث قال : -

فيا يا بنى الأوطان هيا فوقت نغاركم لكم تهيئا
أقيموا الراية العظمى سويا وشنوا غارة الهيجا مليا
عليكم بالسلام أيا أهالى ونظم صفوفكم مثل اللآلى
وخوضوا فى دماء أولى الوبال فهم أعداؤكم فى كل حال
وجودكم غدا فيكم جليا

لماذا تبثنى من الجندود وهم جمع وأخلاق عبيد
كذا أهل الخيانة والوفود كذاك ملوك بغى لم يسودا
تعصبهم لنا لم يجد شيئا

الح

وقد جرى على هذا النهج فى إنشاء أناشيد وطنية مصرية ومدائح لحكام مصر مزجها بذكر مجد البلاد ، ومن ذلك منظومة طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٢٧ من الهجرة قال فيها يمدح «سعيد باشا» الخديو

بشرى لمصر سعدا بالعزلاح وسعيدا بالفوز ساعده الفلاح
أبناء مصر نحن موطننا أصيل حسب عريق زانه مجد أثيل

ونفخارنا في السكون جل عن المثل

بشرى لمصر

نحن السراة وشأنا حب الوطن ولشأنا السامى نزاحم من قطن

شأنى حمانا ليس من أهل الفطن فهو الدعى وعرضه شرعا مباح

بشرى لمصر

وطن عزيز لا يهان ولا يضام وحمى تعزز من علا عليها حام

مجد له لا زال يخترق الغمام عين السها لفخاره ذات التمام

بشرى لمصر

الح

فكان الشيخ «رفاعة» من المجددين في الشعر على هذا النمط

وكان صاحب الفضل في إضافة هذا اللون من الشعر الذى يمثل الحياة

المصرية من بعض وجوها

لقد غرس «رفاعة» في الشعر الحديث هذا الغرض الذى كان نواة

للأناشيد القومية التى تودع كل معانى الحماسة والغيرة على الوطن والتي هى

رمز لكفاح الدولة

وكان من تجديد الأزهريين في الشعر الحديث أيضاً ما اقتدر عليه المرحوم

«السيد عبد الله نديم» من اخضاع الزجل لمعانى الشعر الرفيعة وإيداعه

تخيلاته الرائعة وألوان الأدب فى شتى صورها - واستخدامه الزجل فى

توجيه الشعب وتقويم الأمة ودعوتها للنهوض سياسيا وخلقيا واجتماعيا

الثورة على الأوزان الشعرية

وبما جنح إليه كثير من الشعراء المحدثين الثورة على الأوزان الشعرية زاعمين أن التزام وزن واحد وقافية واحدة يصد عن الإطالة ويعوق دون إحداث الملاحم في الشعر العربي ، وقد أطلقوا على القصيدة التي تجمع أوزاناً مختلفة « مجمع البحور » ، والتي تضم أكثر من قافية « الشعر المرسل » ، ولست أعرّف لمذهبهم هذا من سبب ولا لثورتهم تلك من علة ، إلا عجزهم عن الإطالة وإعياء أنفسهم عن الاسترسال وضعف معينهم الشعري عن الإفاضة والتدفق فيما اتحد نغمة ولحنا

وقد كان من أثر ذلك أن اختلت نغمة الشعر واضطربت ألحانه ، ومجتها الأسماع ولو أن هؤلاء الشعراء قنعوا بما استحدثت من الأنواع التي يستريح الشاعر فيها من التزام القافية كالמושح والمزدوج والمسمط التي اخترعت من قبل لحفظوا جمال الشعر وأبقوا على روعته

نعم إن المرحوم « شوقي بك » ارتضى لنفسه الجمع بين الأوزان المختلفة والتقل من بحر إلى بحر في رواياته الشعرية ، ولكن ذلك مذهب في الشعر سائغ لا ينكسر إذ أن « شوقي » لم يعتمد إلى ذلك عن تقاصر منه أو إعياء وهو صاحب المطولات التي تطول وتطول حتى يخيل إليك أن صاحبها لا يفرغ منها وهو في آخرها كأولها قوة وصفاء لفظ وإشراق ديباجة ، ولكنه عمد إلى ذلك في رواياته التمثيلية التي هي أداة التسلية ومجال التلهي ، ومن شأن ما هو كذلك أن لا يكون على الطول الممل والأسهاب المسبب

على أن « لشوقي » مندوحة في هذا الصنيع إذ أن الروايات انما تقوم على السنة مختلفة ، وأبطال متعددة ، ولكل منهم أن ينشد على وزن غير ما ينشد عليه الآخر وأن يغاير بقافية غير قافيته

والذى نراه صالحا ومحققا لما يريد المحدثون من استطاعة نظم الملاحم
والقصص الطويل هو أن يجعل الشاعر ما حمته أو قصته فصلا وأبوابا يختار
لكل فصل أو باب الوزن والقافية المناسبين له ، وبذلك يجمع بين صيانة
القصيد العربى وما يريد من طول النفس ويكون كل فصل من قصته قصيدة
واحدة بوزنها (١)

(١) الأستاذ محمود مصطفى فى مذكراته فى الادب فى العصر الحاضر صفحة
رقم ٤٠٨

نظر علماء الأزهر إلى الشعر

رسالة الأزهريين دينية خلقية ، ينشرون دين الله في الأرض ، ويحضون على الفضائل جهدهم ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق بكل أسلوب ، ومن ثم كان طابعهم الجلال وسمتهم الزماتة والوقار ، وحديثهم النقي العفيف ، يحرصون كل الحرص على أن يكون شعرهم بعيدا من الفحش لإمامتهم في الناس ، ويجهدون أنفسهم في مجانبة ما لا يتفق مع هذه النزعة أو يجافي ذلك الاتجاه .

وفي هذا الأفق ينظر علماء الأزهر إلى الشعر ، وبهذه المثابة يرون رأيهم فيه ، فلم يكن من الجائز في نظرهم أن يسرفوا في قول الشعر هجاء وملاحاة ، أو يمتنعوا في قرضه خوفا في عرض . أو تأريثا لعداوة ، ولم يعهد فيهم أن يقولوا الشعر لا يتحرزون فيه عن ذكر الغافلات المقصورات في خدورهن ، ورأوا من كرامة العلماء أن يعفوا عن المبالغة في المدح والاطراء والتدلي إلى الكذب والتجنى على الناس وإذا حاموا حول ذلك في شعرهم فبقصد واعتدال دون إغراق ولا مغالاة ، وهذا الشعور من العلماء ، وتلك النظرة منهم إلى الشعر كانت جنائية في كثير من الأحيان على كثير من فنون الشعر وأغراضه ، فقد أنفوا أن تفيض شاعريتهم في ألوان مختلفة تهتز لها الأسماع وتخفق لها القلوب ، فكان ذلك مضعفا لشعرهم فوق ما ضعف به من ضيق خيالهم وأفقهم المحدرد الذي يعيشون فيه .

والشعر في رأي الشاعر الذي لا يتزمت ولا يتعفف خيال وتصوير وافتتان لا تخرج ولا تصون فيه ، وأعذبه في رأيه أ كذبه كما يقولون ، ولسكنه عندهم في هذا المتجه مجافاة لرسالتهم وزرارية بمكائهم ، وذلك هو الذي حمل العلماء على أن يطروا صفحة فيها مجون وطرب ، وفيها خفة وغزل ، وألا ينشروا

(٧ - أزهر - ثالث)

من ذلك إلا الهين المقصود ، وذلك هو الذى حضهم على أن يخفوا عن
الناس شعرا أو دعوه مكنون صدورهم ومجلى أخيلاتهم وخففة أفئدتهم .
وجعلهم يشعرون بأن من الشعر ما هو عورات يجب أن تستر ، واستهتار
لا ينبغى أن يظهر .

وهذا هو « السيد عبد الله نديم » الأزهرى الخطيب الكاتب الشاعر تبحث
عن شعره الذى تدفقت به شاعريته الفياضة فلا تهددى إلا الى غيض من
فيض وقل من كثر حدث الأستاذ « احمد سمير المترجم له فى صدر مختاراته
المعروفة « بسلافة النديم » أن له ديوانين منظومين يشتملان على سبعة
آلاف بيت .

ويقول فى تصديره للسلافة (ولما كان فى يافا أول مرة بعث إلى محررا
يكلفنى به أن أطلب « ديوان شعره الصغير » من صديقه المرحوم « عبد العزيز
بك حافظ » فلما قصده وجدته مصابا فى قواه العقلية بما لم يدع للطلب مجالا
ثم كتب إلى ثانيا بأن ديوانه الأوسط عند « م . بك . ف » فطلبت منه فاعتذر
بأنه ضاع ، فلما أنبأت المترجم بذلك أرسل الى فى مكتوبه الثالث أنه إنما
طلبهما ليحرقهما براءة منهما ومن أمثالهما لأن فيهما هجرا كثيرا ، وختم
المكتوب بهذه العبارة (وقد خلعت تلك الثياب الدنسة وليست ثوب « إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا »

ذلك هو رأى أحد علماء الأزهر فى الشعر ، وتلك هى نظرتة له فاهجاء
فى نظره رجس والملاحاة فى رأيه ثوب من الدنس ، ومن ثم فهو يريد أن
يحرق هذا الشعر وأن يجعل هذه الثروة القيمة حطبا للتاركى يذهب الله عنه
الرجس ويظهره تطهيرا

وهذا شاعر آخر من شعراء الأزهر الفحول وهو المرحوم « الشيخ على
الليثى » يلعن من يطبع ديوانه المخطوط المحفوظ ، لأنه يخشى حسابه على ما
أودعه من قول يزعم أن فيه منافاة للورع والتقية

ولعل لم أسمع أن شاعرا آخر معاصرا غير أزهرى طاعته نفسه أن يحرق شعره لأن فيه هجرا وملاحاة مهما كان شعره من الغثاثة والضعف والانحلال طلبا للتطهير وبعدا من الرجس والدنس ، ولعل أيضا لم أسمع أن شاعرا آخر غير أزهرى لعن من يطبع ديوانه المخطوط المحفوظ لسبب من الأسباب

بل إن كثيرا من الشعراء غير الأزهريين يقيمون حول شعرهم ضجة هائلة من الدعاية والترويج ويحتشدون في طبع شعرهم محتالين على أرباب اليراعات أن يقدموا دواوينهم بعبارات التقريظ والإطراء المبالغين ، بل إن كثيرا من الشعراء غير الأزهريين يسعون لدى الشفعاء أن يتوسطوا لطبع شعرهم وعساهم ألا يقتصروا على طبع الشعر بل يقدموا لكل قصيدة بصورة رمزية تمثل فتاة عارية أو صديا ضارعا أو منظرا مسرفا في فحشه وخلاعته ، ويرى الأستاذ العقاد أن القدوة عند شعراء الأزهر في هذا المذهب ما يروى عن الإمام الشافعي إذ يقول :-

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكننت اليوم أشعر من لبيد^(١)

وقد يكون القدوة عندهم في ذلك ما حكم الدين به على الشعر فهم يعلمون أن الإسلام إنما جاء بالجسد الذي يحض على الثواب في الآخرة ويحرم على المسلمين فضلا عن علمائهم الكذب في القول وإشاعة الفاحشة وقذف المحصنات والحديث عن الخمر والمحرمات والولوع في الأغراض وتأريث العداوات .

وهم يعلمون أن الله نزه محمدآ صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، وأن الله ذم الشعراء بقوله (والشعراء يتبعهم الغاوير) وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف

(١) شعراء مصر وبيتاتهم للأستاذ عباس العقاد ص ٩٠

أحدكم فيريه خير له من أن يمتلي شعرا
 وهم يعلمون أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن من البيان لسحرا
 وإن من الشعر حكمة ، وأنه خلع على كعب بن زهير برذته التي اشتراها منه
 معاوية بثلاثين ألف درهم وتوارثها الخلفاء من بعده . يلبسونها في الجمع
 والأعياد .

وأنه كان يكثر من استنشاد الحنساء في رثاء أخيها صخر ويقول : هبه
 يا خناس ، وأنه دعا إلى الشعر واستعان به في دعوته واتخذ حسان شاعرا له
 ينافح عنه وكان يقول له : شن الغارة على بني عبد مناف فوالله لشعرك أشد
 عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام ، وأنه استحس شعر النابغة الجعدي
 ودعا له وذلك حيث يقول النابغة : أنشدت رسول الله عليه وسلم قولي

بلغنا السماء بمجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرنا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقالت الجنة
 يا رسول الله ، فقال أجل إن شاء الله . ثم قال انشدني — فأنشده قولي

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بؤادر^(٢) تحمي صفوه إن يكدرنا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرنا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اجدت لا يفضض الله فاك ، قال الراوى
 فنظرت إليه فكأن فاه البرد المنهل ما سقطت له سن ولا انفلت^(٣) ترف
 غروبه^(٤)

(١) وروى القيسج جوفه كوعى أفسده ، وروى فلان فلانا أصاب رثته

(٢) بؤادر جمع بادرة وهى الحدة أو ما ييدر من الإنسان عند الحدة من
 الخفة الى الانتقام بالقول أو الفعل

(٣) انفلت انثلت — ترف تبرق وتلح — غروب الأسنان ماؤها وظلها

(٤) دلائل الاعجاز ص ١٨

كما يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أنابه ودعاه ، وأن الشعراء
أنشدوا بين يديه واهتز لمنا أنشدوه ، فهذه هي قتيلة أخذت النضر بن الحادث
الذي كان غالبا في عداوة المسلمين بمكة يكثر أذاهم ويلقن فتيان قریش الشعر
في هجائهم أسره النبي في بدر وقتله فجاءته أخته وأنشدته : -

- | | |
|----------------------------|---------------------------------|
| يا راكبا إن الأتيل مظنة | من صبح خامسة وأنت موفق (١) |
| أبلغ به ميتا بأن تحية | ما إن تزال بها النجائب تخفق (٢) |
| منى إليك وعبرة مسفوحة | جادت بواكفها وأخرى تخفق (٣) |
| هل يسمعني النضر إن نادية | أم كيف يسمع ميت لا ينطق (٤) |
| ظلت سيوف بني أبيه تنوشه | لله أرحام هناك تشقق (٥) |
| صبرا يقاد إلى المنية متعبا | رسف المقيد وهو عان موثق (٦) |
| أحمد ولدتك خير نجيبة | في قومها والفحل فحل معرق (٧) |
| ما كان ضرك لو مننت وربما | من الفقى وهو المغيظ المحنق (٨) |
| فالنضر أقرب من قتلت قرابة | وأحقهم إن كان عتق يعتق |
| لو كنت قابل فدية لفديته | بأعز ما يغلى به من ينفق (٩) |

-
- (١) الأتيل واد قرب بدر وهو الموضع الذى دُفن به خوفاً
(٢) تخفق كتضرب - تسرع
(٣) وكف المطر والد مع سال
(٤) أم للأضراب - أى هل إنه لا يسمع لأنه لا ينطق
(٥) تنوشه - تلتناوله
(٦) يقال قتله صبرا - وصبر الإنسان على القتل أن يحبس ويرمى حتى يموت ،
العانى الأسير الموثق المقيد بالوثاق
(٧) الفحل - كناية عن الأب ، والمعرق الأصيل
(٨) المحنق - المعتاظ من أحنقه إذا أغاظه
(٩) غلا بالشئ وغالى به - طلب فيه ثمنا غالبا أو اشتراه كذلك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سمعت هذا قبل قتله لمننت عليه ،
وهم قد عرفوا أيضا أن كثيرا من شعراء الإسلام أنشدوا بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم غزلا ومن ذلك ما أنشده كعب بن زهير إذ يقول

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكحول (١)
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحول (٢)

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت

كأنه منهـل بالراح معلول (٣)

كما عرفوا أن الخلفاء ارتاحوا للشعر واهتزوا له وحضوا على الحرص
عليه وتأديب النشء به ، فهذا عمر بن الخطاب يقول روى أولادكم ما سار من
المثل وحسن من الشعر وكتب إلى أبي موسى الأشعري يقول مر من قبلك
بتعلم الشعر فإنه يدل على معالى الأخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب
ويروى أن السيدة عائشة كانت تحفظ شعر لبيد وتقول « روى أولادكم
الشعر تعذب ألسنتهم » بل كانوا يجدون تعلمه ضروريا لفهم القرآن ، وقد
قال ابن عباس رضى الله عنهما « إذا قرأتم شيئا فى كتاب الله فلم تعرفوه
فاطلبوه فى أشعار العرب »

(١) المتبول - من تلبه الحب إذا أضناه وأفسده أو ذهب بلبه وعقله ، والمتيم
المذلل المعبد ، والمغلول من وضع الغل فى عنقه وفى رواية مكبول وهو المقيد
بالكبل أى القيد

(٢) الأغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه . غضيض الطرف من غضه إذا خفضه

(٣) العوارض جمع عارضة وهى السن التى فى عرض الفم ، الظلم شدة صفاء منون
الإنسان المنهل ، النهل محركة أول الشرب والمنهل المشرب والشرب والمنزل يكون
بالمغارة ، معلول - العال محركة الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا

هؤلاء العلماء عرفوا ذلك كله فيما توافد إليهم من التاريخ والأدب فهم يعرفون أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر وموقف الخلفاء منه لم يكن بغضا كله ولا حبا كله ، لم يرتاحوا للشعر في كل حال ، ولم ينكروه وينفضوا عنه في كل حال ، بل اهتزوا لما دعا منه لنصرة الدين ومكارم الأخلاق وحض على المروءة والوفاء والنجدة والأخذ بأسباب الفضائل ، وارتاحوا لما كان غزلا عفيفا وهوى بريئا لا يفضح النساء ولا يكشف عن العورات ولا يتصل بالأعراض ، بل يرمى إلى نبل الغاية وبراءة الهوى وعفة القصد ولا يراد منه امرأة خاصة يسكون الحديث عنها قذفا وإفخاشا .

اهتزوا لهذا كله ولسكنهم لم يستمعوا للشعر المفحش ، ولم يطربوا لما تدلى إلى ضعة الأخلاق ودناءة الأغراض .

فعلماء الأزهر الذين هم ورثة الأنبياء والقائمون على دين الله سلكوا طريق الشعر على هذا النهج ، وأباحوا منه لأنفسهم ما أباحه الإسلام ، وحرموا منه على أنفسهم ما حرمه الدين ، فنظرهم إلى الشعر فيه تقية وتورع ، ومن ثم خلا شعرهم غالبا عما ينافي هذه المبادئ ، ويحيد به عن الجادة .

ومن كانت رسالته بهذه المثابة ، ومكانته على هذا الوضع ونظرتة في هذا الأفق لا يسمح لنفسه أن يشبب فيفحش ، أو يهجو فيقذع ، أو يمدح فيتضع أو يمعن في الحديث عن المحرمات والمجاهرة بالدعوة إلى الخمر ، وهو العليم بأن ذلك تأثم واستهتار ، فإن استجابت نفس بعض منهم لدواعي الشعر وترنحت أعطافه بهوى ذلك الفن وانساق في شعره مساق غيره من غير المتحرزين فإنما يخفى ما يقوله ويكتمه عن الناس ، وما ذلك فيهم الا أقل من القليل .

وإني لأسائل نفسي هل كان شعراء الأزهر من فطرة غير فطر الناس ، وهل تخرجوا عن طبيعة البشر فكان لهم احساس خاص ؟ هل يحمدون

حيث ترق العواطف ، وينقبضون إذ ينطلق الحياء ، ويعبسون للجمال إذا
ابتسم له قم الزمان ؟ هل مكثوا من الخواس والمشاعر فخر موها حسن التعبير
وعاشوا بها دون شرح وتصوير ؟ هل حبسوا الخيال أن يطير في مجاليه ،
والقلب فلم يخفق بحب من يستهويه ؟

أنا أفهم أن فريقا من شعراء الأزهري أحققهم بعض الناس فامتلات
نفوسهم بغضا له فهجوه وصوروا بغضهم في شعر لاذع وهجر مرير ، ومنهم
من أحب من يجدر بحبه وإجلاله ، فأفاض في شرح مكارمه وتصوير خلاله
ونخل عليه من ألقاب الرفعة وحلل الكمال ما يشاء الشعراء ، ومنهم من
ترنحت عواطفه لمعانى الجمال وخفق فؤاده لإشراق القسمات ونور الحياء ،
وحومت روحه حول الخرد الغيد والطباء السكنس ، وعبر عن ذلك بصور
من شعره وألوان من فنه - لم يكونوا جمادا ولا تماثيل ولم تكن لهم قلوب
من الحجارة ، ولا عواطف من غير عواطف الناس ، هم أحبوا كما يحب كل
إنسان ، وهووا كما تهوى كل روح ، واثقفوا مع بعض الخلائق كما يأنف
كل خليل مع خليله ، ولكن حبهم حب فضيلة ونبل ، وهواهم هوى عفة
وشرف وغزلهم غزل كمال محتشم ، وصباة مخدرة ، يتخيّلونه في مطلع
القصائد حيناً ويعبرون به عن شعورهم حيناً آخر

ولقد كان العلماء الشعراء في حيرة من أمرهم ، فدينهم يدفعهم إلى التوقر
وعواطفهم تحضهم على العزل والتشبيب ، وحياة أمثالهم تتطلب تجاهل
الحب وعدم الانسياق فيه وغض النظر وكبت النفس وترك ذلك لأهل
الخلاعة ، ولكن ما جريرتهم وليس مرد العشق إلى الرأى فيملك ، ولا
إلى العقل فيدرك ، إنما هو كما قال الشاعر

ليس أمر الهوى يدبر بالرأى ولا بالقياس والتدبير
إنما الأمر في الهوى خطرات محدثات الأمور بعد الأمور

لا تدرك الأبصار مداخله ، ولا تعي القلوب مسالكه ، وهو كما قال

القائل — إن لم يكن طرفاً من الجنون فهو عصارة من السحر — فسواء
أكان صاحبه فقيها أم ديناً ورعاً أم داعراً فاجراً فهو إذا مس قلبه صرعه وأذله
لقد كنت ذا بأس شديد وهمة إذا شئت لمساً للثريا لمستها
أتبني سهام من لحاظ فأرشت بقلبي ولو أستطيع رداً رددتها (١)
ومن ثم لم يكن لهم بد على رغم تدينهم من تصوير عواطفهم وشرح
وجدانهم بالشعر ولكن لم يظهر من شعرهم الغزلى فى أغلب الأمر إلا ما
نقبت صفحته وطهر غرضه وشرف مغزاه ، وعسى أن يكون من ذلك ما
يقوله « عبد الله باشا فكرى ، أحد شعراء الأزهر ممثلاً إلى حد كبير براءة
شعره الغزلى ومجانبة الإفحاش والإسراف وذلك حيث يقول :-

ما أحيل يوم اجتمعنا بروض أوردتنا ظلاً ظليلاً غصونه
كان فيه الرقيب غير قريب والزمان الختون نامت غيونه
فجزنا مر المدامة فيه بحديث مستعذب مضمونه
إن فى سكرنا من اللفظ واللح ظ غناء عما تدير يمينه

فقد تمياً له لقاء الحبيب فى الروض الناضر وظل غصونه الظليل ، وليست
عين الرقيب قريبة فتزى ما عساه أن يكون بين المحب وحبيبه من طوى الهوى
وعبث الغرام ، ولكنه كان فى صون وتحرز وهجر « مر المدامة » إلى عذب
حديثه وآثر « السكر » من لفظه ولحظه على سكر الكأس تديرها يمينه .

« عبد الله فكرى باشا » هو الذى يحدث فى شعره بأن أسباب الفتنة
تواتت له وتيسرت له بالمحب مفاتن تغرى النفس ، ومباهج تنحل معها أو أصر
العفة والتصون ولكنه لم يحاف الشرف ، ولم ينأ عن التعفف ، وذلك
حيث يقول :-

(١) من مقال للأستاذ أحمد أمين بك فى مجلة الثقافة عدد ٣٦٤ بعنوان « إمامان
فقيهان عاشقان » هما « محمد بن دوار الظاهري وعلي بن حزم »

فقال وقد مال الكرى بقوامها كما مال بالنشوان صرف من الخمر
وماست تزجى ردفها في مورد من اللاذ قد وشته بالدر والتبر (١)
وتمسح عن أجفانها النوم سحرة فيرفض عنها كل فن من السحر (٢)
وبتنا كما شاء الهوى في صيانة وعفة ثوب لم يزر على وزر
وهذا هو رفاة رافع الطمطاوى ، أحد علماء الأزهر وشعرائه يمثل عفة
العلماء وقناعتهم في الملذات ويمرر الكرام بما يطيل الشعراء الوقوف عنده
وتسريح النظر فيه وذلك حيث يقول : -
قد قلت لما بدا والكأس في يده

وجوهر الخمر فيه شبه خديه
حسبي نزاهة طرفي في محاسنه
ونشوتي من معاني سحر عينيه

فهو يقنع بنزاهة طرفه في محاسن محبوبه عن التمتع بهذه المحاسن فلا يقبل
فأولا يهصر عودا ، ولا يذهب مذاهب العشاق ، من الضم والعناق ، ويغنيه
من حبيبه النظر إلى مواطن جماله ، والنشوة بمغاني سحر عينيه عن كل ما
يلتمس سواه من لذة ومتاع

وهذا هو « عبد الله فكرى باشا » الذى يعف في الهجاء ويتدلى إلى
الملاحاة ويذهب مذهب القصد والاعتدال فيتخرج من الإسفاف في الهجاء
والإقذاع فيه ، انظر إليه إذ يقول : -
رمانى بهجر القول لا دردره

ولو رمت هجر القول لم يستطع في

(١) اللاذ جمع لاذة وهى ثوب حرير أحمر صينى — وشى الثوب تمنحه ونقشه
وحسنه

(٢) السحرة بالضم السحر الأعلى

ولو شئت حكمت القوافي بيننا بماضى شبابة القول فيهم مصمم^(١)
ولكنني أنهى اللسان عن الخنا وألوى عنان الأعوجى المقوم^(٢)
سأضرب صفح القول عنهم نزاهة
وأطويه طى الاتحى المسهم

وهذا مذهب فيه تقية وتورع وصون للسان عن الهجر والإفحاش
حتى لو رام هجر القول لأباه فنه على رغم أن القوافي ماضية كالسيف

ووعبد الله فكبرى، أيضا يضرب أبلغ الأمثال فى صون قريضه عن
مدح من لا يجدر بمدحه، وهو بمثل مذهب العلماء الشعراء فى التسمي بشعرهم
عن مدح من هان شأنه من الناس، والضمن بالإطراء على غير من هو أهل
لإطرائه فهو يقول

ولدت بأعطاف القريض وطالما

رميت ذراه بالقلأ والتجهم

ولكنني أرويه عن غير أهله وأهديه مدحا للخديو المعظم

كما يمثل مذهبهم أيضا فى صدق الشعر والنأى به عن الكذب والنفاق،
وقصره على ما الحب داع من دواعيه

نخر القصائد أنى لست أنظمها

إلا وللحب داع من دواعيها

(١) شبابة كل شئ حده، والجمع شبأ وشبوات. صمم فى الأمر تصميم ما مضى
كصمم وعرض ونهب والسيوف أصاب المقصل وقطعه أو طبق.
(٢) (الأعوج السىء الخلق) وبلا لام فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات
(٣) الاتحى — برد معرف — المسهم لمعظم البرد المخطط.

ولا تجافيت عنها قبل من حصر

بحمد ربي ولا ضننت قوافيها

لكنها نفس حر لا تهم بما لا يستوى فيه باديها وخافيتها

وعسى أن تجد بعض هؤلاء الشعراء يمدح من هان شأنه من الناس ،
ويهدى قصيده لمن هو غير أهل لمدحه ، ولكن ذلك من يواعث الحاجة
ودوافع الحياة التي تتجاوز معها هذه المعاني وتدفعهم إلى تقحمها دفعا .



الصبغة العامة في شعر الأزهريين

لشعر الأزهريين طابع يسوده ، وصبغة تتمثل فيه ، تطالع من يبحث في دواوينهم ويمعن النظر في شعرهم

ولما كانت الحياة العلمية هي التي شغلتهم واستنفدت جهودهم رأيتهم قد تأثروا بالعلم في أسلوبه وتعبيره ونصتجت أقلامهم بهذه النزعة العلمية ، واستعملوا ألفاظها في تصوير خيالهم الشعري ، كل حسب ما تأثر به من نحو أو صرف أو بيان أو منطق أو فلسفة أو فقه أو غير ذلك مما شغلوا به متفاوتين في هذا التأثير

وكان ظهور هذه الأساليب والمصطلحات العلمية في شعرهم طبعيا لأنها ملكت عليهم قواهم ، وكانت حديث ألسنتهم ومجال دراستهم وأداة ثقافتهم ، فلم يكن من المستطاع لهم أن يتخلوا عنها مهما جهدوا ولا أن يتحرروا منها التحرر كله مهما حاولوا ذلك

شاعت الألفاظ العلمية في شعرهم وظهرت في قصائدهم فذهبت بغير قليل من جمال الشعر وبهائه وروعته وروائه فإن الألفاظ العلمية جافة خليطة لا تعطيك من الروعة والأخذ وحسن الموقع ما تجده من الألفاظ الشعرية الرقيقة العذبة ، وقد يكون لنضوب معينهم الشعري ، وجذب خيالهم وافتقارهم من المعاني ما دفعهم إلى التحلي بهذه الألفاظ بجانب تأثرهم بها ظنا منهم أن في تناولها دليلا على قدرتهم وتمهرهم ، على أن هذه النزعة سررت إليهم من شعراء المماليك فقد كانوا مغرقين في إدخال المصطلحات العلمية في شعرهم

هذا وقد حرر « ابن خلدون » في ذلك بحثا ممتعا ذهب فيه إلى أن (الفقهاء وأهل العلوم قاصرون في البلاغة وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة

والنازلة هن الطبقة لأن العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة .
فأذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة
الناشئة عنه في غاية القصور)

ويقول (وأخبرني صاحبنا الفاضل د أبو القاسم بن رضوان ، قال —
ذكرت يوما صاحبنا د أبا العباس بن شعيب ، كاتب السلطان د أبي الحسن ،
وكان المقدم في البصر باللسان لعهد فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوى ولم
أنبها له وهو هذا

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى
فقال لى على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت ومن أين لك ذلك ؟ فقال
من قوله ما الفرق إذ هي من عبارات الفقهاء . وليست من أساليب كلام
العرب . فقلت لله أبوك إنه ابن النحوى^(١)

وإننا نسوق أمثلة من شعرهم ناطقة بصحة هذه الدعوى

يقول الشيخ د حسن قويدر الخليلي ، :
خاطرت لما أن رأيت خطره وحار فكرى في بها ذاك الحور
وقلت لا والله ما هذا بشر ومن بشمس قاسه أو بقمر
فليس عندي بالقياس بدرى

فكلمة (بالقياس) من مصطلحات علم المنطق استعملها الشاعر في شعره
وهو الذى يقول أيضا :

والنوفر الرطب يقول جسمى كجسمه فى حده والرسم
لكنى مخالف فى الاسم من أجل هذا حكموا بوسمى
وغرقونى وسط هذا البحر

فكلمة د الحد والرسم ، من أدوات علم المنطق عدا ما أشار إليه الشاعر

من قياس خلاصة المعنى تشير إلى تركيب الكلام تركيباً منطقياً على طريقة القياس الذى صغراه الشطران الاولان أى جسمى يماثله فى الحد والرسم وكبراه مطوية قائلة - وكل ما يماثله حدا ورسماً يغرق فى البحر ، والنتيجة المشار إليها بالشرط الأخير قائلة - فهذا النبات يغرق فى البحر ، ويقول الشيخ د مصطفى الصاوى ، المتوفى سنة ١٢١٦ هـ

وغدا بنطق كماله يبدى لنا عين النتيجة ضمن شكل أنور
فالنتيجة والشكل كلاهما من مصطلحات علم المنطق
ويقول الشيخ د محمد شهاب الدين المصرى ، فى قصيدته التى أنشأها
لتكثب على جامع القلعة :

عروس كنوز قد تحلت بعسجد مكلفة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة المبنى على قصورها بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
أم المسكرات الأصفية أبدعت هوى أعاجيب بصورة مسجد
ويقول أيضاً :

شخص ولكن هوى روحه ملك
وجسمه صورة فى شكل قدس

فكلمة « هوى » المتكررة إنما هى من مصطلح علم الفلسفة

ويقول الشيخ د مصطفى الصاوى ، :

نزلنا بهذا القصر والنيل تحته فله قصر قد تعاظم بالمد
ورى بالقصر عن معنيه ضد المد وهو من مصطلح علم الصرف والبيت
العظيم كما ورى بالمد عن معنيه ضد القصر الذى هو من مصطلح علم الصرف
وارتفاع الماء الذى هو ضد « الجزر »
ويقول د عبد الله فكرى باشا ، :

جمعهم الأقدار جمع سلامة والله فى أقداره مختار
فقد ورى د بجمع سلامة ، عن معنيه جمع المذكر السالم الذى سلم بناء

مفرده من التغير وهو من مصطلح الصرف ، وجمع السلامة من كل ما يسوء .

ويقول الشيخ « حسن العطار » :

كر القلب وما كان التقى فيه من حين هواه ساكنان

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشاعر :

ياسا كنا قلبي المعنى وليس فيه سواك ثان

بأى معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

ويقول الشيخ « حسن العطار » أيضاً :

وكيف أعبر عن حالة ضيرك منى بها أعرف

فقد ورى فى البيتين بمصطلحات النحو

ويقول الشيخ « محمد شهاب الدين » المصرى مادحا « مصطفى بك المختار »

مدير ديوان المدارس إذ ذاك :

رأيت (حالا مضى) (فعل) (أبرز) فى (شأنه) (الضمير)

فقد ورى بالكلمات (حالا) و (مضى) و (فعل) و (أبرز) و (شأنه)

و (الضمير) عن معانيها النحوية .

وتدور فى شعرهم أيضا الألفاظ المصطلح عليها فى علم الحديث ، ومن ذلك

ما يقوله الشيخ « مصطفى الصاوى » ،

(ويسند) (إرسال) السحاب لدمعه

(مسلسل) أحزان بوجد مجدد

فالكلمات (يسند) و (إرسال) و (مسلسل) مصطلح علم الحديث

والفاظه الشائعة فيه

ومن ألفاظ علم الحديث المستعملة فى شعرهم ما قاله الشيخ « محمد شهاب الدين » ،

المصرى يمدح « إبراهيم رأفت بك » الذى كان وكيلا لديوان المدارس

إنى على دعوى الهوى والحب لى حجج قوية

وحديث أشواق إليك مسلسل بالأولية

ويقول الشيخ د عبد الهادى نجما الأيبارى ، :

فأرفع حديثك فى ضعيف لحاظها يا عاذلى فحديث وجدى أرفع
وصحيح حى مسند لضعيف جفنيها يعنعه الهوى وينعنع^(١) الآيات
الأربعة حافلة بالألفاظ الشائعة فى هذا العلم التى هى من مصطلحاته وتعبيره .
وتجرى فى شعرهم ألفاظ علوم البلاغة وتعبيراتها الخاصة بها كقول
الشيخ د محمد شهاب الدين المصرى ، :

ما لأيديه فى الحقيقة (شبه) إذ (مجاز) النوال فيهن (مرسل)
فالحقيقة والمجاز والمرسل من مصطلح علم البيان ويقول :
هو الفلك المحيط بكل معنى وفاض الفضائل فى الأنام
(بيان) حلى (معناه) (بديع) وسحر حديثه حكم الكلام
فالبيان والمعانى الذى أشار إليه بمعناه والبديع إنما هى أسماء لعلوم البلاغة .
وتجد فى شعرهم كثيرا من الألفاظ الفقهية وما يجرى على ألسنة الفقهاء
كقول الشيخ د حسن قويدر الخليلي ،

دعواكم يأبها الزهور كما زعمتم باطل وزور
وكلكم بنفسه مغرور وواجب " فى حقه التعزير
من جملة التعزير لوم الحر

فالتعزير الواجب الذى تحدث الشاعر عنه إنما هو من تعبير الفقهاء
ويقول د السيد على أبو النصر المنفلوطي ،

وحبكم كل وقت فرائض لا نوافل
فلفظا الفرائض والنوافل من الألفاظ الجارية على ألسنة الفقهاء
وبما استعملوه من مصطلح العروض فى شعرهم ما يقوله د عبد الله
فكرى باشا ، فى الخديو د توفيق ، ووصف بوارجه

(١) النعمة . حكاية صوت — والتنعنع الاضطراب والتأيل والتباعد
(٨ - أزهري - ثالث)

دوارع يلقين المخاوف آمنا بهاسر بها من كل هول ومرغم^(١)
من اللاء لا يتركن حصنا محصنا ولا أنف برج شاخ غير مرغم
يطارحن أسلوب المدافع في الوغى بكل رجيج (وزنه) غير أخرم^(٢)
فقد وري بالوصف أخرم الذي يحتمل أن يكون مراداً به ما هو من
ألفاظ العروض أو كمال القذيفة التي يطلقها مدفع البارجة .

بل إنك لتعثر في شعرهم على الحوار الذي يجرى على السنة العلماء في
تشقيق البحث وتفريع المسائل بقولهم فإن قيل ، وقلنا ، واستمع إلى الشيخ
« حسن قويدر الخليلي إذ يقول :-

إن قيل بدر قلت ذا قريب وكامل في الحسن لا يغيب
والبدر فيه كلف يعيب وذا الرشا جماله عجيب^(٣)
والفرق ظاهر لدى من بدرى

فها تان الكلمتان « إن قيل وقلت ، ككتاهما بما يدور في أفواه العلماء
الأزهريين في دراسة المسائل وتقرير البحوث العلمية . ولا ننسى كلمة والفرق
ظاهر أيضا فإنها تنحدر من هذا الوادى

وبما يحسن أن نشير إليه أن هذا الشاعر أخذ هذا المعنى من قول البهاء
زهير في مثل هذا الغرض وهو الموازنة بين بدره وبدر السماء إذ قال « البهاء
زهير ، .

يهنيك بدرك حاضر يا ليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناظرى من منهما زاه وزاهر
بدرى أرق محاسنا والفرق مثل الصبح ظاهر

(١) في الأساس رغم أنفه ولأنفه الرغم والمرغم الذلة
(٢) الحزم . أنف الجبل وفي الشعر ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعيلن
والبيت مخروم وأخرم (قاموس)
(٣) كلف الوجه كلفا تغيرت بشرته بلون علاه قال الأزهري ويقال للبهق كلف
وخبأ كلف أي أسفع

وهذا التعبير (والفرق ظاهر) مع أن فيه تورية بين فرق الشعر والفرق
والذى هو الفصل بين الشينين هو من مصطلح العلم وأسلوبه

ويقول الشيخ «حسن قويدر الخليلي، أيضا

فقال لا بد من الفراق ولورقانا اليوم ألف راق

قلت اذن يانعس الأحداق فهل يكون بعده تلاق

فقال إن العسر ضد اليسر

فكلمة «فقال» المكررة وقلت من سدى التشقيق العلى ولحمته مع
ملاحظة أن لفظ الضد على أيضا

وتلك هى كلمة نفرض فرضا التى هى بما يشيع فى دراستهم وتتناولها
ألسنتهم وكلمة «والله أعلم» التى يختم بها العلماء الأجلاء بحوثهم العلمية تأليفا
ودراسة للتواضع وبجانبه الزهو يستعملها أحد شعراء الأزهر وهو المرحوم
الشيخ «محمد الأمير» المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ حيث يقول فى الحث على الزهد

دع الدنيا فليس بها سرور - يتم ولا من الأحزان تسلم

ونفرض أنه قد تم فرضا فغم زواله أمر محتسم

فكن فيها غريبا ثم هيء إلى دار البقاء ما فيه مغنم

وإن لا بد من لهُو فلهو بشيء نافع والله أعلم

وهذه كلمة على فرض أن ذلك قد كان وتسليم قولك يستعملها الشيخ
«عبد الهادي نجا الإياري» فى شعره كاملة غير منقوصة ، وذلك حيث يقول

أين كانت قل لى لديكم جوار من لدن آدم لهذا النهار

وعلى فرض أن ذلك قد كا ن وتسليم قولك الفشار (١)

(١) فى القاموس - الفشار (كغراب) الذى تستعمله العامة بمعنى الهديان

ليس من كلام العرب

ما الذى كان لى بهن من الآ راب حتى إذ بان بان مزارى
وبتسليم أن ذلك قد كا ن فقل لى فداك عصية جارى
وهاتان كلمتا زيد وعمرو الشائعتان فى أفواه الأزهرين وفى كتبهم
للتمثيل للفاعل والمفعول وغيرهما يابى كثير من شعراء الأزهر إلا أن
يسلكهما فى شعره ويديرهما فى قريضه كما يقول «عبد الله فكرى باشا»
ترقت حلاها عن سواك وراقها
علاك فلم تجنبح لزيد ولا عمرو

ويقول «السيد على الدرويش»

خليلى فيها غنيانى على الطلا ولا تذكرالى (حال) زيد ولا عمرو
فهو يريد أن يتمتع نفسه بالغناء ليستمتع له على الطلا ولا يود أن يحدث
بشيء عن حال زيد وعمرو من الناس فقد سئم الحديث عنهما وأراد أن يهجره
إلى هذا المتاع ، وقد يكون المعنى أنه يريد أن حرمة الغناء والشراب دون
الغيبة بالحديث عن زيد وعمرو أو أراد أن يفرض من الجد والدرس والكلام
عن زيد وعمرو فى مسائل النحو إلى ما ذكره من متعة الغناء والطلا ، وأيا
ما كان فقد تأثر بهذين اللفظين اللذين يدوران فى المسائل النحوية فتسللا
إلى شعره .

استخدامهم الشعر فى مسائل العلم

ولما كان العلم هو شغل العلماء الأول ومناط حرصهم ومثار اهتمامهم
والمالك قواهم وجهودهم ، بذلوا فى تقييده وسائل مختلفة ، واتخذوا الشعر
إحدى هذه الوسائل فأخضعوه للعلم وأودعوه مسائله ومشاكله وعبروا به
عن شوارده ، وضمنوه ألغازا وحوارا وقواعد ، وعساه أن يكون بهذه
المناسبة نظما لا شعرا ، إذ أنه مقفر من الخيال ، خلو من الفن عار من الروعة
والسحر ، ومن هذا الوادى كل ما نظموه فى علومهم المختلفة .

فمن حوارهم العلى الذى اتخذ الشعر أسلوبا له ما وقع بين الشيخ محمد
الأمير، والشيخ العوضى، المتوفى سنة ١٢١٤ هـ إذ يقول الأول

حى الفقيه الشافعى وقل له ما ذلك الحكم الذى يستغرب
نجس عفوا عنه فإن يخلط به نجس فإن العفو باق يصحب
وإذا طرا بدل النجاسة طاهر لا عفوا بأهل الذكاء تعجبوا
ويجيبه الثانى بقوله :-

حيث إذ حيثنا وسألتنا مستغربا من حيث لا يستغرب
العفو عن نجس عراه مثله من جنسه لا مطلقا فاستوعبوا
والشئ ليس يسان عن أمثاله لكنه للأجنبي يجنب
وأراك قد (أطلقت ما قد قيدوا)
وهو العجيب وفهم ذلك أعجب

اقتباسهم من القرآن والحديث

ومن الظواهر العامة فى شعرهم إشراق القرآن فى مجاليه ، وظهوره فى
كثير من نواحيه ، واقتباسهم من القرآن فى شعرهم أمر طبعى لأنهم أشد
عناية بحفظ القرآن ودراسة تفسيره واستنباط الأحكام الشرعية منه .
واكتناها لأسراره وفهما لمغزاه وتأدبا بأدبه وتذوقا لبلاغته ، كما اقتبسوا
من الأدب النبوى كثيرا من آياته البينات التى جرت على ألسنتهم من طول
ما أخذوا من أحكامه الشرعية وآدابه الرفيعة ، فمن اقتباسهم من القرآن قول
الشيخ «حسن قويدر الخليل»

فقال طب نفسا فقد زال الألم والصفو من كل الجهات قد ألم
كأنه يتلو على القلب ألم نشرح لك الصدر بهذه النعم
روض ووجه حسن ونهر

ويقول الشيخ دحسن العطار،

مرج البحرين فيضا دمعته إذ رأى جفنيه لا يلتقيان
ويقول السيد علي درويش، يمدح المرحوم محمد علي باشا ويؤرخ بحجته
الجراد عام البقر سنة ١٢٥٩ هـ

لواحة للأرض لا تبقى البنات ولا تذر
وصغيرة في حجمها لكنها إحدى الكبر

ويقول د عبد الله فكري باشا،
أليس بكاف عبده وهو قائم على كل نفس بالقضاء المحتم
كما يقول

فن بالعفو إني منه على غير ياس
وان عتبت فحق (وما أبرئ نفسي)

ومن اقتباسهم من الحديث النبوي قول الشيخ د مصطفى الصاوي،
فالصبر عند الصدمة الأولى رضا ما حيلة المحتال إن لم يصبر
وقول د عبد الله فكري باشا،
ألا إن أوساط الأمور خيارها مقال نبي عن هدى الله مخبر
وخير عباد الله أنفعهم له كما جاء في قول النذير المبشر
وقول د السيد عبد الله نديم،

دع عنك لومي في شيء خصت به

وانظر لنفسك تعذر مثلك الجاني

فتركك الشيء لا يعنك منقبة بل ذاك للبر يدعي حسن إيمان

شعراء الأزهر

قامت دولة الشعر في هذا العصر على كثير من الأزهريين وكانوا المرحلة التي عبرها الشعر إلى مجده الذي بلغه «البارودي»، «وشوقي»، «وحافظ»، «واسماعيل صبري»، وغيرهم من شعراء العصر الفحول

وفي الأزهر اليوم جبهة من الشعراء النابيين، وفي شبابه من يعقد به الأمل، ويناط به الرجاء، ولولا أننا التزمنا الحديث عن الراحلين وكففتنا عن التحدث عن الأحياء، خشاة أن نتهم بالمجاملة، ونرمي بالتجني (وحاشا للنصف أن تحي على عطفه تلك الظنون) لولا ذلك لبسطنا شعر الأحياء الأزهريين وأفضنا في دراسة نابيهم وأفذاهم.

وبما التزمناه في الحديث عن الشعراء أن قصرنا القول على أشهرهم وأسيرهم ذكرا وأعظمهم قدرا، فلم نتبع كل نابيه ولم نستقر كل مجيد، كما أننا توخينا في الشعراء الذين تناولهم بالدرس والتحليل أن يكونوا أزهريين أقحاحا بدأوا ثقافتهم في الأزهر وأتموها فيه، ومن ثم لم نخرج على من كانت خاتمته الدراسية في المعاهد الأخرى رغم أنها فروع من الأزهر وأغصان من دوحته فلم نتكلم عن المرحوم «حنفي بك ناصف»، والمرحوم «محمد عبد المطلب»، والمرحوم «أحمد مفتاح»، وغيرهم ممن أتموا بعد المرحلة الأولى دراستهم في غير الأزهر.

وسنبداً بذكر أشهر شعراء الأزهر حسب وفيانهم

الخطأ والعامى فى شعرهم :

ومن الانصاف أن نقرر أن العامية قد تنسرب إلى شعرهم ، والخطأ فى النحو والصرف قد يجرى على ألسنتهم ، ولكن ذلك فى قلة وندرة فأما العامية فى شعرهم فكما جاء فى شعر السيد على درويش إذ يجمع «سقف» على «سقفان» فى قوله فى مسجد

إذا سجدت حيطانه فهى ركع ' وتسمع تسييح الحصا منه سقفان

وكأطلاقه لفظ «برادن» على من أصابه البرد وذلك إذ يقول

بردان لا نفع للبردان ، عندهما وجبة البرد تكسو كل عريان

فكلمة بردان عامية والفصيح بارد وبرد وبرود

ومن العامية فى شعرهم قول الشيخ محمد شهاب الدين

وتفضل بجبر خاطر من هم أتقنوا صنعه وخذ منه شيئاً

ويقول السيد على درويش

ولا عجب إذا كان المربى مربى الروح بالعقل المصان

فهو يخطئ فى مجيء اسم المفعول من صانه على مصان بدلا من مصون

ويخطئ كذلك إذ يستعمل الفعل أحرمه من كذا بدلا من حرمه وهو

الفصيح ولا يقال حرمه من كذا بل حرمه كذا وذلك حيث يقول

السيد اسماعيل الخشاب

المتوفى سنة (١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م)

نشأته وحياته

هو «السيد اسماعيل» بن «إسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب» كان أبوه نجارا ثم أنشأ متجرا للخشب بالقرب من باب زويلة بالقاهرة، وولد له الشاعر المترجم وهو أصغر اخوته، وشب مولعا بحفظ القرآن راغبا في العلم مشوقا لتحصيله، فطلب العلم في الأزهر حتى صارت له مشاركة في كثير من علومه (١)

وكان رقيق الحال حتى اضطر للتكسب في المحكمة الشرعية، وكان عاكفا على مطالعة الكتب الأدبية والتصوف والتاريخ يستظهر كثيرا من أشعار العرب والمراسلات والمكاتبات الأدبية، ويلم بطرف من حكايات المتصوفين وأقوالهم حتى أصبح فريد عصره في المحاضرات واستحضار البدائع في المناسبات وكثيرا ما يصفه «الجبرتي» بأنه البليغ النجيب، والنبه الأديب نادرة الزمان فريد الألوان المتقن العلامة يتيمة الدهر وبقية نجباء العصر

وعرف بالشعر الرائق والنثر العذب وكان نبها أديبا عظيم الأخلاق لطيف السجايا كريم الشئام، خفيف الروح، وذلك مما يسر له مخالطة الروساء والأمراء ومصاحبة الكبراء والعظماء، فتنافسوا في صحبته وتباهوا بمجالسته حيث يرتاحون لخلقهم، ويستطيبون منادمتة، ويجدون من طيب فكاهته ولطف عبارته وعذب بيانه ما يدفعهم إلى طلبه والحرص عليه كما كان رقيقا مهذبا كريم النفس محبا للمجد متطلعا لمعالي الأمور

وكانت له قوة استحضار في إبداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال

الجلس فكان يجانس ويشاكل كل جلس بما يدخل عليه السرور في الخطاب ويخلب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب (١)

ولما أنشأ الفرنسيون ديوانا للقضاء بين المسلمين عين في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه لأن الفرنسيين كانت لهم عناية بالغة بتسجيل الحوادث يوما فيوما ، وتدوين ما يجرى منها في الدواوين ومقر أحكامهم ثم يجمعون هذه الحوادث ويطبعون منها نسخا يوزعونها على الجيش في مختلف مواضعه ومواطنه في الأمصار والقرى ، فلما رتبوا ذلك الديوان كان الخشاب هو الذى يتولى كل ما يتصل بعمله ، وظل في هذه الوظيفة إلى أن ولى دجاك منو ، وعلى رغم ذلك لم يتخل عن التكسب بالشهادة في المحكمة ولما عاد المرحوم « الشيخ حسن العطار » من طوافه بالبلاد التي كان قد ارتحل إليها امتزج بالخشاب فصفا ودهما وطابت مخالطتهما وصارا لا يفارق كل منهما صاحبه حتى ليحدث « الجبرقى » بأنهما كثيرا ما كانا يبيتان معا ويقطعان الليل بحديث أرق من نسيم السحر والطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيرا ما كانا يتنادمان بدارة لما بينهما من الصحبة الأكيدة والمودة العتيدة ثم يتجاذبان أطراف الكلام فيجولان في كل فن من الفنون الأدبية والتواريخ والمحاضرات

ومع أن « الخشاب » أدرك في أواخر حياته « محمد على باشا » نراه لم يل في عهده عملا من الأعمال مع شهرته الأدبية وبعد صيته في البيان لأن وإلى مصر لم يكن إلى هذا العهد قد اتجه إلى استصناع الأدباء والشعراء إذ كان مصروفا لغير ذلك من شئون الدولة واصلاحها الداخلى وتأثيل ملكه الذى خلفه الماليك منهوك القوى محلول العزائم

وبرح الداء « بالخشاب » فلزم فراشه حتى غلبه المنون في يوم السبت ثانى شهر ذى الحجة من سنة ثلاث ومائتين وألف من الهجرة.

وقد جزع عليه صديقه الوفى الشيخ ، حسن العطار ، وجمع ما تفرق من شعره فأودعه ديوانا طبع فى الآستانة

شعره

«الخشاب» أقدم شعراء العصر الحديث وأقلهم حظا من الحضارة الغربية التى وفدت إلى مصر ونهت الأذهان والقرائح بعد أن استقر الحكم لمحمد على ، وأبنائه واتصلت مصر بالغرب اتصالا مختلفا ، ولم يكن «الخشاب» قد تعلم اللغات الأجنبية فيستعين بها على الاطلاع على ثقافة الغرب وعلمه الجديد فتتسع مداركه وتترامى آفاق خياله ، وتأنيه من هذه الآداب سهولة الطبع ورقة التعبير ، وعلى رغم ذلك يتسم شعره بالوضوح والسلاسة ومجانبة التعقيد والإقلال من البهرج والطلاء ، وهذه ظاهرة واضحة فى شعره ، فهو لم يتهالك على البديع ولم يكلف بالصناعة ولم يتورط فيما تورط فيه غيره من الشعراء الصناع على قربه من الشعر الضعيف المنحل فى عهد المماليك ووثيق اتصاله بآداب ذلك العصر الواهن المتخاذل

والذى يبدو أن فى طبع «الخشاب» ميلا فطريا إلى الإشراق والوضوح والبعد من التعمل ، وقد تمهأ له من الاتصال بالفرنسيين فى مصر ما طوع أدبه وجلى شعره ونحاه به نحو السهولة والانطلاق ، فقد أقاموه فى ديوان القضاء أمينا لمحفوظاته وكاتباً سلسلة التاريخ فيه ومسجلا لأحداثه تباعا وعاش طول حياته شديد المخالطة للكبراء والأمراء والعظماء بين منادمة ومطارحة ومفاكهة ، ولا ريب أن ذلك كله هيا له تطويع أدبه وسهولة قريضه وإشراق ديباجته وصفاءه من التعقيد والزخرف والصنعة

وقد حدث «الجبرى» أنه علق شابا من رؤساء كتاب الفرنسيين كان لطيف الطبع جميل الصورة عالما ببعض العلوم العربية ، مائلا إلى اكتساب النكات الأدبية فصيح اللسان العربى يحفظ كثيرا من شعر العرب ، فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ووقع بينهما تواد وتصاف حتى لا يقدر أحدهما

على مفارقة صاحبه ، فتارة يذهب الخشاب إلى دار صديقه وتارة يذهب الشاب الفرنسي إلى دار الخشاب فيتجاذبان أطراف الأحاديث ويقع بينهما من لطف المحاوره ما يتعجب منه ، يقول « الجبرتي » - وعند ذلك قال « الخشاب ، الغزل الرائق والنظم الفائق »^(١)

أفلام تكون هذه المخالطة من أسباب تنشيط شعره وانطلاق قريضه وسعة خياله ؟

• وهل لنا أن نذهب إلى أن هذه المخالطة دلت « الخشاب » على كثير من أخلاق الفرنسيين وعاداتهم وأحوالهم وطبائعهم فبسط ذلك في فكره وفسح في مخيلته ؟

يقول الخشاب في صديقه الفرنسي :

علقت له لؤلؤى الشجر باسمه فيه خلعت عذارى بل حبلانسكى
ملكته الروح طوعا ثم قلت له متى ازدياركلى أفديك من ملك
فقال لى وحيا الراح قد عقلت لسانه وهو يثنى الجيد من ضحك
إذا غزا الفجر جيش الليل وانهمزمت

منه عساكر ذاك الأسود الحلك
بجاءنى وجبين الصبح مشرقة عليه من شغف آثار معترك
فى حلة من أديم الليل رصعها^(١) بمثل أنجمه فى قبلة الفلك
نخلت بدرا به حفت نجوم دجا فى أسود من ظلام الليل محتبك^(٢)
وافى وولى بعقل غير مختبل من الشراب وستر غير منهتك^(٣)

(١) تاريخ الجبرتي ج ٤ ص ٢٣٩

(٢) رصعها : ملاءها .

(٣) محتبك : موثق محكم .

(٤) منهتك : هتك الستر جذبه فقطعه من موضعه أوشق منه جزءا فهدا ما وراءه وهتك ستر فلان فضحه .

فهذه أبيات عذبة سائغة لاتعقيد فيها ولا التواء ، لم تشبها شائبة الصنعة ، ولم يفسد جمالها المحسن البديعى الذى أسرف العصر فى تناوله وتاه فى فيافيه . هذا إلى ما ذهب إليه من غزو الفجر جيش الليل وانهمام عساكره ، وقدم صاحبه وقد أشرق جبين الصبح يبدو عليه من شغفه آثار معترك ، وتشبيهه فى حلتة التى كانتها من أديم الليل تلعب فيها الأنجم التى رصعتها وحلتها بالبدر أشرق نوره وحفت نجوم الدجى به فى الليل الحالك الذى وثق سواده وأحكم .

هذا ويجوز أن تكون كلمة شغف محرفة وأصلها « شفق » أى أن صاحبه وفد إليه وعلى جبين الصبح آثار معترك من الشفق ، لما بينهما من المنازعة والمغالبة ويستأنس له بما ذهب إليه من قبل من غزو الفجر جيش الليل ، وانهمام عساكره .

غير أنا نلاحظ أن الشاعر وصف جبين الصبح بلفظ مشرقة فلم يطابق بين الموصوف والصفة فى التذكير والتأنيث وكان يجب أن يقول « مشرق » ، فى اللسان « الجبين يذكّر لا غير » ، إلا أن يقال إنه أنث الوصف باعتبار الجبين جهة وبذلك تتأق المطابقة أو جرى على ما يذهبون إليه من أن كل ما لا يعقل يجوز تذكيره وتأنيثه ؛ أو تقول إن كلمة آثار فاعل « مشرقة » ويكون مرجع الضمير للجبين الصبح لا لفاعل جاء . وقال فى فرنسى آخر اسمه « ريج » ،

أدرها على زهو الكواكب والزهر	وإشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثنائى ^(١) فعاطى	على خدك المحنر حمراء كالجر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا	وخضب بنائى من سنا الراح بالتبر
ومزق رداء الليل واهج بنورها	دجاه وطف بالشمس فينا إلى الفجر

(١) المثنائى : من أوتار العود الذى بعد الأول واحدها مثنى

وأصل بنار الخد قلبي وأطفه
أدريج، ذكي المسك أنفاسك التي
معبرة يسرى النسيم بطيها
رشا فانتك^(١) الألاحظ عيناه غادرت
طويل نجاد السيف ألى^(٢) محجب
رقيق حواشي الطبع يغنى حديثه
ولما وقفنا للوداع عشية
تباكي لتوديع وأبدى شقائق^(٤) مكحلة^(٥) من لؤلؤ الطل بالقطر
يرد ثناياك الشهية والثغر
أريج شذاها قد تبسم عن عطر
فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
فؤادى فى دمعى دما سائلا يجرى
شقيق المها^(٣) زاهى البها ناحل الخصر
عن اللؤلؤ المنظوم والدر والنثر
وأسمى بروحى يوم جد النوى سبرى
مكحلة^(٥) من لؤلؤ الطل بالقطر

فهذا شاب فرنسى آخر خالطه الخشاب وأدمن الود معه ، وكانت لها مجالس
وسمر ، وغدو ورواح ، فصفا أنسهما ، وطابت مودتهما ووجد الشاعر فيه
ما ارتاح له وبهره منه فتك ألاحظه ، وطول نجاهه ، وسمة شفته وتحجبه ،
وأنة شبيه بالمها زها بهاؤه ونحل خصره ، ورق طبعه ، وأغنى عن اللؤلؤ
المنظوم والدر المنشور عذب حديثه ، ووصف يوم الوداع وما لقيه من هوله
وأن صاحبه تباكى قبلال بدمع كاللؤلؤ خدودا حمرا كالشقائق .

هذه صورة ناطقة رسمها الشاعر فجاءت رائعه فاتنة ولم تتعثر ريشته أو
ينب رسمه والشاعر فى إيداعه هذه المعانى تلك الآيات . وفى تعبيره عن هذا

(١) رشا : الرشا محرك الظبي إذا قوى ومشى مع أمه

(٢) ألى : اللى مثلثة اللام سمة فى الشفة .

(٣) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية .

(٤) الشقائق : جمع شقيقة — وشقائق النعمان معروفة . سميت بذلك لحرمتها
تشبها بشقيقة البرق أضيف إلى ابن المنذر لأنه جاء إلى موضع وقد اعتم تبته من
أصفر وأحمر وفيه من الشقائق ما راقه فقال ما هذه الشقائق أحمرها وكان أول من
حماها وقيل النعمان اسم للدم وشقائقه قطعه فشبهت حرمتها بحمرة الدم (شارح
القاموس) .

(٥) مكحلة : الروضة المكحلة المحفوفة بالنور .

كله لم يحجم حول تعقيد أو التواء ولم تهده صنعة أو طلاء اللهم إلا أنه يشك المحسن
البديعى شكا خفيفا ويتناوله برفق ولطف فيستعمل الجناس بين كلمة زهر
الكواكب التي هي جمع أزهر والزهر للذى هو التبت المعروف .

ويلهمه اسم صديقه د ريج ، فيوقع الجناس بينه منادى بالهمزة وبين أريج
الشدى ، وهو وإن كان بهذا الجناس المتكرر يجارى شعراء عصره ، لم يظهر
بمظهر المتكلف والمنهالك عليه .

ونلاحظ على أن الشاعر عبر بلفظ تبكى لتوديع - وكان المفهوم أن
يقول د بكى ، لأن ذلك موقف البكاء لوجود دواعيه ، أما د تبكى ، فتعبير يفيد
أن صاحبه تكلف البكاء ومن شأن هذا الوصف أن ينفي عنه صفة التأثر بالرحيل
ولا أن يقال إن صاحبه لشدة هول التوديع جمدت عيناه فلم تبكى فتكلف البكاء
يوأثم بين حاله وحال المودعين وفي الحديث د فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا ،
ي تكلفوا البكاء وتكلف البكاء يستدعيه وهذا الوجه ثبت لصاحب
نخشب تأثراً أبلغ من تأثره وأنه بلغ من الحزن ما جمدت به عيناه ولم تسمح
البكاء إلا أن يتكلفه تكلفاً .

ومما قاله يتغزل به :

يا شقيق البدر نوراً وسنا وأغا الغصن إذا ما انعطفا
بأبي منك جبيناً مشرقاً لو بدا للنيرين أنكسفا
بغيتي منك رضاب^(١) ورضا وعلى الدنيا ومن فيها العفا^(٢)

فهذه أبيات رقيقة عذبة حلوة الروح خفيفة المذاق لم يشبهها تعقيد ولم
تتأثر بصنعة إلا الجناس المقبول في د رضاب ، ودرضا .

وقال يمدح الشيخ د محمد الأمير ، العالم الفقيه المتوفى سنة (١٢٣٢) إلى

٠ (١٨١٧)

الرضاب - كفراب الريق المرشوف أو قطع الريق في الفم ، وفئات المسك

ادري في الربا القدحا وكن للعذل مطرحا
 ونبه صاح ساقها فضوء الصبح قد وضحا
 وثغر الدهر مبتسم وشادى الورق قد صدحا
 وخذها من يدى رشا مليح قد جوى ملحا
 غزال إن يلح للبد ر أو غصن القا افتضحا
 وأطرب مسمعيك بما به أستاذنا امتدحا
 محمد الأمير، المر تبجي كم آملا منحا
 إمام إن تزنه بكل م مولى ماجد رجحا
 سراج في ذكائه الوها ج ليل المشكلات محا

فهذه الأبيات تقطر سلاسة ورقة ويفيض ماء الشعر من أعطافها وتبدو
 صفحتها نقية من الزخرف والطلاء حتى لتشبه أعذب ما ينظم الآن من الشعر
 العربى السهل على ما فيها من معان خصبة وتصوير بديع ، كرجحان الإمام
 الممدوح حين تزنه بكل مولى ماجد ؛ وجعل الشاعر ذكاه الممدوح سراجا
 وهانجا يمحو المشكلات التي جعل لها ليلا .

وكان « محمد بن الحسن بن عبد الله الطيب » المتوفى سنة خمس ومائتين
 وألف من الهجرة شاعرا يلتزم في شعره ما لا يلزم ، فلما جمع شعره في ديوان
 كتب الخشاب على ظاهر هذا الديوان يداعب صاحبه فقال :

قل للرئيس أبى الحسين محمد خدن^(١) المعالى والسرى الأجد
 والحاذق^(٢) الفطن اللبيب أخى الذ كاه اللوذعى^(٣) الألمعى^(٤) الأوحده
 ألزمت نفسك فى القريض مذاها ذهببت بشعرك فى الحضيض الأوهده

(١) العفاء : الهلاك والدروس ومن معانيه التراب

(٢) الخدن والخدين للصاحب

(٣) الحاذق الماهر البارع

(٤) اللوذعى : الخفيف الذكى الظريف الذهن الحديد الفؤاد واللسن الفصيح

كأنه يلذع بالنار (٥) الألمعى الذكى المتوقد

وتركت ما قد كان فيه لازما هلا عكست فجئت بالقول السدى
كدرت منه بما ضعت بحوره

فعدت مشارع^(١) ليس ينحوها الصدى^(٢)

فاذا نظمت فكن لنظمتك ناقدًا نقد البصير بذهنك المتوقد
أولا فدع تكليف نفسك واسترح من قولهم ما شعره بالجيد
ولئن عنفت عليك فيما قلته فلقد بذلت النصيح للمسترشد
فلما قرأ صاحب الديوان هذه الآيات ضحك ولم يزد على أن قال (أنت
في حل) وكان د محمد بن الحسن ، قد علق غلاما فكتب إليه الخشاب .

إني أجلك أن تصبو بمبتذل على تسنمك العلياء من صغر
أمسك عليك وحاذر من إخاء في قيصه مدنشأ ينقد من دبر
وهذه قطعة رائعة تزخر بالمعاني الكريمة وتفيض سلاسة ولطافة فلا
ينبو منها لفظ ولا يخلق فيها تعبير وتطرد أجزاءها وتتسلسل حتى لتكون
كالعقد انتظمت حياته قالها يرثي بها المرحوم الشيخ د أحمد بن موسى بن داود ،
المتوفى سنة ثمان ومائتين وألف من الهجرة .

تغير وجه الدهر وازور حاجبه	وجاءت بأشراط المعاد عجائبه
وكدر صفو العيش وقع خطوبه	وقد كان وردا صافيات مشاربه
فمالى لا أذرى المدامع حسرة	وأفق سطه المجد تهوى كواكبه ^(٣)
ومالى لا أبكى على فقد ذاهب	موصلة لله كانت مـذاهبه
أغر سنا شمس الضحى دون وجهه	وفوق مناط الفرقدين مراتبه
حليف ندى كالسيل سيب يمينه	وكالبحر تجرى للعفاة مواهبه
له عفو ذى حلم ورأى أخى نهى	يضىء لدى محلولك الخطب ثاقبه
على نهج أهل الرشده عاش وقدمضى	مطهرة أردانه وجلايه

(١) المشارع - موارد الشرب

(٢) الصدى - الظامى

فمن ذا الذى ندعو لكل ملمة ونرجوا إذا ما الأمر خيفت غواقبه
لقد هد ركن الدين حادث ففقه وشابت له من كل طفل ذوائبه
وغادر ضوه الصبح أسود حالكا كأن الدجي ليست تزول غياهبه
ألم تر أن الأرض مادت بأهلها وأن الفرات العذب قد غص شاربه
سقطت نوب الأيام بالعلم الذى تزال به عن كل شخص نوائبه
عجيب لهم أنى أقبلوا سريره وقد ضم طودا أى طود يقاربه
وكيف ثوى البحر الخضم بحفرة وضاق بجذواه الفضاء وسبابه
خليلي قوما فابكيا لمصابه بمنهل دمع ليس ترقا سوا كبه
لقد آد (١) إذ أودى (٢) وأعقب مذمضى

أسى يجعل الأحشا جذاذا (٣) تعاقبه
وأى شهاب ليس يخبوضياؤه ؟ وأى حسام لا تقل مضاربه ؟
وأى فتي أيدى المنية أفلتت ؟ وأى فتي وافته يوما مآربه ؟
وماذا عسى نبغى من الدهر بعد ما
أصمت (٤) وأصمت (٥) كل قلب مصائبه ؟

فانظر كيف جاءت هذه القصيدة سهلة مشرقة لم تعكرها صنعة ولم يذهب
بروائها تكلف

نقاء شعره من التاريخ

وبما امتاز به « الخشاب » أنه لا يميل إلى التاريخ الشعري ولا يتصل به

-
- (١) آده الحمل أنقله
(٢) أودى هلك
(٣) جذاذ قطعا
(٤) أصمه سد أذنه
(٥) أصمى الصيد رماء فقتله مكانه

فى قليل أو كثير ، وعلى رغم أنه أقرب شعراء العصر الحاضر إلى العصر السالف وكان مقتضى ذلك أن ينحو منحى الشعراء فى ذلك العصر فيفتن فى التاريخ الشعري ويولع به كما أولعوا ويستعمله فى الشطر أو البيت أو القصيدة على رغم من معاصرته لهؤلاء الذين كلفوا به خلا شعره منه فلا تكاد تعثر على تاريخ له فى حادث أو أمر ذى بال ، وإن هذه لحسنة من حسنات «الخشب» فقد نجا من قيوده وأغلاله وكم طغت هذه الصناعة على الشعر فذهبت بجماله وكسبته الغموض والتعقيد والالتواء واستبدت بالشاعر فصرفته عن روعة التصوير وجمال المعنى ، وحسن الأداء ، ولكن «الخشب» نجا من هذا وكره هذه الطريق الملتوية فحاد عنها وسلك مسلك السهولة والإشراق والوضوح



الشيخ حسن العطار

المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م)

نشأته وحياته :

ولد بالقاهرة سنة نيف وثمانين ومائة وألف من الهجرة ونشأ بها في ظل أبيه الشيخ د محمد كتن ، ويمت بنسبه إلى أسرة مغربية وفدت إلى مصر وكان أبوه رقيق الحال د عطارا ، ملها بالعلم كما يدل عليه ما يقوله في بعض كتبه (ذا كرت بهذا الوالد رحمه الله) وكان يستصحبه إلى متجره ويستعين به في صغار شؤنه — نشأ حاد الذكاء قوى الفطنة ، إلى التعليم هواه . شديد الغيرة والتنافس ، إذ يرى أترابه يترددون على المكاتب ، ومن ثم يتسلل إلى الجامع الأزهر مستخفيا من أبيه ، وقد عجب والده إذ رآه يقرأ القرآن في زمن وجيز فشجعه ذلك على أن يدع ابنه الذكي الفطن المحب للعلم يختلف إلى العلماء وينهل من وردهم ما يشاء ، فجذ في المثابرة والانتفاع من الفحول أمثال الشيخ د محمد الأمير ، والشيخ د الصبان ، وغيرهما حتى بلغ من العلم والتفوق فيه ما أهله للتدريس بالأزهر على تمكن وجدارة .

واسكن نفسه لم تقنع بهذه الغاية ، بل مال إلى التبحر في العلوم واشتغل بغرائب الفنون . والوقوف على أسرارها .

وكان منذ صباه ذا شغف بالأدب ، جادا في مطالعته والتزود منه حتى أجاد النظم والنثر في ريعان صباه وبواكير حياته .

وعنى بالأدب الأندلسي عناية فائقة فأخذ يدرسه ويحاكيه ، وكثيرا ما كان يأسف على انحطاط الأدب في عصره ويصف شعراء زمانه بأنهم (اتخذوا الشعر حرفة وسلكوا فيه طريقة متعسف فصرفوا أكثر أشعارهم في المدح والاستجلاب والمنح ، حتى مدحوا أرباب الحرف لجمع الدراهم ، وكان منهم

من كان يصنع القطعة من الشعر في مدح شخص ثم يغيرها في مدح آخر وهكذا حتى يمتدح بها كثيرا من الناس وهو لا يزيد على أن يغير الاسم والقافية وما أشبهه في ذلك إلا بمن يفرق أوراق الكدية^(١) بين صفوف المصلين في المساجد وهكذا كان حال الرجل فلا يكاد يتخذ وليمة أو عرسا أيبني بناء أو يرزأ بموت محب إلا بادره بشيء من الشعر قانعا نالشيء النزر .

ولما كانت تلك نظرته إلى الشعر والشعراء رأيناه قد أغفل شعره ، ولم يحتفظ بما قاله في المدح والهجاء اضطرابا ورجا ألا يحفظ عنه إلا ما لطف من النسب (مما ولع به) أيام الشباب حيث غرض الشيبية غرض والزمن من الشوائب محض ، ولأعين الملاح سهام بالفؤاد راشقة ، وتثنى قدود الغيد تظل له أعين الأحبة وامقة .

ذاك وقت قضيت فيه غرامى من شبابي في ستره بالظلام
ثم لما بدا الصباح لعيني من مثيبي ودعته بسلام

ولما اضطربت الفتن بدخول الفرنسيين مصر رحل إلى الصعيد ومعه جماعة من العلماء ، ثم عاد إلى مصر بعد أن استقرت الأمور ، وقد أداه حبه الحياة الاجتماعية وميله إلى المخالطة ، وما عرف به من خفة الروح ، وطيب المعاشرة ، إلى الاتصال بالفرنسيين العلماء فاستفاد من فنونهم وأفادهم اللغة العربية وكان يقول : إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها ، وكان يتعجب مما وقف عليه من علوم الفرنسيين ومن كثرة كتبهم وتحريرها وقربها من العقول وسهولة الاستفادة منها ، وقد تحدثنا عن ذلك في صلة الأزهر بالحلة الفرنسية .

وهو الذى وقف فى امتحان مدرسة الطب خطيبا يشيد بفائدة الطب فى تقدم الإنسانية ويفخر بأن أتيح للأزهر فى تاريخ مدرسة الطب أول نشأتها

(١) الكدية : السؤال .

أثر جليل إذ كان جل تلامذتها الأول من الأزهر وكان لهم في مدرسة الطب من الذكاء وحسن الاستعداد ما راع وبهر .

والشيخ «حسن العطار» هو الذى قدم الشاب الشيخ «رفاعة رافع» ،
«لمحمد على» ليسكون إماما للبعث الذى أرسل إلى فرنسه في سنة ١٨٢٦ م .
وهو الذى أوصى «رفاعة» أن يقيد مشاهداته في بلاد الغرب من الأمور
التي يرى فيها فائدة لبنى وطنه كي يظهرهم على النواحي المختلفة للحضارة
الأوربية ، حتى إذا أطاع «رفاعة» أستاذه وأتم رحلته «تخليص الأبريز» في
تخليص باريز ، أوصى العطار بها حتى قامت الحكومة على طبعها
ونشرها .

تنقله :

ثم إنه ارتحل إلى الشام وأقام بدمشق زمنا كان يقرض فيه الشعر حينما
بعد حين ، قال «وقلت وأنا بدمشق هذه القصيدة وسببها أن صاحبنا العلامة
محمد المسيرى كان قدم من بيروت لدمشق فأقام بالمدرسة البدرية حيث أنا مقيم
ومكث نحو شهرين فوق لي به أنس عظيم» .

ثم عاد إلى بيروت وأرسل مكتوبا لبعض التجار فيه قصيدة تتضمن مدح
دمشق وعلماؤها وتجارها الذين صاحبوه مدة إقامته ، فكان جزاء تلك القصيدة
أنها لم تقع منهم موقع القبول وساروا يهزأون بكلماتها وقوافيها فانتدبت لنظم
هذه القصيدة على بحرها ورويها انتصارا للشيخ «المسيرى» وقد ذكرت بعض
متنزهات دمشق في أول قصيدتي وأتيت فيها بفنون من الغزل والهجاء
وغيرهما فقلت :

بوادى دمشق الشام جزى أخا البسط

وعرج على باب السلام ولا تخطى

ولا تبك ما يبكى امرؤ القيس حوملا

ولا منزلا أودى بمنعرج السقط

هنالك تلقى ما يروك منظرًا
ويسلى عن الأخوان والصحب والرهط
عراس أشجار إذا الريح هزها
تميل سكارى وهى تخطر^(١) فى مرط^(٢)
كساها الحيا أثواب خضر تدرت
بنور شعاع الشمس والزهر كالقرط^(٣)

ومنها :

وقف بى بجسر الصالحية وقفة لأقضى لبانات الهوى فيه بالبسط
وعرج على باب البريد تجدد به مرصد للعشاق فى ذلك الخط^(٤)
وحاذر سويقات العمارة أنها مهالك للأموال تأخذ لا تعطى
قلو أن قارونا تبايع بينهم لعاد فقيرا للخلائق يستعطى
ولست لما أنفقت فيها بأسف ولا بالرضا منى أمازج بالسخط
وجاء فى بعض كتبه أنه أدى فريضة الحج واتفق له بعد أدائه أن توجه
مع الركب الشامى إلى معان ثم بلدة الخيل فأقام بها عشرة أيام ، ثم يمم القدس
فنزل دار نقيها وهنأه بعودته إلى منصبه بعد عزله منه ، ثم ارتحل إلى بلاد
الروم وأقام بها طويلا وسكن بلدا من بلاد الأرناؤد وتأهل بها وأعقب
ولكن لم يعيش عقبه .

(١) تخطر — خطر فى مشيته اهتز وتبختر .

(٢) المرط — كساء من صوف أو خز .

(٣) القرط — ما يعلق فى شحمة الأذن .

(٤) الخط بالضم موضع الحى والطريق والشارع ويفتح ، وبالكسر الأرض
لم تمطر والى تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك .

عودته إلى مصر :

ولما عاد إلى مصر تولى تحرير الوقائع المصرية فكان أحد الازهريين
الأدباء الذين نهضوا بها وكانت له شهرة علمية أدبية ومكانة أذعن لها معاصروه
من العلماء والأدباء والأفذاذ .

كان يعقد مجلسا لقراءة تفسير البيضاوى فيتوافد الشيوخ عليه تاركين
حلق دروسهم ، وقد أهلت له هذه المكانة العلمية والأدبية وما اتسم به من
النبوغ وما طار من شهرته وبعد صيته أن يكون شيخا للآزهر بعد وفاة الشيخ
د أحمد الدمهوجى الشافعى .

ولما قدم إلى مصر عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة كبير
الدروز وكانوا قد انتقصوا عليه ملتجئاً إلى د محمد على باشا ، وكان في صحبته
د بطرس النصرانى ، اجتمع به وكان بينهما اتصال ومودة ورأى المترجم فيه
تمكنا من الأدب والمحاضرة ومعرفة بالتواريخ والأنساب وعلوم العربية ،
وقد حدث^(١) بذلك وبأن د بطرسا ، امتدحه بقصيدة منها :

أما الذكاء فإنه أذكى وأبرع من إياسه
فى أى فن شئت فكنه باني أساسه
أضحى البديع رفيقه لما تفرد فى جناسه

مواهبه :

كان رحمه الله طموحا محبا للاجتماع والثنقل ومشاهدة الحضارات
المختلفة وكان معروفا بالجد والذكاء معا ، حدث عنه معاصره المرحوم الشيخ
د محمد شهاب الدين المصرى ، الشاعر بأنه كان آية فى حدة النظر وشدة

(١) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٣٩ .

الذكاء وأنه ربما استعار منه الكتاب في مجلدين فلا يلبث عنده الأسبوع أو الأسبوعين ثم يعيده إلى وقد استوفى قراءته وكتب في طوره^(١) على كثير من مواضعه^(٢) وبما عرف عنه أنه كان يرسم بيده المزاويل النهارية .

آثاره :

له تأليف عدة منها حاشيته على جمع الجوامع نحو مجلدين ، وحاشية على الأزهرية النحو ، وحاشية على مقولات الشيخ السجاعي ، وحاشية على السمرقندية ، ورسائل في الطب والتشريح والرمل ، والبازرجة ، وغير ذلك ، وقد شرح جزءا من الكامل للبهرد .

شعره :

لم يجمع شعر العطار في ديوان ، وقد أراد هو كما قلنا ألا يحتفظ بشعره الذي نظمه في المدح والهجاء ، ورغب ألا يحفظ عنه إلا ما كان غزلا رقيقا نظمه في صباه حيث العيش غرض والزمن من الشوائب محض ، وأن بما يؤسف له أن يفقد كثير من ثروة العطار الشعرية النفيسة ، ولو توفر جميع شعره لارتسمت فيه صورة ناطقة لشاعريته ومواهبه وشخصيته ووضحت هذه القصائد مجتمعة كثيرا من أحوال العصر إذ الشعر مرآته المجولة .

ومهما يكن من شيء ففي القصائد المتناثرة التي وقعنا عليها ما يعين - ولو في جهد - على دراسة شعره ، وطريقته واتجاهه الشعري .

يدل ما بين أيدينا من شعر « العطار » على السهولة ووضوح الغرض وإشراق المعنى وسعة الأفق ، وغزارة مادة التشبيه ، ولعل بما بسط في أفقه الشعري ، ومد في خياله ومال به في الشعر إلى الوضوح والرقّة والسجاجة

(١) الطائر جمع طيرة وهي جانب الثوب الذي لاهدب له وشفير النهر والوادي وطرف كل شيء وجرفه والناصية .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٣٩ .

ما تهيأ له من مخالطة الكبراء والعظماء وما كلف به من حب الحياة الاجتماعية وغشيانها في شتى مجالها ، ومختلف ميادينها وما اجتلاه في الممالك التي ارتحل إليها وجال في ربوعها من مشاهد وحضارات ، وأخلاق وعادات ، وما اطلع عليه من ألوان الحياة المتقاربة والمتباعدة ، فإن كل ذلك من مقومات الشعر . ومن أسباب بسطه وتلويحه ، على أن هذه المخالطات وتلك الاتصالات التي وثق العطار ، أسبابها صرفت شعره عن التعقيد والغموض والالتواء .

ويظهر أن العطار يميل بطبعه إلى السلاسة ، وينحرف بفطرته إلى الإشراق والسهولة ، وإذا رجعت إلى أقدم ما عثر عليه من شعره لم تفتك منه هذه الصفات ، وطالعتك منه صفحة نقية من الغموض والالتواء .

فن أقدم شعره قصيدته التي رواها « الجبرقي »^(١) يمدح بها الشيخ « شامل أحمد بن رمضان » المتوفى سنة خمسة عشر ومائتين وألف من الهجرة حينما ولي مشيخة رواق المغاربة إذ يقول :

انهض فقد ولت جيوش الظلام	وأقبل الصبح سفير اللثام
وغنت الورق على أيكها	تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر أضى في الربا باسمها	لما بكت بالطل عين الغمام
وللغصن قد ماس بأزهاره	لما غدت كالدر في الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا	على الرياحين فأبرا السقام
كأنما الورد على غصنه	تيجان إبريز على حسن هام
كأنما الغدران خلجان	أغصان النقا والنهر مثل الحسام ^(٢)
كان منظوم الزراجين بها	قوت غدا من نظمه في انسجام ^(٣)

(١) الجزء الثالث ص ١١٣

(٢) النقا - القطعة من الرمل تنقاد محدودة .

(٣) الزرجون ، كقربوس شجر العنب أو قضبانها والخرة وماء المطر الصافي المستنقع في الصخرة .

كأنما الآس^(١) عذار^(٢) على وجنته وقد علاها ضرام
 كأنما الورقاء لما شددت تتلو علينا فضل هذا الإمام
 بشراك مولاي على منصب كان له فيك مزيد الهيام
 وافاك إقبال به دائما وعشت مسعودا بطول الدوام
 فقد رأينا فيك ما نرتضى لازلت فينا سالما والسلام

هذه الأبيات من أقدم شعره الذي عثرنا عليه وهي متسعة بالسهولة
 ووضوح الغرض ومجافاة الغموض ، مع حسن صياغتها وتسلسلها ، وكثرة
 تشبيهاتها المحكمة السائغة .

وبما قاله متغزلا :-

إلى متى أشكو ولم ترث لي أما كفى أن رق لي عذلي ؟
 يا باخلا بالوصل عن عاشق بعسجد الأجفان لم ييخل
 أنفق في حر الهوى عمره وعن أمانيه فلا تسأل
 لم يبق في الصب سوى مهجة أمست بنيران الهوى تصطلي
 ومقلة ترعى نجوم الدجى شقيقك الزاهر عنها سل
 تبیت تبكى شجوها كليا هاج بذكراك فؤاد بلي
 ما أطول الليل على عاشق فارق محبوبا عليه ولي
 كأنما الصبح اتقى سطوه من كافر الليل فلم ينبجل

فهذه القطعة من أرق أبيات الصباية وأعذبها ، أودعها الشاعر عواطفه
 وشجونه فعبرت عنها أصدق تعبير ، فهو يعتب على محبوبه عتاب الشاكي
 ويسأله لإلام يغضى من شكواه وقد رثى العذل لحاله ؟ ثم يتجه إليه فيخاطبه
 قائلا متى بخل بالوصل على عاشق جاد بعسجد أجفانه لطول بكائه وأنفق

(١) الآس نبت معروف من الرياحين .

(٢) عذار اللحية الشعر النازل على اللحييتين .

عمره في حر الهوى وأنت معرض لا تسأل عن أمانيه ، لم يبق في محبك إلا
مهجة تصطلي بنار الهوى ومقلة تبيت ساهرة ترعى النجوم ، فسل شقيقك
ينبئك عن حالها ، إنها تبيت تبكي كلما هاج بذكراك الفؤاد البالي ، ثم ينتقل
الشاعر إلى التبرم من طول الليل على العاشق الذي فارق محبوبا ولى عليه ،
وينتظر الصبح فلا يطلع فيخيل إليه أنه يخشى سطوة الليل الكافر فن ثم لم
ينجل ، وهو مسبوق إلى هذا المعنى يقول البهاء زهير :

لـ فيك أجر مجاهد إن صبح أن الليل كافر

المحسنات في شعره :

والمحسنات البديعية تبدو في شعر «القطار» ، وتدور أنواعها في شعره كما
تدور في شعر أقرانه المعاصرين .

ففي شعره الطباق كقوله :

أسروني وأطلقوا دمع جفني وأثاروا في القلب نار الجحيم
وهو بين «أسروا» و «أطلقوا» .
والتقسيم كقوله :

فطرفي إلى رؤياكم متشوف وقلبي إلى لقياكم متشوق
مع ما في البيت من الجناس بين متشوف ومتشوق .

وتجد في شعره الاقتباس كقوله :

مرج البحرين فيضا دمه إذ رأى جفنيه لا يلتقيان
وهو اقتباس من قوله تعالى «مرج البحرين يلتقيان» .

ويستعمل الثورية في شعره وتطالعك كثيرا في قوله :

حلمه الروض جناه يحتمى ويرجى العفو منه كل جان
فقد وري بلفظ «جان» بين معنيه الآثم والقاطف .

وكما في قوله :

وكيف أجوز في ميدان قوم حقيقة فضلهم أرجو مجازه
فقد وري بلفظ د مجاز ، المضاف إلى الضمير يبين معنيه مقابل الحقيقة
والمصدر المسمى الذي هو بمعنى الاجتياز .

وكما في قوله :

كسر القلب وما كان التقى فيه من حين هواه ساكنان
فلفظ د ساكنان ، موري به بين مثني اسم الفاعل من سكن بمعنى حل
أو سكن بمعنى لم يتحرك ويحسن أن نشير إلى أن د العطار ، أخذ هذا المعنى
من قول الشاعر :

يا ساكننا قلبي المعنى وليس فيه سواك ثان
بأى معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان
أما الجناس فإنه مولع به ، مفتون بفنونه ، يستعمل منه في شعره ألوانا
مختلفة ويدور في شعره في صور شتى ، وكان د بطرسا ، الذي قدم إلى مصر
ضيفا مع كبير الدروز لم يقل في د العطار .

أضحى البديع رفيقه لما تفرد في جناسه
إلا حيث كانت د للعطار ، شهرة بإدمان الجناس والافتتان فيه ، وتلويته
بالوان مختلفة ، فقد يعدد إلى الجناس في الكلمة الواحدة فيوردها ذات معان
شتى وفي صنور متغايرة قد تصل أحيانا إلى أربع كقوله يمدح د إبراهيم باشا ،
سمهرى^(١) ينثنى أم غصن بان أم قوام دونه صبرى بان
صان بالعسال^(٢) معسول اللمي وتهادى هادما ما أنا بان

(١) السمهرى - الرمح الصلب والمنسوب إلى سمهر زوج ردينة وكانا متقنين
للمراح ، أو إلى قرية بالحبشة .
(٢) العسال الرمح الذى يهتز ليننا والمعسول المخلوط بالعسل .

يا مليك الحسن رفقا بشيح كلما حاول كتم الشجور (١) بان
فكلمة « بان » في هذه الأبيات كررها الشاعر أربع مرات ، وهي على
ترتيبها (اسم) للشجر ، وفعل ماض بمعنى تعد ، واسم فاعل من بنى بمعنى أقام
وشيد وفعل ماض بمعنى ظهر ، وولوعه بالجناس هذا هو الذى أوقعه فى هذا
التكرار الذى غاض معه جمال الشعر وبهاؤه ، وجاء متكلفا لا تنفتح الاسماع
له ، وهو لا ينسى فى غمار هذه الضجة التى أثارها بجناسه (وبان) تكلفها فى
شعره أن يسوق جناسات أخرى فى سياق هذه الأبيات كما بين (العسال)
(ومعسول) اللبى (وتهادى) و (هادما) و (شج) و (شجو) .

وهذا الجناس الذى يغرق « العطار » فى تناوله ويسرف فى استعماله يحلو
أحيانا فيكون مقبولا سائغا لا نبو فيه كقوله :

وصفا لى زمان أنس صفالى بحبيب غرض وراح قديم
وقوله :

ومالى إن منعتكها اقتدارا ومالى إن منعتكها إجازة
وقوله :

يُم اليم ورد ما تشتهى وعلى المورد يا صاح الضمان
وقوله :

وغنت الورق على أيكها تنبه الشرب لشرب المدام
وقوله :

همم فوق السموات سمت ومعال دونهن الصعب هان
فالجناس بين « صفا » و « صفا » و « منعتكها » و « منعتكها » و « يمم »
و « اليم » و « الشرب » جمع شارب و « الشرب » مصدر شرب و « السموات »
و « سمت » و « دونهن » و « هان » وهذه جناسات سائغة لا تمجها النفس

(١) الشجور — شجاء حزنه وطربه كأشجاء فهما ضد :

ولا تتكره لها ومن جناسه ما يسمج وينسبو وتسمعه الآذان بغضاضة
وتسخط لما يبذله له من التكلف والتعسف كقوله :-

وحلى حلت وجلت غاية أيجارى من له سبق الرهان
وقوله :

فهو كالشمس سمت آفاقها وسناها كان فى كل مكان
هذه جناسات موسومة بطابع التكلف ارتصد لها الشاعر فلم تخف على
الأسماع .

حسن الانتقال فى شعره :

والشاعر يحسن الانتقال من معنى إلى معنى فلا تحس بقلق بين المعنيين
أو اقتضاب أو تنقل من الأول إلى الثانى بل نجد تمام الالتئام وحسن السبك
وأحكام التأخى كقوله :-

ياندى قم وباكرها وطب هذه الجنة والخور الحسان
وأدر لى بنت كرم عتقت نورها الباهر يحكى البهرمان
بالهى قد فعلت كاساتها فعل إبراهيم سلطان الزمان
فقد انتقل من أثر الكؤوس فى النهى وما تفعل به إلى أثر إبراهيم
الممدوح فى نفوس الناس دون مجافاة بين المعنى الأول والثانى أو تعثر
أو فجوة بينهما .

أغراض شعره :

هو واسع الأفق فى شعره يتناول فيه جميع الأغراض الشعرية من غزل
ومدح وهجاء ونثر ورثاء ووصف وتهنئة وحكم وغير ذلك .
ومن حكمه قوله :

قد يطلب الحسنا من لم يكن كفوآ لها للحمق فى عقله

قد يتساوى اثنان في منصب وإنما التفريق في سبيله
ويفخر المرء بأفعاله لا بالذى قد مات من أهله

المصطلحات العلمية في شعره :

تبدو المصطلحات العلمية في شعره ولكن على قلة فمن ذلك قوله :
فمنصب المرء قريب له والشكل مجذوب إلى شكله
وقد ترى فرعين من دوحة تخالفا في الحكم مع شكله

التاريخ الشعري وبراءته منه :

أما التاريخ الشعري الذى تهافت عليه الشعراء المعاصرون له نغتموا به
قصائدهم وسجلوا به كل حادث وافتنوا فى تناوله ، فقد تحرر « العطار » منه
ولم نعثر فيما وقع بين أيدينا من شعره على استعماله هذا النوع .

* * *

نثره

جرى « العطار » فى انشائه على طريقة عصره وخاصة فى أوائله فالتزم
السجع حتى لم تفلت منه جملة ، وتكلف الصنعة ما طأوعه جهده ، فكان نثره
عكس شعره قيودا والتزامات فى النثر وسهولة وانطلاقا فى الشعر فى أغلب
الأمور ، وقد أودع ما كتبه فى كتاب سماه « إنشاء العطار » وقسمه قسمين
(كتابة الشروط والصكوك ، وإنشاء المراسلات الواقعة بين السوقة والمملوك
وأثبت فى هذا الكتاب (من كل فن منهما قدرا به اللبيب عن غيره يستغنى ،
فهو لكل كاتب عن الافتقار لسواه مغنى)

وكان له فى صباه أغراض دونها فى أوراق تلاعبت بها الأيدى ، ولم يبق
منها إلا النزر القليل فلخص منها ما يحسن إirاده فى (المحاطبات) وترك
(مالا يتعلق به غرض فى المكاتبات)

ولما كانت الأقلام في هذه الفترة متقاصرة عن تصوير المشاعر وتسجيل
الخواطر وتدوين الرسائل في مختلف الأغراض ، وضع «القطار» لشتى
المناسبات أنشاء مختلفا يستعمله كل كاتب في غرضه ، مراعىا مقام المكتوب
إليه ، فإن كتب رسالة ترفع إلى أمير أو سلطان حشد له المدح والثناء ، أو
لمرجو في حاجة بسط إليه أكف الضراعة والاستجداء ، واستدر عطفه
ونداه ، وإن خاطب عالما كان خطابه متسقا مع ما عرف به المخاطب من
نوع علمه ، وراعى في رسالته إليه ما يناسب من العبارات والتراكيب
مستشهدا بالشعر حيناً من نظمه وحيناً آخر من محفوظه .

وبعد أن حشد في القسم الأول من هذه المخاطبات طائفة من الرسائل
المتنوعة ، عقب بخاتمة (تشتمل على أبيات تورد في أوائل الصدور ويستشهد
بها في أثناء السطور) وبطائفة أخرى من (شطور أبيات تحلى بها السجعيات)
ثم كتب في القسم الثاني ما يلائمه من رسائل أعدها لمن يعجز عن
الكتابة فيستعين بها من صور مبايعات وصلح وحوالة وشركة وشفعة
ووكالة ونحو ذلك .

* * *

نماذج من إنشائه

بما كتبه في رسائل الإخوان

(الإخاء بيننا أدلم الله سعدك وأثل مجدك ، وأورى زندك ، وأهلك
ضدك وأجرى على الألبسة شكرك وحمدك .

فالناس أجدر من أن يمدحوا رجلا

حتى يروا عنده آثار احسان

(١٠ - أزهري - رابع)

قوى الارتباط بغيد الانحطاط، متزايد متصاعد، عتيد أكيد، لا يطمع
واش في نثر عقده، ولا يوجب طول التباعد تناسي عهده، كيف وأنت
الجليل الذي عليه المعول، والحبيب الذي آخر شوقي إليه أول، لي بقلبك
أنس وأرتياح، وبدارك غدو ورواح، ومبيت ومقيل، في ظل عيش ظليل
قوبل باجلال، وعومل بإفضال

وقيل له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مكان صالح ومقيل
يجد منك القاصد إليك، والمستقر لديك، ما تقر به عينه، ويستقرأينه
من نفيس كتاب، ولذيذ خطاب، وجليس أنيس، ونديم نفيس .
مجلس تكثر الفوائد فيه وتسر العيون والاسماع
وكتب لعالم نحوى

يقبل الأرض إجلالا ويشرح ما يحس من حرق الأشواق والقلق
ويشتكى بعض ما يلقي وأعجب ما رأيت أن تخمد النيران بالورق

ويبدى غراما تحرك سوا كنهه عوامل الاشتياق، وحبنا أضرمت ناره
في الضمير فكاد يشعله الاحتراق، وينعت ودا متمزجا بتوابع الثناء والمدح
ويرفع أدعية صارت بها الأكف مبنية على الفتح، ويصف أشواقا سكنت
في صميم الضمير، وسلم جمعها من التكسير، بعد دعاء إذا قصد باب القبول
قل ادخلوها بسلام، وسلام أعطر من حديث التسميم بأخبار زهر الكمام،
وينهى بعد بث أشواق أصبحت بها الدموع في محاجر العين معثرة، ولو لم
يقرأ إنسانها بمرسلات الدمع لقلت في حقه قتل الإنسان ما أكفره .

إنه إن تفضل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد المخلص، والمحجب
المتخصص، فهو باق على ما تشهد به الذات العلية، من صدق المحبة ورزق
العبودية، ويخبركم بكذا وكذا... الخ،

السيد على الدرويش المصرى

المتوفى سنة (١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م)

نشأته وحياته :

هو د السيد على الدرويش ، بن د حسن ، بن د ابراهيم الانكورى ، ولد بالقاهرة فى غرة شهر المحرم سنة ١٢١١ هـ ، ولما شب ألحق بالأزهر فتلقي علومه على جلة من شيوخه ، وكان منذ صباه ميالا إلى الأدب وفنونه ، فأقبل على كتبه يغذى ملكته بقراءتها ويرتوى من محاسنها ، ويستظهر ما يستطيعه منها ، وقلب فى كتب اللغة فعرف أسرارها ، ووقف على مكنونها وكان هواه إلى الهندسة والحساب أيضا فأجال فيهما نظره ، ثم تفرغ للكتابة وقرض الشعر ، وحرر الرسائل ونظم جمهرة من الأصوات (أدوار الغناء) واشتهر بصناعة المواليا والموشحات ، وتهيأت له بأدبه وشهرته منزلة رفيعة لدى الوجوه وأمراء العصر حتى أصبح شاعر المرحوم دعباس الأولى ، وكان غنيا بماله وعقاره عن التكسب بشعره معروفا بميله إلى اللهو والطرب غزير المدح لمن يحبه لاذع الهجاء لمن يبغضه ، ولعله امتاز بهذين من الشعراء الأزهريين الذين لم يكونوا فى ذلك مسرفين ، كما كان حاضر البديهة عذب المفاكهة ، حلو المنادرة ، كانت وفاته فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وألف من الهجرة .

شعره :

عصر الدرويش عصر صناعة وزخرف وطلاء وتعمل وكلف بالبديع وإغراق فيه على تفاوت الشعراء فى ذلك ، ولو أن الدرويش اقتصر فى شعره على الحظ الذى تناوله المعاصرون له من الصناعة والمحسنات لكان من أجودهم شعرا الا أنه أغرق فى البديع ، وكلف بالزخرف يحشده حشدا ، ويشده شدا ،

فيسرف فيه إسرافاً ، ويتصيد به سهولة ويرتقبه رضىه الذوق أو أباه ، وبذلك
استغلق شعره ، والتوى قصده ، وانحط نسجه ، وضلت معانيه فيما أغرى به
من صنعة وما سهر عليه من زينة .

فن جناسه الذى يستعمله فى شعره قوله :

أيام أفراح هى الحسن صدق اليمين بأنها يمن
فالجناس بين اليمين واليمين وهو متكلف إلا أنه غير موغل فى الثقل

وقوله :

كالروض مختلف الثمار مهذباً أفنانه من عنده فن
فالجناس بين أفنان جمع فنن (وفن)

وقوله :

أملى وعلم مآله أعيانى أو لم تكن منقولة أعيانى
فالجناس بين أملى ومآله وبين (أعيانى) بمعنى أثقلنى و (أحيان) المضافة
إلى ياء المتكلم جمع عين

وقوله :

صفو الليالى أحسنا يمن تراهم أحسنا
فالجناس بين أحسن ضد أساء وأحسن ووصفاً من الحسن .
هذه الجناسات ليس فيها ما وإتاه عفواً ، أو انساق إليه دون استكراه
بل احتفل الشاعر بها فشدّها شداً أضاع المعنى الشعري وجرد الشعر من
الجمال والروعة .

وبما أسرف فيه من الجناس وكان غاية فى الثقل والتعمل والنبو والقلقى

قوله :

جسمى لعرى غدا بالبرد مكتمسياً ليلاً وشمس نهارى بردى الثانى
بُرْدَان لَانْفَع (للبردان عندهما) وجبة البرد تكو كل عريان
أخاف أن طلب برداً أستغيث به يردّه بَرْدًا بالغيث الخرماني .

لا أسأل الحظ: برداً أن يحرقه والبرد والبرد في التحرير سيات
فانه مازال يكرر لفظ (البرد) ويديره في شعره في أوضاع مختلفة طلباً
للجناس حتى قبّح نسج الشعر وسمح نظمه ، وأصبح غاية في السخف و(البرودة)
ولعل كلفه بالجناس أوقعه في الخطأ باستعمال كلمة بردان العامية وفصيحتها
بارد وبراد وبرود وبرد

ومن الطبايق الذي يستعمله قوله :
بيت جديد قديم المجد عن سلف بسعد أنجاهم قد شرف السكن
فقد طابق بين جديد وقديم وقوله :
فكم قالت لها الأخرى هلمى وكم قالت لها الدنيا تانى
فقد طابق بين الأخرى والدنيا :

ومن أنواع البديع التي يستعملها في شعره مراعاة النظير كقوله :
لهم جامع من غير باب فكم عوت عليهم من المحراب في الصبح جرذان
إذا سجدت حيطانه فهي ركع وتسمع تسبيح الحصا منه سقفان
وقد أخطأ إذ جمع سقف على سقفان والصحيح سقف وسقف
وبما أولع به من التورية في شعره قوله في ملبح اسمه رضوان
قد أكثر البعض في إنكاره سفها يوم القيامة جنات ونيرانا
فأبطل الله في الدنيا أدلتهم لما أراهم من الجنات رضوانا
فيحتمل أن يكون أراد (رضوان) خازن الجنة ، أو الملبح المسمى
(رضوان) أو الرضوان مصدر كالرضا من رضي (ورضوان من
الله أكبر)

ويورثي في كتاب اسمه «مراعات الغزلان» ، فيقول : -
يا واردا سلسال ذا البستان منك الدعاء لصبار ظمآن

واسمع قمارى الحب فى أقمارها فلقد سقاها كأسه وسقانى
واسترجم المولى شهيدا فى الهوى أبدا صريع (مراتع الغزلان)
فالتورية فى قوله (مراتع الغزلان) إذ يحتمل أن يكون اسم الكتاب
أو مواطن النفس الشبهات بالغزلان

وهو يغرى بالبديع أيضا فى الموشحات و (الأدوار) الغنائية فتراه
يلتزم الجنس فيها ويستعمل التورية ما استطاع ، كقوله :-

بافاتك الفتان ناسى ناسى أهواء
ونخده النعمان كاسى كاسى آه... وآه

فقد أوقع الجنس بين ناسى اسم فاعل و (ناسى) بمعنى أهلى ، وأوقعه
بين كاسى اسم فاعل من كسا و (كاسى) التى هى اناء الجمر مضافة إلى ياء
المتكلم ، كما أوقعه بين أهواء ، فعلا بمعنى أحبه ، وآه ، وواه اسمى فعل بمعنى
أتألم ، وفى ذلك من التكلف والتشدد ما فيه ، ويقول :-

يا من على نخده دينار صرفت فيه فضة دمعى
جدلى بيوسه قال دى نار والبوس محرم فى شرعى

ففى كلمة (دينار) الثانية تورية إذ يحتمل أن تكون مكونة من (دى)
اسم الإشارة بالعامية (ونار) أى هذه نار لا تطيقها ، وأن تكون النقد
المعروف من المذهب ، والمعنى هات ديناراً إن أردت القبلية .

ولوعه بالتاريخ الشعرى

وهو مفتون بالتاريخ الشعرى وما زال يستعمله فى شعره حتى عزف به
ومهر فيه حتى ما كانت تمر به حادثة إلا أرخها هفوا الساعة (١)

(١) أعيان البيان للسندوبى ص ٤٦

فمن ذلك ما قاله يؤرخ به إنشاء قنطرة

إنشاء عمدوح الملا من عدله الدنيا ملا
أعنى الوزير محمدا رب المحامد والولا
لقبو له قد أرخوا إنشاء قنطرة العلا
٣٥٢ ٧٥٩ ١٣٢

سنة ١٢٤٣ هـ

ويؤرخ لتجديد القصر العالى فيقول :-

قصر به نور السعادة أهل إسعاد منشئه به متواصل
فكانه الفردوس فى أوصافه ظل وفاكة وماء هاطل
وبلابل الأغصان فيه ترنمت فرحا فنقطها اللجين الوابل
والسعد نادى بالسرور مؤرخا قصر به نور السعادة أهل
٣٩٠ ٧ ٥٢٦ ٥٦٨ ٢٦

سنة ١٢٥٧ هـ

وبما كتبه ليؤرخ به

تاريخه كمولد السيد أباطه حسن

١٠٠ ١٠٥ ١٠٥ ١٠٩ ١١٨

سنة ١٢٣٢ هـ

وهو يستعمل الشعر فى التاريخ للناسبات التافيه فإذا مات حمارة قال :-

الدرويش مات حمارة

سنة ١٢٤٦

وإذا مات حمار (خليل) قال :-

قد نفق حمار خليل

سنة ١٢٥٣

ويموت خادمه في ذلك العام الذي مات فيه حمارة فيؤرخ كما أرخ له
فيقول :-

قد مات خادمي أحمد

سنة ١٢٥٣

وإذا جدد منظرتة كان تجديدها عمارة تستحق التايخ فيقول :-

جدد أحمد منظرة

سنة ١٢٥٩

هذا وسنورد أبياتا متصلة من شعره لتكون أنطق دلالة على مذهبه في
الشعر وأكثر توضيحا لمسلكه فيه ، مما هو من أغراض شعره المختلفة

فما قاله يمدح المرحوم د محمد عليا ، ويؤرخ لامتحان المدارس

أبجد في سوى العلم المعاني	ومعنى الأنس إدراك المعاني ؟
كفاني أن رب العلم باق	على الدنيا وهل باق كفاني ؟
فلو عرف الكمي مجال علم	لراحنا عليه بالياني
وسن يراعة بسمت بنجح	متى عبس البنان من الطعان

بديوان المدارس نعم يوم	ولا أنساه يوم المهرجان
بانجباب جميعهم تحلى	بعقد النجم مسعود القران
وقال لهم نزال لدى المعاني	وراهنهم فجالوا في الرهان
ترى شجمانهم بثبات جاش	إذ عرف الجبين من الجبان (١)
وهم يتنافسون بكل فضل	ليمتحنوا وعند الامتحان
كان جوابهم لمغالطهم	(عتاب بين جحظة والزمان)
فهم سادوا بمسودات فضل	بها قد ييئسوا وجه الزمان

معانيهم تصرف نحو فقه ومنطقهم بديع في البيان
ولا عجب إذا كان المربي مربى الروح بالعقل المصان
خديو عدله في كل دان وفضل علائه في كل آن
معان من معالي أريحي أريج من زهور في جنان
به الأوطان مثل الروض أضحى وفيها مدحه كالأقحوان
قد اكسب هيئة الدنيا جمالا وجمل مصر منه بامتان
بترجمة العلوم وكن عجا وتأليف اللآلى والجمان
ينظم فوق صدر الفضل عقد ونثر ذاك منه النيران
بلين تمدن وشديد دين فريد ماله مثل يدانى
به الإفضال نادى الفضل أرخ أجل كرامة للامتحان

٢٤ ٦٦١ ٥٦٠

سنة ١٢٥٥ هـ

فهذه الأبيات حشد الشاعر فيها ما قدر عليه من أنواع البديع المشدود
وألوان الصنعة المتكلفة المستكرهة حتى لكانها مقصده الأول وغرضه الاسمي
لجاءت بجة مقفرة من جمال الشعر ، لا تنسم منها روح الشاعرية الخصبه ،
بل لعل لم أهتز لبيت واحد منها بخيال يطرب أو تصوير يعجب .

ودعاه صديقه « السيد أباطله » لمقابلته أحد الأمراء فكتب إليه :-

غيرى تلفته تلك الخيالات فهل لخطك فوق الماء إثبات
لا تحسب الفضل عند الكل منقبة إحسان قوم لدى قوم إساءات
وحاسب النفس عن ساعات ما اشتغلت في أى نفخ مضت تلك السويعات

(١). يقال امرأة جبينه وجبين وجبابة ..

قرب صديقك وابعد عن هدوك في سر إذا منعك الجهر حاجات
الناس بحر فن والى سباحته لا بدّ يعياً وفي البر السلاطات
فوحشة الناس أنس أو يمازجهم ففى بضاعته فى الناس مزجاة
إن عاتب الدهر غيرى لا أعاتبه إذ موجب العتب فى دهرى بحيات
فأكثر الناس لم أفرح لعيشتهم فى أى حال ولم أحزن إذا ماتوا
ولا أضر إذا غابوا وإن حضروا فلا أسر ولم أنظر إذا فاتوا
فللدرأويش حالات مناقضة وللدجانين أوقات وساعات

وفى الحق أن هذه الآيات لم تخل من المعانى الشعرية ، ففيها دلالة على
مذهب الشاعر فى الحياة وأنه لا يعبأ بكبار الناس ولا يتهافت عليهم فما ذلك
فى رأيه إلا خيالات ، هى أشبه عنده بخطك فوق الماء لا ثبات له ولا أثر ،
وأنه لا يحمل لأكثر الناس فرحاً إذا عاشوا فى أى حال ، ولا يحزن عليهم
إذا رحلوا عن الحياة ، وإن غابوا فلا يضره غيابهم ، وإن حضروا لا يسره
حضورهم ، وإن فاتوا لم يكلف نفسه نظراً .

وهو يلتمس لنفسه العذر بأنه من « الدراويش » ، (وفى ذلك تورية باسمه
لطيفة) وللدرأويش حالات مناقضة ويحسب نفسه فى المجانين ليقوم جنونه
عذراً عند صاحبه وذلك عدا ما فى الآيات من حكم جرت على لسان مجرب
خبر الحياة وعرف الناس ، وأنه وإن لم يدع فى هذه الآيات ما جبل عليه
من حب الزخرف والطلاء كان غير مسرف وذلك لما أبقي لها كثيراً من الجمال
وأهلها لغير قليل من التقدير وحسن الوزن .

ومن شعره الذى فيه شيء من الطرافة وحسن السبك ما قاله من قصيدة
يعتذر بها للشيخ « البديرى » .

بدر صفا بعد تكدير النوى فيه وجاد لى بعد أن زالت نوافيه
فروح الروح وأغنم نور بهجتها بمفرد قد سما عمن يحاكيه
قل (البديرى) واستعطف أصالته فإن عوفى عليه فى معاليه

قد يهمل النقع في البيدا لحسته ويرجم الغصن إن طابت مجانيه
فاذا أغضيت عن الجناس في البيتين الأولين ، أعجبك من الشاعر تعبيره
(استطاف أصالته) وأنه جعل عونيه عليه في معاليه ، وراقك تشبيهه المحكم
في البيت الأخير .

وقال مضمنا .

وغادة غار منى زوجها فسعى
يا زوجها كف عن قتلى مسامحة
يريد قتلى وفي أحشائه حرم
يبنى وبينك لو أنصفتي رحم
وقال مضمنا أيضا .

قد قلت لما بدا يختال في خفر
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وهز عطفها كغصن البان ممشوقا
وصير العالم التحرير زنديقا

وبما قاله متغزلا

تعالى من أعار الغصن لنا
يهنأ العاشقون بطيب عيش
سعدنا بالتواصل بعد هجر
فقل للصابرين على هواه
(سيخزيهم وينصرم عليهم)
أرى لى فى محبته يقينا
إذا ما كنت تهوى البحر فينا
فن هذب ومن شعر وخال
فانا فى هواك عبيد رق
فإن تمنى يا حسان علينا
فقل للجاهلين بجاه حسن
رأيت طرة سلبت فؤادى
وأحرم من جناه العاذ لنا
فأأحلى عذاب العاشقينا
وقد كنا بحفونه شقيننا
دعوا العذال فيما يفترونا
ويشف صدور قوم مؤمنينا
فهل من لحظة شيء يقينا
فدع هذا لقوم آخرينا
يوالى المسلمون الكافرينا
على حب وما كنا سينا
(فإن الله يحزى المحسنينا)
لظي لم يصف للجاه لنا
بصفراء تسر الناظرين

وهذه أبيات تمثل غزل العلماء الجاف فلينس فيها من لوعة ولا صباية ،
وانما هي شعر جذب لا تهتز له نفس ولا يمس عاطفتك أثر منه ، عدا ما
فيها من الجناس الذي حرص عليه ، والاقتباس الذي سعى إليه وساقه في
غير موضعه ، سيخزيهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا ،
وإن الله يجزى المحسنينا ،

ولكن شعر الدرويش لا يخلو أحيانا من شعر مقبول ونظم على طرف
من الجمال والحسن ، ويظفر بذلك كلما تحرر من قيود التكلف وآثر السهولة
والتطلق .

ومن ذلك قوله : -

ألا محب يلاقيني أطارحة هوى حبيب منيع الدار نازحه
رأيت في الغصن شيئا من رشاقته

فكدت من فرط أشواق أصافحه
حتى يؤجج نار الحب في كبدي ظلما وقلبي مع هذا يسامحه
كأن شمس الصبحي من طوقه شرقت

لنا ومن فرعه عادت بوارحه
وان جفاني لبعدي عن منازل واعتاضني مائقا يهجو مادحه
فطالما قصرت أوقاتنا معه في ظل بان يثير الوجد صادحه
ورب ماض من الأعراب ذي شرف

تصافح الهام في الهيجا صفائحه
سابقته للنعماني ثم قدمني قلب الى الذروة العليا مطامحه
وبات يسري الى شأو ليدركه كالوعل يمشي الى طلود يناطحه
ومهمه نازح الأرجاء ذي محن كأنما لجج خضر مناووجه
قطيعته وركاب الركب واقفة سيان سانجه عندي وبوارحه

حيا العقيق من الوسمي صوب حيا

وجاد مغناه غاديه ورائحه

فكم فؤاد أبي فيسه منطرح وعاشق سفحت فيه سواخه

فما من ريب في أن في هذه الآيات غير قليل من الرصانة وجمال الشعر
وقوة التصوير ولم يتها ذلك للشاعر إلا بتخلصه شيئاً من الأغلال التي كان
يرسف فيها من التعسف وكريه الصناعة .

ومن أبياته الرقاق ما قاله في الهرمين :-

أنظر إلى الهرمين واعلم أنني فيما أراه منهما مبهوت
رسخا على صدر الزمان وقلبه لم ينهض حتى الزمان يموت

ديوان شعره :

وقد جمع تليذه « مصطفي سلامة النجاري » شعره ونثره في كتاب سماه
« الإشعار بحميد الأشعار » وطبعه على مطبعة الحجر سنة ١٢٨٤ هـ ، ورتب
الديوان على ثلاثة أبواب — الأول : في الصناعات مرتبة على السنين ،
والثاني : في غير المصنع مرتباً على حروف الهجاء ، والثالث : في النثر
والأدوار ، وقد نظم الدرويش جملة متون وأراجيز منها متن التنوير
ومنظومتان في العروض والقوافي افتتح الأولى بقوله :

إلهي لك الحمد فصل مسلماً

على المصطفي والآل والصحب تفضيلاً

واستهل الثانية بقوله :

لك الحمد فاللهم صل مسلماً لطفه وآل فضلهم مد أجراً

وبعد ففي نظم عروضاً قوافياً على هو الدرويش وازن أسطراً

وهو نظم ضعيف منحل السبك كما ترى :

نثره :

أما نثره فهو صورة من شعره في التكلف والتعسف ، يلتزم فيه السجع حسن أو ساء (ولولا ما كانت تجره إليه الأسجاع من الحشو والخروج لعد من كتاب الطبقة الأولى في منشىء ذلك العصر^(١)) .

وقد تضمن نثره الباب الثالث من كتاب « الإشعار بحميد الأشعار » ، وله مقامات ورسائل فيها روعة ورصانة ، فمن نثره ما كتبه أحد أصدقائه وقد دعاه للحضور .

« سيدى كان مأمولى الحضور ، لأحظى بالحبور ، لكن قابلى القدر بنحسه وحضر لى من قد بناه بنفسه ، فكادت النفس تحسن لى أن أقتله بسيف على ولو كنت من شيعته ، لحضر لأعتابكم العبد من ساعته . ولما لم تكن لى وسيلة حتى أشاهد بطرفكم كل حيلة ، قلت حسبي الله ونعم الوكيل ، واعتكفت على اسماعيل »

ومن مقامة الفضيلة والذيلة قوله :-

« وفقك الله لما يرضاه ، وعصمك من موجب الذم ومن لا يتحاشاه ، وإن الفضيلة والذيلة صفتان متضادتان ، ونوع الإنسان مجبول على الميل للأولى والفرار من الأخرى على حسب آراء العباد وعوائد البلاد ، فربما كانت الفضيلة عند قوم ذيلة عند آخرين ، وكانت الذيلة عند أمم فضيلة عند غيرهم من المتأخرين وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، مع تفاوتهم فى طبائعهم وأشكالهم وصنائعهم فمنهم ذو الطبع السليم ، ومنهم الذميم ، ولا سبيل إلى ترغيب الأول ليجتهد فى الازدياد ، والترهيب للثانى ليتطبع على أن يتحاشى بالاعتقاد ، إلا باللسان الآق بسحر البيان ، فقد جاء فى الحديث أن إيمان المرء ليربو إذا مدح ، وربما يصح الجسم إذا جرح . »

مؤلفاته

من مؤلفاته كتاب الدرج والدرك ، وهو كتاب وضعه فى مدح من

اشتهر في أيامه بكريم الصفات وجميل المزايا وذم ذوى الدنيا والمثالك على ما هداه ميله وأوحى إليه عقله ، جعل الدرج للمدوحين والدرك للذمومين روى تليذه «مصطفى النجارى» ، أن هذا الكتاب استعاره منه صديقه «حافظ بك مصطفى» ، ولم يردّه .

وله كتاب آخر اسمه «تاريخ محاسن الميل لصور الخيل» ، وهو كتاب وضعه تلبية لرغبة الخديو «عباس الاول» ، ذكر فيه محاسن الخيل ومساوئها وله رحلة لم تطبع ولم يتيسر الاطلاع عليها ، وله سفينة الآداب ، استعارها منه صديقه «على أغا الترجمان» ، ولم يردّها .



الشيخ محمد شهاب الدين المصرى

المتوفى سنة (١٢٧٤ هـ) (١٨٥٧ م)

نشأته وحياته :

هو د محمد ، بن د اسماعيل ، بن د عمر المصرى ، الشهير بشهاب الدين ولد بمكة سنة ١٢١٠ هـ ، ثم وفد إلى القاهرة صبيًا ونشأ بها والتحقيق بالأزهر ، فطلب العلم على شيوخه ، واختص منهم بالشيخ د حسن العطار ، والشيخ د العروسى ، وكان مفطورا على حب الأدب ، بارع النظر فى فنونه دائم التوفر على مطالعته ، ونال حظا وافرا من علوم الرياضة كالمهندسة والحساب والموسيقى والألحان ، وكاتب أدباء عصره ، ويعمه الطلاب للاقتباس من أدبه ، والانتفاع بمعارفه ، ومن تخرج عليه فى فقه اللغة والبيان الأديب المعروف المرحوم الشيخ د أحمد فارس الشدياق .

وقد تولى د شهاب الدين ، تحرير الوقائع المصرية فكان أحد من رفعوا شأنها ، وهذبوا لغتها ، حيث كان الشيخ د حسن العطار ، رئيس تحريرها فلما تولى الأخير مشيخة الأزهر وترك رئاسة التحرير أسندت إلى د شهاب الدين ، فأطلق يد الشيخ د أحمد فارس الشدياق ، فى إنشاء الفصول وتجهيز الرسائل وظل هو مشرفا على تحريرها حتى سنة (١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م) ثم جعل مصححا بالمطبعة ببولاق .

وكان مداخلا للكبرار موصولا بالعظماء نديما مسامرا فكها ومحاضرا ذا نكتة بارعة وبديهة مساعفة ، وحديث طلى ، وقد تسامع الناس بهذه المواهب ونفى للخديو د عباس الأول ، براعته وسعة روايته وخفة روحه فقربه وأدناه من مجلسه ، وجعله صاحب أسناره وكبير ندمائه ، وأباح له الدخول دون إذن عليه ، وبلغ من الخطوة والمكانة ما لم يبلغ شاعر معه (إذ جعل فى كل قصر من قصوره حجرة يبيت فيها الليلتين والثلاث إذا طلبه

للمجالسة والمناذمة^(١) فأفاض عليه من نعمه وأغدق عليه من كرمه وصار شفيعا لديه فيما جل من الأمور

وكانت له مع دعباس ، نوادر ومفاكهات منها ما رواه صاحب أعيان القرن الثالث عشر وذلك أن د شهاب الدين ، كان جالسا في حجرته بأحد القصور ومعه بعض جلساء الوالى ينتظرون الإذن بالدخول عليه ، فقال فى عرض الكلام .

يقولون : إن البغلة لا تحمل أفلا يكون ذلك بسبب رطوبة أو ما أشبهها بما يمنع الحمل ، وعند الأمير أطباء كثيرون فلو أنه أطال الله بقاءه أمر بعضهم بالبحث عن سبب هذه العلة وإزالتها ، فليست أشك فى أنها تحمل بعد ذلك وأسرع بعض العيون فأبلغ عباسا كلامه فجاء بعد هنية أحد رجال القصر وقال له يا أستاذ يقول لك (أفندينا) أننا سنأمر بعض الأطباء بما أشرت ولكن إذا لم تحمل البغلة ماذا يكون ؟ فبهت القوم لنقل الحديث بهذه السرعة إلا شهابا فإنه وقف وقال : أبلغ مولاي أن شهابا له كذبتان كل سنة أيام الباذنجان هذه إحداهما^(٢) .

ويرجع اتصال د شهاب الدين ، دعباس الأول ، إلى ما قبل ولايته على مصر حيث كان دكتخدا د لجده ، فقد كانت للشاعر تهان متعاقبة لفتت نظر دعباس ، إليه ، حتى إذا ما صارت الولاية إليه قربه وأدناه .

ولما صارت الولاية د لسعيد باشا ، اتصل الشاعر به وأجزل له المدح وأزجى له التهاني فى كل مناسبة إلا أنه لم يجد من خصب جنبه ما وجده من دعباس ، فقد كان الثانى أشد حذبا عليه وتكريما له وبرآ به .

ثم بدأ المترجم ينقطع للدرس ويعكف على التأليف وينشر أدبه على الناس حتى استأثر الله به .

(١) أعيان القرن الثالث عشر لأحمد تيمور باشا ص ١٣٨

(١٠ - أزهر - ثالث)

وكان ذكياً عبقرياً ممتازاً بقوة المناظرة ورصانة الجدل وقدرته على الحوار راوية كثير الإنشاء يتنادر في مجالسه بطرائف من شعره ويطرف مجالسيه بألوان فائقة من أدبه ، فلا يمل له حديث ولا يغمض عنه جفن .

شعره :

شعر « شهاب الدين » من أجود الشعر في هذا العصر ، وهو صورة صادقة للحياة الاجتماعية في زمنه ومראה صافية تتمثل فيها حياته وصفاته ، وهو يقول الشعر غير مستعص عليه ، وإنما يواتيه طبعاً وينقاد إليه غير متأب . وأكثر ما في شعره إنما هو المدائح التي وجهها « لمحمد علي ولعباس » الذي كان شاعره ثم « لسعيد » من بعده ، بل انه يمدح كثيراً ممن لهم مقام كريم . وجاه رفيع ، فيمدح « أدهم باشا » و « مختار بك » ناظرى المعارف ومديرى إدارة المدارس ويمدح « عارفا بك » شيخ الإسلام بتركية ، والشريف « محمد بن عون » وأستاذه الشيخ « حسن العطار » والشيخ « محمد والعروسى » كما يمدح الشيخ « أحمد الصائم » والشيخ « محمد العباسى المهسدى » الملقب ، والشيخ « محمد عليش » شيخ المالكية « والسيد محمد البكرى » نقيب الأشراف وغيرهم ، ولعل لرقعة حاله سبباً يتصل بافراطه في المدائح فقد نشأ وزاناً صغيراً يزاول ذلك في أسواق البيع ، فاتخذ من هذه المدائح عنواناً له ليحيا حياة رغد وكرامة .

وقد كانت له مدائح نبوية إلا أنها لم تبلغ شيئاً من شعره بجانب ما بلغه الممدح الآخر .

فما قاله يمدح به « محمداً علياً » وليسكتب على مسجد القلعة الذي أنشأه

سنة ١٢٦١ هـ .

ملكك جليل الشأن ليس كمثل	جليل بعلياه اقتدى كل مقتدى
محمد آثار على مآثر	عزيز افتخار ساد كل مسود
هو المنهل العذب الذى دون ورده	تراحمت الأقدام فى كل مورد

هو الغيث يحيى كل قطر بجوده
فيخضل من قطر الندى وجهه الندى
هو الشمس لم تحجب سناها غمامة

ولا أنكرت أضواءها عين أرمده
له همم تسمو إلى هامة العلا إذا حددت لا تنهى بالتحدد
مبان إذا أمعنت فيها مؤرخا تريك على قدر العزيز محمد
٩٢ ١٢٥ ٣٠٤ ١١٠ ٦٣٠

سنة ١٢٦١ هـ

وبما امتاز به شعر د شهاب الدين ، السلاسة والسهولة وخضوعه للشاعر
يصرفه في كل أمر ويطوعه لكل غرض فينسب بين يديه عذبا رقيقا ويشف
عن المعنى الذى سيق له بلطف وسلاسة ، وذلك الذى جعل د شهابا ، يستخدم
شعره في التعبير عن رغائبه والإفصاح عن آماله ومطالبه ، وهو في هذه
الأغراض لا تعقيد فيه ولا غموض . يحتاج إلى بغلة يركبها وله على د عباس ،
دالة فيرفع إليه هذه الأبيات الطريفة فيهنز لها ويحبب رغبته وذلك
حيث يقول :

تبت عن مدح غير بأبك يا من	أنت ذخري وموئلي وثمالي
وتجردت عن سواك لعل	أكتسى خلعة ألسنا المتلالي
وترجيت من جميل العطايا	بغلة حالها يلبق بحالي
أن بدا لي ركوبها تهت عجبا	في ازدهاء وبهجة واختيال
أو بدا لي ارتباطها فاجتلاها	في مجالى الجمال زين مجالى
فتفضل وامن وأنعم على من	هو عبد من بعض بعض الموالى

وترق حاله ويشتد حسره فيكتب إلى د عبد الباقي بك ، بخازن خزينته
الحديث فيقول :

أصبحت في مضايق	من فاقة وعطب
وصرت محتاجا إلى	نوالك المستعذب

وأنت باقى السكرما وخير ساقى الرتب
فأصرف إلى ما تشا من فضة أو ذهب
حتى أعود ساعيا فى جمع شمل الحسب
ويكتب إلى دأدهم باشا ، يشكو إليه ضيق يده فيقول من قصيدة
طويلة :

فبادر إلى الشكوى وقل إن صاحبي محارمه عصف الرياح الروامس
وقد ضاقت الدنيا عليه وأظلمت وكان شهابا فى الدياجى الدوامس
فوسع عليه بالذى أنت أهله وخلصه من أشراك ضيق المنافس
ولم يكن د شهاب ، يقرض الشعر يطلب به بغلة أو ينشد فضة أو ذهباً
لحسب بل كان ينظمه كلها عرضت له حاجة أو دفعته مسألة ، فإنه لينظمه ملتمسا
به من أمين (جمر ك) بولاق د على بك حسيب ، شيئا من السمن لندرتة
فيقول له :

أليّة بالسمن أو بزبدة لله در أصلها الحليب
لأعرض الحال للفقى الذى رجاء من يرجوه لا يخيب
وهكذا طوع الشعر فنظمه فى حاجته ومسألته وعبر به عن شكايته وأمله
وأودعه مطامح نفسه جلت أو هانت .

د وشهاب الدين ، يخضع فى شعره لما شاع فى عصره من طلب الزينة
ونشدان الصنعة والجرى وراء الطلاء فيغرى بالجناس وخاصة فى مطالع
القصائد فيقول فى مطلع قصيدة يوجهها إلى د عباس ، ويستهديه
(بغلة) :

أكوس تجلى بينت (الدوالى) أم شهى الرضاب فيه (الدوالى)
فيوقع الجناس بين (الدوالى) بمعنى العنب ، وكلمة (الدوالى) الثانية
المركبة من (الدوا) مقصورا مضافا إلى اللام المقرونة بياء المتكلم .

ويقول في مطلع قصيدة يهني بها عباسا بنجاته من مرض .
 تاب الزمان وقال إني (نادم) فادعوا الندامى والمدام (نادمو)
 فقد أوقع الجناس بين (نادم) من الندم وفعل الأمر (نادموا) من
 المناداة .

ويقول أيضاً في مطلع قصيدة يهينه بها على أثر عودته من الآستانة .
 شرح الصدور قدوم أعدل (وال) فأدر مدام الإنس صاح (وال)
 فالجناس بين (وال) الأولى بمعنى راع والثانية فعل أمر من الموالاة .
 ويولع بالتورية لاسيما في « شهاب » كنيته فيستعملها في شعر طبعة حيناً
 وعصية حيناً ، ومن ذلك قوله :

هاك منى وصيفة بنت فكر مثلها خادم ومثلك يخدم
 حرست في سماء حسن حلاها (بشهاب) به الشياطين ترجم
 ويقول في مدحه « عباسا الأول » .

هاك منى فريدة بنت فكر ما اعترتها يد الخنا بمساس
 لو أتاها الشيطان يسترق السمع مع رماها (شهابها) باتتكاس
 ويقول إذ يمدح الشيخ « أحمد الصائم » أحد شيوخ الأزهر .
 هذا شهابك بالمرصاد يثقب من يستمعون وترديهم قوافيه
 فقد استعمل كلمة « شهاب » موزباً بها بين معنيها (كنيته) (والشهاب
 الذي ترجم الشياطين به المذكور في قوله تعالى « وأنا كنا نقعد منها مقاعد
 للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً »

ويتناول المصطلحات العلمية متأثراً بها فيقول

رطيب قوام أهيف القد لم تدع ليانة عطفيه قياساً لقائس
 فإن قسته بالبأن فالفرق ظاهر وإن بالعوالى فهي غير مواس

فالقياس هنا من مصطلح علم المنطق .
ويشير إلى علل الصرف فيقول
علل الصرف في الضرورة تلغى كيف ذو الصحة اختيارا يعل
ويغرق في مصطلحات علم النحو فيورى بها ويقول
رأيت « حالا » ، مضى ، « فعل » ، « أبرز » ، فى شأنه « الضمير » ،
فكل هذه الكلمات مصطلحات نحوية ودعى بها الشاعر عن معانيها
النحوية وغير النحوية .

ولشهاب الدين كتابات لطيفة يعبر بها مبتكرا لها فهو يكنى عن المطر
(بابن السحاب) فيقول

زوجوها (بابن السحاب) فجاءت من درارى حباها بذرارى
ويكنى عن (الخمر) (بنت الكرم) فيقول

(بنت كرم) عذراء شهد لهاها كشدنا المسك فى مذاق العقار
وعن القصيدة « بنت فكر » ، و « وليدة فكر » ، و « وصيفة » ، فيقول
هاك منى خريدة « بنت فكر » ، ما اعترتها يد الخنسا بمساس
ويقول خدا « وليدة فكر » راق منظرها

كأن ريقتها ضرب من الضرب
ويقول أرجو قبول « وصيفة » ، قد قلدت

بحلاك عقدا لم تنله وصائف

وشعر « شهاب الدين » ، من أوضح الشعر فى هذا العصر وأسهله طريقا
وأرقه حاشية وهو أقل متكلنى الصنعة وطلاب المحسن تعقيدا وغوصا ،
وهذه المحسنات التى تشيع فى شعر « شهاب الدين » ، لا تؤثر فى جمال شعره
كثيرا فتراه على غير قليل من السلاسة والوضوح وجمال المعنى — ومن
رقيق شعره ما قاله متغزلا .

ومشروب الطلا بلباه شابه	بروحى من لغصن البان شابه
وفى رقى له أبدا كتابه	مليح لم يخط له عذار
وحكم فى ديوان الصباة	بدا العقد الفريد بفيه نظما
وأحشائى ترى عذبا عذابه	ومر فلم أجد صبرا عليه
رميته ولم يخطيء مصابه	رمى قلبى بسهم قد مضى فى
ودمعى هاطل يبدى انسكابه	وراح وقد بدا برق الشايا
عليه من ذوائبه سخابه	يلوح وجهه بدر ولكن
وقلبى بالجوى يصلى النهابه	بمخد روضة يرعاه طرفى
فيسكرنى ولم أطعم شرابه	يدير من الحديث عتيق خمر
ولكن ما تنزل للصحابه	أراه فى محاسنه عليا
وولى معرضا يولى اجتابه	سعيت فزرتة فازاداد تها
دخلت على عزيز الغاب غابه	أنا الجانى على نفسى لآنى
وعوضنى الشجون على الدعابة	فبدلنى بنوم الليل سهدا
وسوف تكون عقباه عتابه	سألقى منه غايات الأمانى

ولا شك أن هذه الآيات على حظ غير قليل من الجودة والرقّة
والوضوح وخصب المعانى.

ونظم الآيات الآتية لترسم على مائدة الطعام

وتنازل ما شئت أكلا شهيا	أيها السيد الكريم تكرم
أتقنوا صنعه وخذ منه شيا	وتفضل بجبر خاطر من هم
واحدا واحدا بشوش الحيا	وتحدث على الطعام وآنس
طاب نصجنا وصار غضا طريا	واستزدهم أكلا وقل إن هذا

فهللوا بنا ومدوا اليها أيديا باعها ينال الثريا
ثم قل يا أحبتي هل لكم في بعض شيء من النبيذ المهيأ
ولئن ساغ شربه للتمرى وكلوا واشربوا هنيئا مرى
وإذا ما أكلت ضيفا فأرخ ان هذا لرزقنا كل هنيا

٥١ ٧٠٦ ٣٨٨ ٥٠ ٦٦

سنة ١٢٦١ هـ

وهذه الأبيات متوسطة الجودة إلا أنها طريفة الموضوع.

* * *

آثاره

ديوان شعره

ديوان شعره الكبير الحجم الواقع في ٣٨٠ صفحة المشتمل على شعره
الرقيق بالنسبة لعصره وهو مرتب على حروف المعجم طبع بمصر سنة
١٢٧٧ هـ

سفينة الملك ونفيسة الفلك

وهو كتاب جليل أشتهر الشهاب به أودعه كثيرا من الموالى والموشحات
والأهازيج والأزجال التي يتغنى بها ، وقد جدد بهذا الكتاب دارس الغناء
العربي (وافتتح مغالقه بعد إيصاها من عهد الأصهباني ومن سار على نهجه
من جاء بعده وأوضح معالمه وأبان ما استعجم من آياته فكان فيه المبرز من
بين أدباء المتأخرين والمعلم الأخير الذي لم يأت مثله إلى الآن ^(١) وهو مرتب

(١) أعيان البيان للسندوبى ص ٣٦

على ثلاثة أبواب — الأول في الموسيقى ، والثاني فيما نظم فيه ، والثالث في
الألحان — وقد طبع بمصر غير مرة ولما أتمه سنة ١٢٥٩ هـ قال في تاريخه

هذه سفينة فن بالمني شحنت والفضل في بحره العجاج أجراها

واذ جرت بالأمان في أرخها سفينة البحر باسم الله مجراها

٢٥٠ ٦٦١٠٢ ٢٤١ ٦٠٠

سنة ١٢٦٠ هـ

وله رسالة في التوحيد

ورسالة في الآفاق

السيد على أبو النصر المنفلوطي

المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م

نشأته وحياته :

ولد بمنفلوط من أعمال مديرية أسيوط ، وقدم إلى القاهرة صبياً ، ثم التحق بالأزهر لطلب العلم فيه ، وقد شب مفطوراً على حب الأدب والتزود من فنونه فبرع في قرض الشعر يافعا ، ونظم الأزجال حدثاً ، ولم يلبث أن ذاع صيته وتسامع الناس به ، وكان طيب المفاكهة والمجالسة لطيف المسامرة والمؤانسة ، حاضر الذهن قوى الجدل لا يغلب في حوار ولا ينهزم في مناظرة وكانت له مطايبات حافلة بالنكت الأدبية مع الحشمة والحذر عما تأباه النفوس الآلية^(١) فكانت له مكانة عند أولى الأمر وذوى الجاه يحلون قدره ويلبون شفاعته ، اتصل بالبيت العلوي من عهد محمد علي إلى توفيق ، ورحل إلى القسطنطينية رحلتين أولاهما في عهد « محمد علي » سنة ١٢٦٢ هـ حيث احتفل السلطان عبد المجيد بإعذار^(٢) أنجاله وطلب من محمد علي أن يوفد للحفل وفداً من العلماء والأمراء فكان الشاعر في طليعة الذين أوفدهم « محمد علي » إلى القسطنطينية ، وقد مدح شيخ الإسلام بقصيدة استجادها إذ قدمها إليه وبكى متأثراً ببعض أبياتها ثم سأله هل قلت في القسطنطينية شيئاً ؟ فأجابته بأن له بيتين يستحي أن يعرضهما (لكونهما من زيف الكلام) فقال نسمعهما إن شئت فقال : -

وكنا نرى مصر السعيدة جنة ونحسبها دون البلاد هي العليا
فلما رأت دار الخلافة عيننا علينا يقينا أنها هي الدنيا
فتبسم شيخ الإسلام وقال له : « إن البيتين جيدان من جهة الأدب ،

(١) مقدمة الديوان للرحوم « أحمد باشا خيرى » .

(٢) أعذر الغلام ختنه كعذره يعذره : وللقوم عمل طعام الختان .

ولكنك في مدحك القسطنطينية فضلت مصر عليها لأنك جعلت مصر هي العليا والقسطنطينية هي الدنيا ، وفي علمك أن الدنيا تأنيث الأدون فيفيد النظم أن القسطنطينية دون مرتبة مصر ، فقال الشاعر مجييا (حب الوطن من الإيمان) ،

وأما رحلته الثانية إليها فكانت في عهد الخديو د اسماعيل ، سنة ١٢٨٩ هـ حيث استصحبه إليها في خلافة السلطان عبد العزيز وكان مقدمهما القسطنطينية مثقفا مع الاحتفال بعيد الجلوس فأنشأ الشاعر قصيدة بليغة مطلعها :

تبسمت الآمال عن أولو القطر ففاح شذاها في الحدائق كالعطر
وكان مصراع تاريخها

(جلوسك عيسد الدهر أم ليلة القدر) .

١١٩ ٨٤ ٢٤٠ ٤١ ٤٧٠ ٣٣٥ سنة ١٢٨٩ هـ .

ومما اتسم به أنه كان راجح العقل نافذ الرأي عالما بالأحوال السياسية خبيراً بشؤون الأمم ، محبا لتربية الأمة داعيا لتثقيفها ونهضتها .

وكان شعره شتى غير مجموع حتى قبض له المغفور لها د محمد باشا سلطان ، و د حسين بك حسنى ، ناظر المطبعة الأميرية . إذ ذاك فجمعا أشتاته وضما متفرقه وعهدا إلى المرحوم د محمد أفندى الحسنى ، رئيس مصححي المطبعة بجمعه في ديوان صدر بخطبة الأخير ، وبترجمة للشاعر بقلم المرحوم د أحمد باشا خيرى ، ناظر المعارف العمومية في ذلك الحين .

هذا عدا ما كان له من الطرف والملح والموالي والأزجال وغير ذلك مما عبثت به يد التفريط والإهمال .

شعره :

أقيس شعره بشعر عصره فأراه شبيها به موافقا له يتجه متجهه وينزع نزعته ، وهو يميل إلى الجناس لكن في غير استكراه ، ويطلبه لكن في غير

تكلف شديد ، ويورى غير أنه لا يلحف فى رجاء التورية ، ولا يرتصد
لطلبها ، وتدور الصنعة فى شعره غير مفتون بها وإن تهيأت له فبغير إفراط
ولا إسراف ، أما التاريخ الشعرى ، فهو مغرى به متهافت عليه ، ملتزم له فى
الجمهرة العظمى من شعره ، فمن تجنيسه قوله :

فى الحان قد جس معسول اللى وترا
فانهض لتسمع الحان الصبا وترى

فقد أوقع الجناس بين (الحان) وهو محل بيع الخمر و (الحان) الصبا
جمع لحن ، كما أوقعه بين الوتر الذى هو شرعة القوس ومعلقها الواقع مفعولا
والفعل المضارع و (ترى) مقرونا بوار العطف ، ويبدو لك تكلفه الجناسين
إلا أنهما أقرب إلى القبول ، ومن تجنيسه أيضا قوله : -

أبدا تقلب فكرتى أبدى الآسى
طوعا لأمر الدهر أحسن أو أسا

فقد أوقع الجناس بين لفظ الآسى بمعنى الحزن والفعل الماضى (أساء)
محذوف الهمزة ليتم الجناس بحذفها ، والجناس هنا مقصود للشاعر إلا أنه لم
يبلغ من الثقل مداه ، ومن تجنيسه أيضا قوله :

كم ذا أحاول نصحا بالعظات وفى

ظنى وجود سميع بالعهود وفى

فالجناس بين حرف الجر (فى) مقرونا بالواو ولفظ (وفى) الصفة
المحذوف إحدى يائيه وهو أقل ثقلا من صاحبه الماضى . ومن جناسه
المقبول قوله :

رياض المجد أهدت نفح طيب فقلت مهنئا يا نفس طيبى
ويغرب أن يلتزم الجناس فى مطالع قصائده وهو فى هذا الموضع أكثر
طلباً له واستشرافاً إليه .

ومن التورية التي يستعملها في شعره .

على مضض صبرت وكم أدارى بتاريخ الغرام وأنت دارى
يحاذيني الهوى فأذوب وجدا ويسلبي الثوى ثوب اصطبارى
وهذا لى دروا مابى فلاموا كأن هوى الأحبة باختبارى
وإن سألوا عن الآحى ودمعى أقبول كلاهما لا شك جارى
فقد ورى يقوله (جارى) عن اسم الفاعل من جرى بمعنى سال ، والاسم
الذى هو بمعنى مجاور مضافا لىاء المتكلم .

ويقول فى رجل يدعى العلم يسعى (النخلى) :

بروض الفضل أغصان خلت عن حلية الفضل
سألناها أجابتنا دهتنا غلطة النخلى
فيحتمل أن براد ، الشجر ، أو اسم الرجل ، وما يودى به قوله :

حروف ودى وسائل والد مع جار وسائل
أى أن قطرات دمه الشبيهة بالحروف وسائل تترضى الحبيب ، فقد
جانس بين (وسائل) الأولى جمع وسيلة و (وسائل) الثانية التى هى اسم فاعل من
سال بمعنى جرى مقرونا بالواو ، ثم فى وسائل الثانية تورية إذ يحتمل أن
تكون اسم فاعل بمعنى جار أو اسم فاعل من سال بمعنى طلب .
ومن شعره التاريخى قوله :

يا من بطالعه الأسعى حوى شرفا يزىن بدر علاه قبة الفلك
أنت الذى بحلى الأخلاق زدت علا لا زلت ترقى بفضل المنعم الملك
إسعاد نجمك إذ لاحت بشأره أرخت أوليت بكباشى وأنت زكى

٤٤٧ ٣٣٥ ٤٥٧ ٣٧

سنة ١٢٧٦ هـ

ولاشك أن هذا التاريخ أضعف هذا الشعر وحال دون روعته وجماله
ولكنها سنة العصر الذي أغرق فته وغالى وله في تاريخ لحية .

لما ازدهى روض المحاسن والها وبدا به الريحان وهو شريف
خط العذار كما تحب صحيفة تاريخها صان الجمال نظيف

١٤١ ١٠٥ ١٠٤٠

سنة ١٢٨٦ هـ

وهو شعر ضعيف متهافت كما ترى ، وبما لا أسيغه وصف الريحان بالشرف
ولست أدري متى يكون الريحان شريفا أو غير شريف فلعل علم ذلك عند الشاعر
وقد يقصد أن الريحان وهو أخضر الأغصان يبدو كالعمائم الخضراء التي هي
سمة الأشراف .

وقد يولع بالتاريخ فيجعل في كل شطر تاريخا كما قال :

بشير الهنا لأحب يمين قدومه بدور بها نور البشائر قد صفا

١٥٥ ١٠٢ ٤٣٩ ٨٧ ٥١٢ ٢١٢ ٨ ٢٥٦ ٢٠٤ ١٠٤ ١٧١

سنة ١٢٩٥ هـ

وشعره إذ ذاك لا روعة فيه ، ولا تنسم منه روح الشعر بحال ، غير
أنه يتناول كثيرا من الأغراض في شعره ويتسع أفقه لألوان مختلفة من
الشعر فيمدح ويهني ويرثي ويعتب ويشكو ويشكر ويتغزل ويصف وينصح ،
وتجد في شعره الحكم والمدائح النبوية ، والقصائد الوطنية والخمرات وغير
إغراق كما تجد فيه الوداع والحاسة ويتناول الألغاز يكثر منها فيجىء شعره
بها معنى مستغلقا ، ويطول نفسه في بعض القصائد حتى لتبلغ مائة بيت إلا
أن شعره أقرب إلى شعر العلما منه إلى شعر الفحول من الشعراء ، وشعره
وسط بين الإجادة والغثاثة والضعف والقوة .

فما قاله متغزلا

إلى الأوطان يجذبني الهيام ولي قلب يقلبه الغرام
وفي دمي غرقت ونار وجدى بتذكر الديار لها ضرام
ولي في كل منزله حديث إذا كررته ناح الحمام

وما هندی من الأشواق خاف ولو أبديته لبكى الغنم
ويوم وداعهم كانت حياتي مكبرة ولدمع انسجام
أراهم أينما كانوا بقلبي وفي نومي وهل يغني المنام
وقائلة إلام تحن شوقا وتعلو جسمك المضي السقام
أتحسب أن من تهواه باك عليك ولو أضر بك الهيام ؟
فقلت لها فديتك ان نومي على لبعدهم أبدا حرام
وهل يجدي أذا الوجد المعنى إذا ضنوا بزورته اعتصام ؟
دعيني فالنصيحة لو أفادت لضاع الحب وانقطع الملام
كلفت بحبهم فألفت سهدى ولم يخطر على جفني المنام
أهم بهم ولي فيهم شجون إذا ظعنوا بقلبي أو أقاموا
أخلأني أحفظوا عني حديثا يسر به المقلد والإمام
قتيل الشوق يحييه التذاني وينعشه التواصل لا المدام
فان مر النسيم بكم سلوه فأخبار الهوى منه ترام
وساعات الوصال كلح طرف لدى المضي ويوم البعد عام

هذه أبيات ساقها الشاعر متغزلا لجاءت من أجود ما قال رقة وخفة روح
ووضوح أسلوب لم يسع الشاعر فيها وراء صنعة لفظية أو غش من المحسنات
البديعية ولم يمس طرفا من ذلك الا الجناس الذي شكك شكاً وتناوله برق
في عجز البيت الأول بين (قلب) (ويقبله) .

ومما قاله في شكوى الزمان

بشكوى الليالي كيف لا أتعلل وديمة دمي دائما تهلل
رمانى زمانى فى مكاييد مكره وفى وهمه أنى له أتذلل
أكلد مالا يستطيع من الآسى وأحمل منه فوق ما يتحمل
وجربت أبناء الزمان بأسرهم فلم أر منهم من عليه يعول

وسالمت إخوانا بدا لي أنهم على نقض ببيان الصداقة عولوا
فيا دهر ماذا تبتغي من مجرب وقد شاع في الآفاق أنك تجهل
تقدم من لا يستحق وتزدرى بمن هو أولى بالجميل وتعجل
تبرأت من أهل المعارف والتقى وهم دولة الإسعاد ان كنت تعقل
وقربت أرباب الجهالة للعلا كأنك لاستظهارهم تتجمل

فهذه الآيات من أجود ما قيل في شكوى الزمان صدرت من الشاعر
مصورة عبث الزمان به وتجهمه له وما يكابده من أساء الذي لا استطاع ،
وما يحمله بما يشق حمله وما لقيه من إخوان جربهم فلم يرفيهم من عليه المعول
ومن سالمهم لما بدا له من تعويلهم على نقض الصداقة ونكث العهد ،
وكان جميلا من الشاعر ما بينه من جهل الزمان من تقديم من لا يستحق
والزراية بمن هو أولى بالجميل وبراءة الزمان من أهل المعارف والتقى ،
الذين هم دولة الإسعاد لو كان يعقل ذلك ، وتقريب أرباب الجهالة وإيثارهم
بالعلا كأنه يتجمل لاستظهارهم ، فهي آيات صادقة في شكوى الليالي وصدق
التجربة ، وغدر الإخوان وعبث الزمان ، كل ذلك مسوق بأسلوب غير
نازل ورصف رصين لم يتهالك على محسن ولا زخرف .

وبما قاله يمدح به النبي صلى الله عليهم وسلم .

إذا هتفت بمدحتك الموالى وأنشد شعره فيك البديع
وحدث عنك من يروى حديثا وصاغ من الثنا ما يستطيع
فما بلغو اليسير ولو أطلوا وكيف وأنت في الأخرى شفيح
إليك شكائتي من كل ذنب وحسن حماك في خرز منيع
ومن يرجوك يسعف بالأمانى ومن قصد المشفع لا يضيع
ملأت سرادقات الكون فضلا وجاهك سيدى جاه رفيع
فمن للبذنين سواك يرجى إذا ما استعظم الهول الفظيع؟

وهو شعر سهل رصين تتمثل فيه روح الشاعر المؤمن الذى يلتمس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون له حرزا منيعا وشفيعا يغفر به كل ذنب وان كان فى نفسى شيء من اللفظ الأخير (الفضيع) .

وقال يعاتب بعض اصحابه .

لعمرك ما البواتر كالعصى^(١) ولا الطرف المذل كالعصى^(٢)
ولا فلق الصباح إذا تبدى لذى بصر يقابل بالعشى
أراك رفعت أدنى الناس قدرا وآثرت الدنى على على
شققت عصا الوفاق وبعثت غبنا صواب الرأى بالخطأ الجلى
وبدلت الأعزة من قریش وأبناء الأماجد بالبذى^(٣)
ستعرف ما جهلت إذا التقينا وبان لك الجبان من الكمى^(٤)
ولعل هذه الأبيات من أحسن شعره وأبلغه وأحفلها بالتشبيهات المحكمة
وفيهما جناس مقبول بين حرف الجر (على) و (على) وتورية لطيفة
فى لفظ (على) الذى يحتمل أن يكون وصفا مقابلا (للدنى) وأن يكون
مشيرا إلى اسم الشاعر « السيد على » ومن رثائه قوله .
أمطرى أعينى الدوامى دواما إن غيث السكرام يأتى ركاما^(٥)
واستمدى من حبة القلب دمعا فملعل الدموع تروى أواما^(٥)

(١) البواتر السيوف القاطعة — الطرف السكريم من الخيل — المذل السهل المنقاد

(٢) البذى — كرضى الرجل الفاحش

(٣) السكى — كفى الشجاع أو لابس السلاح

(٤) الركام — السحاب المتراكم

(٥) الأوام كغراب العطش أو حره وأن يضج العطشان

(م - ١٢ الأظهر ثالث)

ومن المهد للجفون اكتحالا ودعى عنك في الدياجي المناما
واستكبي الذمخ خفية وجهارا واستحلي من البكاء الحراما
واقترني في صحيفة الدهر سطرا نمقته يد القضا فاستقاما
واكتبي ما جنته أيدي المنايا حيث لم تبق للأنام إماما
فهذه من أصدق المراثيات وأرقها وأخصبها معنى وأحلفها تصويرا
للجزع والأسى ولم يكن الشاعر منصرفا فيها إلى الطلاء اللفظي اللهم إلا ما
يكلف به من الجناس في مطالع قصائده . فإنه أوقع الجناس المتكلف بين
(الدوامي) و (دواما) و (الكرام) و (ركاما) ولكنه لم يستنفذ جمال
الآيات ولم يذهب بروعتها

الشيخ على الليثي

المتوفى سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م

نشأته وحياته :

هو الشيخ «على» بن «حسن» بن «على»، ولد في بولاق مصر سنة ١٢٣٦ هـ وتوفي والده وهو حدث يافع فانتقلت به أمه إلى جهة الإمام «الليث»، فكان يطلب العلم بالأزهر ثم يعود إليها للبيت بها، وظل على ذلك بضعة سنين، ثم قدم إلى مصر الشيخ «السنوسي الكبير»، قاصداً الحج فاتصل به وحج معه، ولما رجع «السنوسي» إلى مصر لم يدعه بل استصحبه إلى «جنوب»، ولبت بها مدة يطلب العلم وينفذ حتى فارق «السنوسي»، وعاد إلى مصر فاتصل بالدة «عباس باشا»، الوالي فالحقته بوظيفة متواضعة في القصر وازدلف إلى الأمير «أحمد باشا رفعت»، بن «إبراهيم باشا الكبير»، فأدناه منه ومكنه من تقليب النظر في خزانة كتبه فأفاد منها سعة أفق وخصب مادة.

ومن الطريف أن سفره إلى المغرب كان سبباً في اتهامه بمعرفة الكهانة والعرافة حتى إذا ولي «سعيد باشا»، على مصر أمر بنفي هؤلاء الذين يحتالون على الناس إلى السودان فكان المترجم من بينهم، وقد ظل بالسودان حتى عفا الخديو عنه فعاد إلى مصر.

وقد طارت شهرة «الليثي»، وذاع صيته وعرف بمحضنور البدنية وحسن المناظرة فلما ولي «إسماعيل باشا»، على مصر قربه إليه واتخذ منه ومن الشيخ «على» أبي النصر المنفلوطي، نديمين يستمتع بشعرهما ويستطيب حديثهما.

فلما عزل «إسماعيل»، وخلفه «توفيق»، درج على ما كان عليه سلفه من إيثار «الليثي»، وإجلاله واصطفائه حتى إذا شبت الثورة العرابية كان «الليثي»، بين من خاضوا غمارها، وأججوا جمراتها، ولكن «توفيقاً»، شمله بمفوه وصفح عن زلته، وهشله إذا تبرأ بقصيدهته التي يقول في مطلعها :

كل حال لضده يتحول فالزم الصبر إذ عليه المعول
بل إنه بعد أن تبرأ من الفتنة العراقية وأبان عذره في مسامرة العراقيين
زاد قربا من نفس «توفيق» وأحله مكانة ترمقها الأبصار وترنو إليها العيون
فقد شيد لنفسه قصرآ «بحلوان» وكان يتردد عليه مرتين في كل شهر فيركب
من حلوان سفينة بخارية تقله إلى ضيعة «الليثي» «شرق اطفيج» فيؤاكلة
ويقيم عنده ومن ثم عني «الليثي» بهذه الضيعة فغرس بها أطيب الكروم
والأشجار وأقام بها قصرآ أنيقا يكون للأمير وأنباعه نزلا .

وقد كانت هذه الضيعة مقصد الأدباء وكعبة للشعراء والعلماء يجدون فيها
غذاء للروح والجدس من ثمار وفاكهة وطيب مفاكهة ، وقد كان مسرفا في كرمه
حتى أن ضيفائه ليقيمون عنده أياما وأشهرآ .

ولما نزل بمصر (السلطان برغش) ملك «زنجبار» انتدبه الخديو
«اسماعيل» لمرافقته ومجالسته ، فارتاح السلطان لخلقته وخفة روحه وعذوبة
حديثه ، حتى انه لما عاد إلى بلاده كان يمنحه الهدايا الفاخرة كل عام بما تمتاز
به هذه البلاد من عنبره وغيره ، فيكون لأصدقاء «الليثي» وخطائمه من
هدايا السلطان نصيب .

وإذ قضى «اسماعيل» تقلص العطف الكريم الذي كان «الليثي» في ظلاله
وانقبض «عباس» عنه ولم يكن «الليثي» من خصب جنابه بعض ما كان له
من «اسماعيل» فعكف على ضيعته يستغل زرعها ويد من الاطلاع في مكتبته
الضخمة التي ما زال يضم إليها من الأسفار النادرة وأمهات الكتب الأدبية
ما طبع منها وما نسخ حتى كانت من أوفى الخزانات وأحفلها علما وأدبا ، ولم
يزل كذلك إلى أن تآمرت عليه العلل فناء بها أشهرآ حتى قضى في العاشر من
شعبان سنة ١٣١٣ هـ فانطوت به صفحة من الأانس والصفاء وطول المتاع .

منبأدمته :

كان «الليثي» خفيف الروح ، عذب الحديث ، حسن المحاضرة ، سريع

البديهة . موافق الجواب ، معروف بطيب السمر ورقة المنادمة حتى أطلق عليه
« سيد الندماء » .

والمنادمة فن دقيق يعتمد على مواهب وفطر خاصة ، ويحتاج في تناوله
إلى لباقة وكياسة وتفطن إلى مواطن النكتة وموقعها من النفوس ، وتفرض
فيما يطيب من القول ، ويلذ لسامعه ، هذا إلى سرعة البديهة ، والحدق في
معرفة الطبائع والبصر بمختلف الأخلاق ، وتمييز كل موقف من صاحبه ،
والتأثر من أدب المفاكحة والإلمام بما يهش له السامع في شتى أحواله ،
وما يرفه به عن نفسه إذا غشيها الملل .

على أن النديم قد تحاك حوله الدسائس لتصرف عن جمال نكته وتصد
عن التبسم والبشاشة له ، وقد يرتصد له بعض الخبثاء فيفسد عليه غرضه
بالتصريح أو بالإيحاء ، فإذا لم يكن حاضر البديهة ، وموافق الجواب لبقا في
الأخذ بالشئ والإنصراف عنه ، قادراً على أن ينتقل من حديث إلى حديث
ومن مقام إلى مقام فشل في جر السرور والمفاكحة الذي يهينه ويشرق
الأنس منه .

وقد كان كل ذلك من مواهب « اللثي » في منادمته ، فإنه ليجمع إلى
طلاقة لسانه وفيض خاطره وحلاوة حديثه وحسن بصره بمواطن الحديث
وتهديه إلى ما يحسن أن يأخذ به من القول وما يدع روائع من الأدب
وأطايب من البيان يصرفها في كل مجلس ، ويديرها في كل مناسبة ، ويعرضها
إذا استشرقت لها الأسماع واهتزت لها العواطف والوجدانات فيملأ النفوس
أنسا وراحة والقلوب — بهجة ولذة .

ولأنحسب أن من شعراء الجيل الحاضر شاعر يمثل مدرسة الندماء كما كان
يمثلها الشيخ « علي اللثي » الذي ارتقى في هذه الصناعة حتى نادى « اسماعيل » ،
« وتوفيقا » ، وبقي من نواذره ودعاباته ما يذكره المتأدبون والمعنيون بأخبار
القصور حتى في أقصى الصعيد^(١) .

(١) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ص ١٠٣

وقد بلغ من شغف د اسماعيل ، به أن أعد له ولصاحبه الشيخ د على أبو النصر المنفلوطي ، قاعة خاصة بديوانه يجلس بها كأنه أحد رجال القصر الذين توكل إليهم أعمال كما قلنا من قبل أن د توفيقا ، كان ينزل بضييعته حبا لمنادمته وإشارا لمفاكهته .

ولم يؤثر فيما نقل إلينا عن نواذر د الليثي ، ونكاته أنه فرط في كرامته أو أغضى على هيئته على ما تنحيف به هذه الصناعات من أقدار ، فقد ظل د عالما ، من علماء الأزهر لم تجرح هذه الصناعة كبريائه ولم تتدل به إلى ما يتدلى إليه المضحكون والممالتون .

وقد خلف د الليثي ، من نواذره وأدبه الضاحك الباسم ما فيه أبلغ المتع والذاذات ، وما هو في هذا الأدب الرقيق غرة وجمال ، ولكن ذهب أشتانا لم يعن بجمعه ، أو يخلد بإيثاره ، وكان في مثله لحواه كتاب ما تستروح به نفوس وتتهيج به صدور ، وتبدد كآبة ويذهب ملال .

طرف من نواذره :

كان أحد الكبراء يفرغ بالمدينة تفاحة ليشرّب فيها فانة صفت المدينة خلال ذلك فرنا إلى د الليثي ، كأنما يطلب القول منه فإذا به يرتجل البيتين .

عزت على الندماء حتى أنهم اتخذوا لها كأسا من التفاح
ولدى اتخاذ الكأس منه بمدية لان الحديد كرامة للراح

وهما آية على صفاء ذهنه وحضور بديهته واستجابة الشعر له .

ودخل يوما معه الشيخ د على أبو النصر المنفلوطي ، على الخديو د اسماعيل ، وهو منقبض ، وكان الرجلان طويلى القامة دميى الخلقة فاحى السواد ، فلما أبصرهما د اسماعيل ، أخذ يقلب فيهما الطرف وينظر إلى طولهما وعرضهما فما أن رآه د الليثي ، كذلك حتى شرع يقلب كفاً على كف ، فقال له د اسماعيل ، ما بالك تفعل هذا ؟ قال د أفكر في أمر أقوله إذا صفح عنه مولاي مقدما ، قال د قد صفحت فقل ، قال د أرانى أستغرب ما الذى أعجب به مولاي في

مدخنتين مثلى وزميلي هذا ، فضحك الخديو وسرى عنه .

ولما أمر د إسماعيل ، أن يكتب على حجرات القصر لافتات تشير إلى وظيفة من فيها . أشار د المهردار ، أحد كبار رجال القصر بأن يكتب على حجرة الشعراء التى كان د الليثى بها ، انما تطعمكم لوجه الله ، واذ سأل الليثى عن أشار بذلك قيل له أنه د المهردار ، فأراد أن ينتقم لنفسه فانتهم فرصة جلوسه مع الخديو وحضور المهردار وقال للخديو إن حادثة وقعت لى اليوم فقال ماهى فقال صغتها زجلا ، قال ، ما هو ؟ ، قال .

لى طاحونه فى البلد غلبت منها وعقلى دار
علقت فيها الطور عصى علقت فيها المهردار

ومر به كبير من رجال القصر لحياة تحية الغريبين بخفض رأسه فلم يرفقه ذلك فمر رأسه كمن يقول لا فشكا الأول للخديو زراية د الليثى ، به ، فلما سأل الخديو عما صنع معه ، قال يهز رأسه كأنه يقول تناطحنى فقلت له لا

شعره:

خلف د الليثى ، ديوان شعر ضخم لدى صهره الأستاذ محمد سعودى ، الخبير ولكنه أبى أن يطبعه لعلم أهله وخاصته بأن الشاعر لعن من يقوم على طبعه ، ولعل د الليثى ، فعل ذلك تخرجاً من نشر ماعسى أن يكون قد تورط فيه كشأن أكثر الشعراء من دعاة أو غلو فى مديح أو ذم أو نحو ذلك ، فلقد كان فى الرجل تقية وورع ، فهو يخشى حسابه على ما نظم ، ولو كانت هذه الثروة الشعرية لشاعر غيره ممن يغريهم المظهر والشهرة لجاز أن يحرص على طبع شعره وتدوينه والمفاخرة به .

ولو تهيأ لنا الاطلاع على هذا الديوان والتفرس فيما حواه من شعر ، وفيما بين دفتيه من قصائد نظمها فى أغراض مختلفة وألوان متنوعة لاستطعنا أن ندرس شعره دراسة بحث وتقصى ولكن احتجاب ديوانه ألقى على شعره ستارا كثيفا من الغموض والإبهام ، وجعل الحكم عليه مقرونا بالعناء والجهد

وذلك مما دفعنا دفعاً إلى مراجعة الصحف القديمة والمجلات المعاصرة له ،
وتتبع الكتب الأدبية المختلفة بما عساه أن يضم طرفاً من شعره وجانباً من
خبره ، ونستطيع بعد أن تعبنا أناملنا من التصفح والتقليب وبعد العثور على
جمهرة من قصائده المتنوعة أن نحكم على شعره جملة بأنه في المنزلة الوسطى من
منازل الشعر (١) .

وكان القدر الأعظم من شعره في المدائح فلقد اصطفاه «اسماعيل» وخلع
عليه لقب «شاعر الخديو» ، ولازمه وناداه ، كما أدناه «توفيق» ، وأحلّه مكانة
من نفسه ، وقد دعاه ذلك إلى أن ينظم فيهما مدائحه ملتصقاً لها شتى المناسبات
آية على ولائه ودليلاً على وفائه ، كما مدح المصطفين لهذين الأميرين من ذى
جاه أو شفاهة أو حظوة لديهما ، وكان «الليث» ، حريصاً في هذه المدائح وخاصة
ما لاسماعيل وتوفيق على أن يمجدها ويكسوها حلة من الروعة وجمال الشعر ،
ولكنه على كل حال يدور فيها جميعاً مع تبين أسبابها على معانٍ متقاربة
وطريقة متشابهة ، فهو يبدأ بالغزل متأنقاً في صوغه لينتقل منه إلى مدح
الأمير حاشداً من معانيه وألوانه ما شاء له الأسلوب وما واثته القريحة
واستتبع مدحه الأميرين الذى هو ثمرة لصلته بهما وحدهما عليه أن يقول
مهناً أو مواسياً أو معزباً ، فإن وفاءه الباعث على الإطراء والمدح هو نفسه
الدافع على قرض الشعر فى كل ما جل أو هان من مختلف المناسبات .

ولقد جهدت فيما تتبعته من الشعر كى أعثر على المنادمة فى شعره وأتبين
أثر هذا الفن لأرى ما أبدع منه فى نظمه فلم يواتنى منه شيء فلعلها كانت منادمة
مجلس وسمير يصورها حديثاً يرويه وقصة يسوقها ونكتة يرسلها ونادرة
يفاكها وبديهة موائية لا تستلزم الشعر أسلوباً ولا أداة .

* * *

نماذج من شعره

بما قاله في عيد جلوس الخديو عباس الثاني ، :

يا عاذلاً لج في لوى لتضلالى	نخل الملام فقلبي ليس بالسالى
أبيت أرعى الدياجى بأئس الحال	دعنى ووجدى وما ألقاه من وصب
هيهات لومك لم يخطر على بالى	ظننت لومك يثنى قلب ذى شجن
عما عليه انطوى تنميق عذال	أنا الوفى وقلبي ليس يشغله
أما نظرت إلى سقى وإعلالى	أرح فؤادك واحذر ما أكابده
وفكرة شتتها لوعة البال	دمع يسيل وقلب ذاب من كمد
ولا رمتك اللواحى فيه بالقال	عدتك حالى لا ذقت الهوى أبدا

إلى أن قال :-

من الغرام وقد ضاعفت أثقالى	قد قال لى القلب كم حملتى نصبا
يخف عنى به وجدى وبلبالى	هلا التفت وألزمت اليراع بما
عيد جلوس الخديو المفرد العالى	فقلت يا قلب صادفت المراد فذا
أرجاؤها وغدت روضا لحلال	عباس مصر الذى ضامت بغرته
كالبدر يعطى اثناسا عند اهلال	صفو النفوس بتشريف النفوس بدا
وان تعاظم فاسلك نهج اجمال	فادخل بما فى تهانيه بموسمه

ثم قال :-

ما أوهن اللب من قول وأفعال	هذا الابى الذى أمضت عزائم
منه ويهدى لرشد عند تسأل	زند الشيبية يورى رأى مكتهل
وكم لراجيه منه نور آمال	فيه لرائيه إيناس ومرحة

فهذه أبيات تبتدىء بالغزل على عادة الشعراء ثم تنتقل إلى ذكر الممدوح

بما شاع المدح به وما ألف نظم الإطراء فيه ، وهي وإن كانت أقرب إلى التجويد في نظمها وصوغها لا تحمل من روعة الشعر والطابع الشخصي ما يسمو بصاحبها إلى مصاف المجيدين .

ومما قاله في ليلة عرس :-

لله ليلات أنس عن سنا سفرت	وبالمراد إلى أسمى حنى وصلت
كأنها ليللة القدر التي نزلت	فيها الملائك والدنيا بها ابتهجت
سرت بحسن صفها مصر وازدهرت	يا طيب عين بمرآها قد اكتحللت
فما رأى مثلها الراى فقد شرفت	في خير دار بها الأفراح قد رسمت
دار بسدتها الأجداد واردة	مثل الظماء فكم علت وكم نهلت
إن شئت قل جنة أو جنة وجنى	فيها الغياث وفيها الغيث مذ نبئت
نعم سويداك أو سود العيون بما	يروح الفكر فاللذات قد حضرت
وارع المثاني وراع العنب ليب بها	فيوسف الحسن أعطاها الذي طلبت

إلى أن يقول :-

ولا أصرح بالداغى ولى أمل	يشيده من حلى أوصافه كملت
فأهنا فهذا القران السعد أرخه	شمس البهاء بمحمود الصفا اقترنت

٤٠٠ ٣٩ ١٠٠ ٢٠٢ ١١٥١

سنة ١٨٩٢ م

فهذه مظاهر للحسن والسرور والأنس والبهجة حشدها الشاعر جشدا ونظمها بصورة تقليدية لا أرى فيها روحا للشعر العذب الرائع على أنه عنى فيها بالزخرف والطلاء فأشار إلى الاقتباس في « ليلة القدر » التي نزلت فيها الملائك ، وجنس بين « جنة » و « جنى » ، و « الغياث » ، و « الغيث » ، و « سويداك » ، و « سواد العيون » ، و « اراع » ، و « راع » ، وبذل لذلك شيئا من جهده وطلبه ، ثم ختم أبياته بالتاريخ الذى فتن به معاصروه والسابقون عليهم ، وحرص

عليه هو أيضا ، ومن ولوعه بالمحسنات البديعية وتكلفها وسعيه لها ما قاله للشيخ « الأنباي » يننى ما وشى به إليه .

نبئت أنى قد ذكرت بحضرة تسمو بكوكب عصره « الأنباي » ،
وعذلت أن لم أهد ساحة مجده غرر التهاني عذل من أنباي
ولقد نبا بى عن سمو مقامه عز المهابة وازدحام الباب
فغدوت أدعو الله أن يرقى إلى أسنى المعالى فى أعز جناب
كما يعز الدين منه بناصر وتقر عين الشافعى بمهاب
فبمثله الإسلام يظهر نوره وتقوم حجته على المرتاب
لا زال شيخ المسلمين محجبا بمهابة الإعزاز والإرهاب
حتى يقول العلم سدت مؤرخا بولى الأزهر شيخه الأنباي

٤٨ ٢٤٤ ٩١٥ ٩٧

سنة ١٣٠٤

فقد كلف بالتجنيس فى قوله « الأنباي » فأدارها غير مرة بما « نبا » بها
ووضها موضع القلق ، كما شد الجناس فى قوله « بمهابة » والأرهاب وختمه
بالتاريخ كدأبه .

ومن أبياته الرقيقة ما قاله حين زارته سائحة أمريكية وهو فى ضيعته
بالصف

وزائرة زارت على غير موعد غريبة دار تنتحى كل مورد
تبدى لنا وقت الظهيرة نورها ونحن على روض زها بالتورد
من اللام لم يدخلن مصر لحاجة سوى رؤية الآثار فى كل مشهد
لها فى أميركا انتساب ودارها ببستن إذ تعزى لمسقط مولد
فحيت وقالت والمترجم بيننا لنا فاذنوا نحظى بروضكم الندى
فقلنا ونور البشر أزهر بيننا على الرحب والإقبال مشكورة اليد

: ودارت أحاديث التساؤل بيننا
إلى أن قال :

عن البحر حدث إذ وردنا وقد غدا
بصفو يضافنا فيا طيب مورد
سفينتنا تعلو على فلك السما
بما حل فيها من شمس وفرقد (١)
هناك مراد العين والسمع والهوى
مع العفة العلياء في كل مقصد
فقمنا وودعنا القلوب فهل درت
بما نابسا عند الوداع الممهد (٢)

* * *

(١) الفرقد — نجم قريب من القطب الشمالى
(٢) الممهد — المهياً

الشيخ عبد الرحمن قراعة
المتوفى سنة (١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م)

نشأته وحياته

ولد بأسىوط قرابة سنة ١٨٢٥ م من أسرة عريقة في العلم والدين حفظ القرآن في صباه وكان والده أحد علماء الأزهر يحب الأدب ويقرض الشعر وقد نظم في النحو خمسمائة ألف بيت تدارك فيها ما فات ابن مالك في ألفيته مما نبه إليه الشراح من قيود وشروط وغيرها ، فتأثر «عبد الرحمن» ، بآبيه واتجه متجهه ، وتلقى العلم عنه في صغره ، ولقى من رعايته وتوجيهه ما غذى قريحته بالأدب ، وطبع ملكته على حبه .

ولما أصاب حظا من الثقافة الناشئة ألحقه والده بالأزهر فانتظم في عقده وتلقى فنونه على أساتذته من أمثال الشيخ «حسن الطويل» ، والشيخ «محمد الإنابى» ، والشيخ «الأشمونى» ، وأضرابهم ، وقد قضى فترة في الطلب تاهزت عشر سنين ، وكانت شهرته بالأدب قد ملأت الأذهان وطوف صيته في ربوع الأزهر وخارجه ، ووسم بالشعر الرصين والنثر المحكم ، حتى كان علما بين شعراء الأزهر وأدبائه في ذلك الحين ، وكان قد تقدم لامتحان العالمية فحدث في الأزهر فتنة كان من أثرها أن عين المرحوم الشيخ «محمد الانبأى» ، شيخا للأزهر بعد سابقه المرحوم الشيخ «محمد المهدي العباسى» ، ويقول بعض الرواة إن «الانبأى» غضب على قراعة ونفاه من القاهرة إلى أسىوط لأنه أنشأ قصيدة هجاء بها قال في مطلعها .

خذوا حذرکم فالأمر قد جاء بالزند

لقد ظهر الدجال واختبأ المهدي

وبما قاله الرواة — ان قراعة كان صديقا للمهدي ، وكان المهدي يؤثره ويوليه حبه ، فنظم قراعة هذا الشعر ولاء للمهدي وزرارة بالإنبأى فأجرى

معه تحقيق كانت نتيجته النفي إلى أسيوط التي ظل بها قرابة أربعة عشر عاما
كان يرسل فيها قصائد الاعتذار والتنصل للإنبابى حتى عين الشيخ «حسونه
النواوى وكيلا للآزهر فاستوفده إلى القاهرة .

وقد رجعت في تحقيق ذلك إلى أسرته والأدنين منه ومن خالطوه ،
لأجل الأمر واستوضح غامضه فقبل إن قراة لم ينظم هذه القصيدة بل
نحلمها له خصوم الانبأى اعتمادا على شهرة قراة بالشعر وطلبها لذيوها له ،
أما هو فبرى منها لم يخط فيها حرفا ، كيف وهو تلميذه المنتفع بعلمه المغتذى
بثقافته ؟ على أن فيما وجهه قراة إلى الإنبابى من شعر ونثر ما يدل على نقاء
صفحته وبرائه من هذا الشعر ، هذا ولم يكن ارتحال قراة إلى بلده جزاء
وعقوبة وإنما كان انصرافا منه لشكر الجو من الدس والسعاية ، ومهما
يكن من شى فإن القصيدة سواء نظلمها أو نسبت إليه سارت على الألسن
وظوفت في الآفاق وعلقت بالأذهان .

وإذ ارتحل «قراة» إلى أسيوط هذه الفترة الطويلة أكب على دراسة
الأدب ونظم الشعر وتوفر على التفسير والحديث فتمكن من دراستهما
واجتمع بجمهرة من علماء الأزهر الذين رحلوا إلى أسيوط وطهم فاتصل بهم
وكان بيت أبيه شبيها بندوة أدبية ودرس على يجمعهم ، فعلا في هذا الندى
صوته وتآلق بين رواده نبوغه ، فكان فيمن يغدون إلى هذا المجلس المرحوم
«محمد بك أبو شادى» الذى أنشأ جريدة الظاهر فيما بعد وكان من أبرع
المحاميين بأسيوط ، كما كان منهم المرحوم «عبد الله هاشم» الأديب المطلع
الذى وصفه «قراة» فقال «أخذ هاشم نهايتنا فجعلها بداية له ، والمرحوم
«حسين بك فهمى» الأديب أحد كبار محامى أسيوط «وامام بك فهمى» أحد
أعلامهم أيضا ، وما زالت شهرة «قراة» تنمو وتتطير حتى كثر عشاقه
وأقبل عليه أنصار الأدب من كل حذب ، فإذا بيته مقصد كل عظيم وأديب
من رجال القضاء والادارة والتعليم ، وما قرأه على عشاقه في هذه الفترة

كتاب «الكشاف» ، للزخشرى «والنسائى» ، فى الحديث ، كما قرأ عليهم كتاب «الأغانى» على طوله واتساع جنباته .

بقى «قراءة» فى أسبوط حتى استدعاه الشيخ «حسونه النووى» وكيل الأزهر إلى القاهرة فتقدم للامتحان ونال شهادة العالمية ثم اشتغل بتدريس الفقه والنحو فى الأزهر حتى إذا وجهت العناية الخاصة إلى تدريس الأدب فى الأزهر تولى تدريس مقامات الحريرى فجمع فى شرحها بين اللغة والأدب بأسلوبه العذب وبيانه الرائع ، وكان «السيد مصطفى المنفلوطى» أحد من غشى درسه الأدبى .

ولم تطل هذه الفترة حتى عين مفتيا شرعيا بمدينة سوهاج فمكث بها عدة سنين عفى فى أثنائها بأحد مساجدها درس التفسير الذى كان يلقيه بطريقة جذابة مشوقة ، وأمه كثير من رجال العلم والأدب واتخذ من بيته منتدى أدبيا يضم كثيرا من الأدباء مثل المرحوم «الشيخ محمد عبد المطلب» الشاعر الذى لازمه وانتفع به وبتوجيهه الأدبى ، ولقى منه تشجيعا ورعاية ، وكان أكثر عشاقه ملازمة له وترددا عليه ، كما كان من عشاقه أيضا والمصاحبين له المرحوم «محمد أبو النعمان بك» ، والمرحوم «يحيى أبو بكر» باشا ، وكانا أديبين من أعلام القضاء الأهل امتازا بمراعاتهما فى تطبيق أحكام القانون موافقته أو قربه لأحكام الشريعة الإسلامية ، كما كان منهم المرحوم «أحمد افندى عبد البارى طاهر» الأديب الذى كان مدرسا بمدرسة سوهاج مع زميله الشيخ «محمد عبد المطلب» ،

وبما اقترحه الأدباء أن يشرح قصيدة عمر بن أبى ربيعة التى مطلعها : -

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فهجر

وقد أفاض «قراءة» فى شرحها ونقدها والتعليق عليها فقام هؤلاء بطبعها والاحتفاظ بها .

ثم نقل إلى وظيفة قاض بمديرية أسوان فى فبراير سنة ١٩٠٥ م وظل بها إلى سنة ١٩٠٦ م حيث نقل قاضيا بمديرية المنصورة فرئيسا لمحكمة بنى سويف

الكلية الشرعية ، ثم عين عضواً بمحكمة مصر العليا فديراً للآزهر والمعاهد الدينية وقد بذل جهده في الإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً .

وكان أول ما عمله منذ شغل هذا المنصب أن سعى لمنح الشيخ د سيد بن على الموصفى ، عضوية جماعة كبار العلماء ، فكان ذلك إنهاضاً للأدب ويدا تشجيع على المضى فيه ، ولا يؤخذ الشيء إلا من مصادره ،

ثم أصبح مفتياً للديار المصرية ، وذلك هو آخر ماتولاه من أعمال ، وما أسند إليه من مناصب ، حتى استأثر الله به سنة ١٣٤٩ هـ الموافقة ١٣٩١ م

شعره :

الشيخ د عبد الرحمن قراعه ، شاعر مطبوع مشرق الديباجة متلاحم النسيج متين السبك رائع التشبيه جزل العبارة رقيق المعنى واضح الغرض ، يتدفق فيضه ويجرى بيانه في رقة وسلاسة ووضوح ، فلا تعقيد في لفظه ولا التواء في غرضه ولا إغراب في معناه .

وكان الشعر قد طوع له وأرغى له عنانه وأسلس قياده فهو بوافيه على غير تكره وينقاد له وكلما ، خطرت له خاطرة ، أو بدت له بادرة ، أودع ذلك شعره الرصين الفخم ، ولم كان للعربية من هذه الثروة الضخمة من نفع وجدوى ولقراء الأدب وعشاقه من لذة ومتاع ، لو مكنت لهم رواية شعره جملة والوقوف على ما خلفه جميعاً ، ولما كان شعره تفرق بدداً ، وذهب شتيتاً ، فلم يجمعه أو يطلبه من الصحف والمجملات وصدور الناس حريص عليه ، وكل ما رأته في ذلك كتيب صغير جمع طرفاً من نثره وشعره بعنوان د عبد الرحمن قراعه كأديب .

وأيا ما كان فإننا لم نحكم هذا الحكم على شعره إلا بدراستنا ما عثرنا عليه وبتقليب النظر في كل ما تيسر لنا من مصادر مختلفة ثقت بها .

فما قاله يرى نفسه مما رمى به لدى أستاذه الشيخ د محمد الأنباي ، :

أما أن أن تنسى الرباب وزينبا . وتقلع عما كان في زمن الصبا .

ألم تعتبر إذ كنت أجرد أمردا
ضلال وغى أن يلج بك الهوى
إذا لم يكن شيب الفتى رادعا له
وإن أحق الناس باللوم من دعا
تركت التصابي ضنة بمنافقي
وما أنا من طعن الحسود بآمن
أبت همتي أنى أقارف سبة
جزى الله بالحسنى عداى فإنهم
ورب صديق قد تجنبت سخطه
تحرش بالعدوان فى وقت حاجتى
وألأ أعدائى بما وصلت له
ومن ضرسته الحادثات بناها
ومن خبر الأيام لم ير باقيا
سأضرب صفحا عن مساويه أنى
وأدرك بالصبر الجميل مآربى
وأركب متن الرمح فى طلب العلا
وأطرح كل الناس أن علفت يدي
ملاذى وأستاذى وكهنى ومعلى
ومحمد الانبأى، اندى الورى يدا
وأوضحهم عند الدراية حجة

إلى أن يقول . —

خدمتك بالمادح الذى أنت فوقه
لعلك بالعفو الذى أنت أهله
وهب أنى قارفت ما زعم العدا
حنانيك إن الدهر صوب سهمه
وما أبتغى الا رضاك مطلبيا
تمن على من لم يكن لك مذنبيا
فاعراضك الماضى كفاى مؤبا
إلى قاصمانى بما كان صوبا
(١٣ - أزهر - ثالث)

وخلفني عن ساقية القوم بعد ما سبقتهمو نفسا وأصلا ومنضبا
وصبرني ما بين أهلي ومعشري غريبا لفقدى ما ألفت معذبا
نخذ يدي محمد صنيعةك إنني رأيتك للمعروف أدنى وأقربا
وكف يد الأيام عني فإنها لعمرك أبقت في نابا ومخلبا
بمن أحتمى منها إذا أنت لم تحب ندائي وبعد الغيث لم ألف معتبا
فمكن يارعاك الله بالموضع الذي عهدناك فيه أن تجيب وتطلبا
ودم سالما للدين تحمي ذماره وللهجد توري زنده بعد ما خبا

فهذه الآيات من خير ما قيل في براءة النفس والتنصل من الذنب ،
وطلب الرضا والتماس العفو ، وهي تجلو عليك صورا كريمة من خلق
الشاعر وغر سبحانه ، فقد أبت همته أن يقارف سبة لم يقترب مثلها عنه أو أبوه
وهو يدعو بمجازاة الحسنى أعداءه ، ويزيد معهم تأدبا كلما حاولوا إلتقاصه
وما أروع تأثير النفس بما قصه من صديق تجنب سخطه وآثر هواه إن
خبيثا أو طيبا جازاه في وقت حاجته فأذاه بالتحرش بالعدوان وألقى في
نفوس أعدائه وصار أشد منهم حربا وأنكى إيلا ما ، ويعرج بعد ذلك
بنفس مكحومة وقلب جريح إلى أبلغ العظات وأروع الحكم محدثا عن الصديق
والزمان متذرعا بالصبر يدرك به مآربه التي لا بد هو موف على طرف منها ،
ساعيا إلى العلا ولو كان مركبها الأسنة .

ثم يتجه إلى أستاذة فيخطبه بكل ما يلين عطفه ويلفت إليه قلبه ملتصبا
منه صفحا لم يكن عن ذنب وإذ يعترض نفسه مذنباً فإنما يستعطفه بأبلغ
الأساليب تأثيراً في النفس فقد يكفيه مؤدباً إعراض أستاذة الماضي عنه ثم
يعرض عليه ما قد أصابه من فعل الوشاة وما تخلف به عن ساقية القوم وقد
سبقهم بنفسه وأصله ومنصبه ، وما زال يكرر له هول ما أصابه وشدة
إعراضه عنه ، وتنكره له حتى أوفى على الغاية التي لا يصلها إلا الشعراء الفحول
في قوة أسلوب ، وبلاغة تصوير وإشراق ديباجة وحسن عبارة .

وإليك لتقرأ شعره فتحس بروح الشاعر تطل عليك من خلال قصيده ،
وتصالحك عاطفته الرقيقة ويتمثل لك صدق إحساسه ، حتى لتنتطب على
شعوره وتشاركه فيما ذهب إليه : -

واستمع إليه إذ يرثى صديقه د محمد سلطان باشا ، فيقول :

كفى بي حزناً أننى صرت ناعياً	لنفسى نفساً فى فناها فنائياً
فيادمع أنجذنى فما لى منجد	سواك فأنى قد فقدت اصطبارياً
ويا حزن لا ترحل فما لك موطن	تقيم به إلا ضميم فؤادياً
ويا حسرتى فى كل يوم تجددى	ويا لوعتى لازدت إلا تماًدياً
ويا كبدى حزناً وبؤساً تقطعى	ويا جلدى إن كنت لازلت واهياً
ويا صرف هذا الدهر جهدك لى	أمنت الذى قد كنت من قبل حاشياً

فانظر كيف بلغ به الأسى مداه ، وصور لك بجميعة بموت صديقه الذى
نعاه لنفسه التى فناؤها فى فنائه ، وكيف استنجد بالدمع بعد أن فقد اصطباراً
واستبقى الحزن ليقم بفؤاده وأوصى الحسرة أن تتجدد ، واللوعة أن تزيد
تمادياً ، والكبد أن تتقطع حزناً وبؤساً ، والجلد أن كان لا يزال واهياً ،
وصرف الدهر أن يجهد ما شاء فقد أمن ما كان يخشاه د إن الذى تحذرين قد
وقعا ، ثم انظر إلى هذه المعانى الرقاق التى يصور بها غفرانه زلات الدهر
مادام لم يكف عن صاحبه ، وإغضاه جفنه على القذى مادام (أبوسلطان) باقياً
غفرت لك الزلات قبل لأننى بكفك عن شخص العلا كنت راضياً
وأغضيت عما فات جفنى على القذى لأن (أبا سلطان) قد كان باقياً

ثم يمضى الشاعر فيصور عظم الخطب فيه ، وبلاغة الخسران بفقده فيقول :
لك الويل كل الويل يا هر إنما تعطلت مما منه قد كنت حالياً
عدوت على روض العلا فتركته هشياً ومن بعد الضارة ذاوياً
وأقفرت ربعا كان بالفضل أهلاً فأصبح — لا كفران لله — خالياً

إلى أن يقول : -

فقدنا الندى لما فقدناه والحجا وفصل القضايا والتقى والمعاليا
وكنت أرى نفسى وفياً فذ قضى ولم أقض قد أيقنت أن لا وفاليا
وهذا المعنى الأخير من أبلغ المعانى الشعرية وأزوعها وأصدقها دلالة
على الوفاء .

ومما قاله يهنى به الشيخ د محمد عبده ، إذ عين فى الإفناء .

بهديك للفتيا إلى الحق تهتدى

ومن فيض هذا الفضل نجدى ونجتدى
نمت بك للعليا نفس أبية وعزمة ماض كالجمام المجرد
ورأى رشيد فى الخطوب وحكمة وتجربة فى مشهد بعد مشهد
وعلم كنور الشمس لم يك خائيا على أحد إلا على عين أرمد
فضائل شتى فى الأفاضل فرقت ولكنها حلت بساحة مفرد
إلى أن يقول :

أمولاي يامولاي دعوة مخلص تقول فيصغى أو تؤم فيقتدى
لكل زمان من بنيه تجدد لما أبلت الأهواء من دين أحمد
وقد علم الأقوام أن محمدا مجدد هذا الدين فى اليوم والغد
فهذا شعر رائق عذب سائغ مقبول ، لا نبوفيه ولا قلق ولا غموض
ولا التواء وكان صديقه الشيخ د محمد عبد المطلب ، قد أرسل إليه إذ نقل إلى
أسوان شطر البيتين المشهورين :

أمر على الديار ديار سلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا
فكتب إليه دقراة ، هذا التشطير الرائع الرقيق فقال :-

أقضى الوقت أجمعه أذكرا لمن عنهم ترحلت اضطرابا

وأطفيء بالمدامع نار قلبي فتذكي أدمعي في القلب نارا
وأطلب الاضطبار وأين مني منال الاضطبار ولا اضطبارا
وأتمس الديار على التناثي كما قد كنت أتمس الديارا
ديار سَكينة وأبي سكين ألا يانعم ذاك الجار جارا (١)
رعى الله الوفاء ومن رعاه دنا أو شط راعيه مزارا
ولا قرت عيون قتي يوالى جهارا ثم لا يوفي سرارا
ليهنك أن عهدك عهد صدق وإنك خير من حفظ الذمارا (٢)
وإنك أن تمر بدار ليلي أحاد فقد مررط بها مرارا
أمر بخاطري ومناي أني أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي فأمسح بالدموع لها ثارا
وما همى الركون إلى الأمانى ولكن حب من سكن الديارا
وأرسل إلى صديق له يمدحه ويشكره إذ بعث إليه خطابا رقيقا حين كان
عليلًا.

شقيق الروح أهداني (سلامه) فالبسني به حلل السلامة
فلم أر قبليه أبدا سلاما إذا وافي العليل شفى سقامه
سكرت بطيب رياه فلولا تقاه لقلت أهداني المدامة
فيا لك ناظما عقدا ثمينا يد الأفكار قد نسقت نظامه
لقد أحرزت غاية كل سبق فما (عبد الحميد) وما (قدامه)
إذا هممت دعاة المجد يوما بمكرمة تكون لك الزعامة
ومن يحكى (سليان) إذا ما دجى ليل الخطوب جلا ظلامه

(١) سكينه — كريمة الشيخ محمد عبد المطلب الشاعر

(٢) الذمار — ما يلزم حفظه

عزائم تفل يد الليالى اذا امتدت لبغى أو ظلامه
يسدد سهمه نحو المعالى فيدركها فما أمضى سهامه
الى أن يقول . —

كتابك للعليل وفي فوائى على قلبى المنى وروى أوامه
به عبرت عن حالى فشوقى على أشواقكم أبدا علامه
به ابتداء الشفا بما أقاسى وأرجو الله مولانا تمامه
فهذه القطعة من أطايب الشعر ورقراقه وأكثره ماء وأعذبه مذاقا ،
وقد استهل الآيات بالتورية فى لفظ (سلامه) هن معنيها سلام الصديق
مضافا إلى الضمير وسلامة التى هى بمعنى العافية — وختم الآيات ببراعة
المقطع فى قوله (تمامه) .

ومن توريته اللطيفة ما كتبه على مسجد اليوسنى الذى أنشأه بأسيوط
صديقه د أحمد شكرى باشا ، اذ قال

مسجد اليوسنى تم بناءه وفق أمر الخديو توفيق مصر
فأقيموا الصلاة لله فيه واشكروا من بناءه د أحمد شكر ،
فقد روى بأحمد شكر عن معنيه اسم صديقه وأبلغ الشكر
وقد يستعمل التاريخ فى شعره لكن بقلة كما فى قوله يهنى د محمود بك
رياض ، مدير أسيوط إذا ذاك .

رياض المجد محمود رضاها ومن يحى العدالة لا يهاض

إلى أن يقول : —

تلقياً البشائر أرختنا يديم العدل محمود رياض

٦٤ ١٣٥ ٩٨ ١٠١١

سنة ١٣٠٨

ولعلك تلاحظ أن حرصه على التاريخ أضعف الشعر الذى حواه ،
وذهب بالجمال الذى ألف فى شعره .

وأرسل إليه أيضا مهنئا بعيد الفطر فكان مما قاله : —

مولاي عيد الفطر أورك روضه

وجرت مياه سروره بحياضه

وسعى لىخدم منك أكرم ماجد وليستميح الجود من فياضه

فاهنا به فى ظل والدك الذى بالعدل داوى الفطر من امراضه

فبشيره بك قد أتى تاريخه العيد محمود بعز رياضه

١١٥ ٩٨ ٧٩ ١٠١٦

سنة ١٣٠٨

وهى أبيات ضعيفة واهية وعمى أن يكون التاريخ ، هو المسئول عن
تهاقنها وربما أودع شعره مسائل من العلم وجوابا عنها وهى إذ ذاك نظم
ليس فيه روح الشعر ولا روعته ، ولا كنك تجده مقبولا سائغا كما فى
سؤال وجهه المرحوم الشيخ محمد الأمير ، وأجاب عليه فنسج دقاعة ، برد
السؤال والجواب فقال فى السؤال : —

على قبر نعمان همت ديمة الرضا وعمت أهاليه وجملته حزبه

فهم حرموا عرسا إذا مس أمها بغير جماع بل بشهوة قلبه

فلما حمى حر الوطيس بقلبه وفار وفاض الماء من عين سكه

نفوا عنه تحريما فما السر أرشدوا فتى فى فتاويكم شفاء للبه

وقال فى الجواب . —

ألا أيها المولى الذى بحر فضله تراحم الأبواب فى ورد عذبه

سألت عن المعنى الدقيق وطالما

كشفت الغطا عن مشكل الأمر صعبه

نفذ مدرك النعمان عني وان أكون

إذا ذكر الاتباع أضعف حزبه

هموا ثبتوا تحريم عرس بمسه

لأن مساس البنت داع لوطئها

ولم يثبتوا التحريم ان كان مسه

لتحقيقنا أن المراد بمسه

وهذا الذي أدركته من كلامهم

وقد يطول نفسه في الشعر ويتدفق معينه كما في قصيدة الحج التي يقول

في مطلعها :-

على حقوق للبطى الرواسم

تطالبنيها كل حين عزائي

فقد بلغت ستة وسبعين بيتا

نثره

ولقراءة النثر الرائع الرصين الذى يضارع أرقى الأساليب فى فصاحة

تعبيره وروعة معناه وحسن رصفه ، وصفاء مائه ، وبعده من التكلف

ونقائه من الطلاء والزخرف .

ومن ذلك ما كتبه الى أستاذه الشيخ « الإنبابى » ينفى عن نفسه ما رمى

به من حقوق ، وما اتهم به من طعن .

كتابى الى المولى أطال الله بقاءه ، وأنا أحد من جثا على ركبتيه وانتفع

بعلمك ، وأخذ عن تلامذك ، وعرف لك جزيل حقلك ، حين تفاقم الخطب

واشتد الكرب ، وشمخ بأنفه الحاسد ، وصغر خده الشامت ، وسيدى وقاه

الله ما يكره - يعلم أن الأعراض هى الزجاج لا يجبر كسرها ، ولا يرأب

صدعها والدنس ان لحقها لا يغسل بالأشنان ، ولا يزول بتقادم الزمان ،

ومولاي أعزه الله هو الوالد المبرور والناقم المشكور والعايب الذى نتوخى

رضاه والغاضب الذى نخشى أن يحر غضبه علينا غضب الله ، وهو القدوة الذى يتبع فى فعله ، ويتيمن برأيه ، ويرجع الى قوله ، فلا أظن أن يرضى بأن يمزق فى مجلسه أديمى ، ويستباح ما حرم الله من عرضى ، وأقذف بما أوجب الله فيه الحد وينتهك من حرمتى ما الله يعلم أننى منه براء ، ولو شام لعاملنى بقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ — الآية — فوضح له الحق الذى لا يجهله والرشد الذى لا يَنْكِرُه ، وعلم أن من وسعوا أنفسهم بتتبع العثرات وكشف العورات انما صنعوا هذا الصنيع حين علموا أن النقلة أمثالهم ، والسفلة أشباههم أشاعوا عنى هذه الحضرة سابقا انى أسأت الأدب بشعر صنعته وهجو قلته فاتهزوا هذه الفرصة الآن وذهبوا مذهبا آخر يغبرون فى وجه الحق ، ويدفعون فى صدور اليقين والله من ورائهم محيط ... الخ

وانه وان كان السجع يتمثل فى مثل هذه الكلمة تجد أنه سجع مطبوع لا يتسم بسمة التكلف والقصد ، ولا يطلبه الكاتب على تكره واستعصاء ، وقد يبذل جهدا فى طلب السجع ، ويحرص عليه لكن ذلك غير ملتزم فى الموضوع كله ، ولا ينفر الذوق منه ، أو تنبو الأسماع عنه ، كما قال فى رسالة أرسلها لبعض أصدقائه الشيوخ يستعطفه ويطلب مساعدة محتاج فى طلبته . أخى — أبى الله إلا أن أكتبك إذا عرضت مهمة ، وعنت حاجة ، كلة بالغة ، وقدر لا مفر منه ومحنة منيت بها وسمتى بهم الجفاء ، الذى طالما كنت أنبو عنه ، ولعل اعترافى بجنابى يوصلنى للإغضاء عنها وهنا أعجل بعرض حاجتى .

رافع هذا (فلان) كاده الشيطان من (فلان) بالخيل الخابل والبلاد النازل العاجل ، والداهية التى تصفر منها الأنامل ، فلم يستجب لراق ولم ينفع فى سمه درياقى ، فسدت فى وجهه السبل وأعيته الحيل ، الا ما كان من الأمل فى الأستاذ الأعظم شيخ الجامع الأزهر فرغب الى فى مخاطبتكم فأجبتة مستنحا شافعا لجوابكم السابق وواجب مساعدته بما فى الوسع ، وقد نهيتك ورقدت ودعوتك للخير وما دعوناك له الا أجبت والسلام .

الأزهريون أساتذة شعراء العصر

كان جل شعراء العصر الحاملون لواء الشعر المعبرون به عن معاني الحياة حسبما تواتى لهم من القرائح وتهياً لهم من الأسباب من الأزهر ، رضعوا أفوايقه واغتذوا بثقافته العربية ، ومن الطبيعي أن يكونوا وهم بهذه المثابة قدوة الناشئين وإمام المبتدئين يهتدون بتراثهم وينشأون على غرارهم وينزعون في قوسهم ولو جهدوا في المخالفة وجدوا في المجافاة ، وليس ينكر أثر المتابعة والاقتداء في الأفكار والأساليب ، وشعراء الأزهر إذ ذاك زعماء يوجهون وقادة يتبعون ، فليس بدعا أن يسايرهم غيرهم وأن يدرجوا على أساليبهم ويمضوا في طريقهم صعدا وإذا ساءل لفريق من الشعراء المعاصرين أن يتخطوا الأجيال والعصور إلى شعراء الجاهلية فيقلدوهم في طريقةتهم وينزعوا إلى محاكاتهم ، ويديروا شعرهم على أسلوب العرب الضاربين في الفلا والبيد ، فيتغنوا بالعيس ويخاطبوا النوى ويسائلوا الدمن والأطلال ويتشمموا الشيوخ والعرار على طول الزمن وتراعى الأمد إذا ساءت المتابعة على انقطاع ما بين التليد والطارف ، والماضى والحاضر فأولى بها أن تكون بين معاصر ومعاصر وأولى بالتأثر أن يكون بالشاعر الذى يرى ويشاهد ويقول ويسمع ويغشى نأديه ويتلقى أدبه بالمشاهدة والاستماع .

وإن الأبصار لتقلب في دواوين القدامى وتغوص في آثار الراحلين على انقطاع الصلة طلبا للاقتداء والتماسا للمحاذاة ، وأقل من ذلك عناء للشاعر أن يلبي داعى المسيرة لشعر يطرق سمعه بالرواية المعاصرة ويصافح إذنه من السنة قائله ويتهادى إليه في الصحف كلما سنحت فرصة ، أو واثت مناسبة .

هذا وقد كان فريق من فحول اللغة والأدب في الأزهر أساتذة الرعيل الأول من نابهى الشعراء في هذا العصر الرافعين علمه المقيضين له أسمى وأرفع المنازل ، أخذ هؤلاء الشعراء الذين تفاخر بهم العربية وتباهى بهم

مصر حواضر الأدب في أزهى عصورها عن أساندة من الأزهر فانتفعوا
بعلهم واسترشدوا بنقدمهم وتملأوا من روايتهم ، ونزعوا منزعهم ، وجروا
مجرهم في تفهم الشعر واكتناه اللغة والتفطن لمواطن البلاغة وتيسر لهم
بهؤلاء الأساندة ضروب من التوجيه وألوان من التشجيع ، بل وجدوا منهم
ما خلق من ملكاتهم الخصبة أسباب الخلود مما لولاه لظلوا مغمورين ، وعاشوا
غير مجلين .

وسنبين في هذا البحث كيف استمد هؤلاء من أساندتهم الأزهريين
حياتهم وكيف نهلوا من فضلهم وعلشوا .



المرصفي والبارودي

كان الشيخ «حسين المرصفي» ذا شهرة بالعلم وصيت بالأدب وكانت الزعامة قد انعقدت له في التوجيه والنقد وغزارة العلم والبيان يؤممه كتاب وشعراء ويقصده علماء وأدباء ، ويعرض أدهم عليه فحول الأدب البيان .

«البارودي» ممتلئ منذ نعومة أظفاره حباً للأدب وإيثاراً للشعر وهو للبيان ، وما من شك في أن هواه هو الذي احتشه على «المرصفي» احتشاً واجتذبه اجتذاباً يجد في درسه وتوجيهه ونقده ما ينقع غلته ويروى صداه .

ولقد جهدت في تحديد الصلة التي كانت بين «المرصفي» و «البارودي» وعنيت بها كيف نشأت وعلى أي وجه كانت وأين كان الرجلان يلتقيان ؟ ولكن جواباً عن شيء من ذلك لم يتيسر لي فيما قرأت واستقرأت ، فقد يغرف كثير من الأدباء أن «البارودي» صلة «المرصفي» وأن الأول بالثاني انتفاعاً ، فقد استفاد الحديث عن ذلك حتى تحدث الشاعر نفسه به ولكن تحديد هذه الصلة وبدءها وكنها غامض ، فلعل «البارودي» ليساره ونعمته كان قد سعى لاستقدام الشيخ في منزله والانفراد به في كل مكان هادئ يمكن للتلميذ من الانتفاع بأستاذه ، ويهيء له أسباب النفع والتوجيه ، ويجد من أستاذه كلها وفد إليه معلماً يعلمه ، وهادياً يهديه ، ومهذباً يصقل أدبه ويجلو بيانه .

ويتحدث الأستاذ «الرافعي» عن صلة «البارودي» «المرصفي» فيقول ومن عجيب أمره (البارودي) ما تراه فيما يكتبه عنه الشيخ «حسين المرصفي» منذ ثلاثين سنة وهو أستاذه^(١) .

(١) المقتطف الصادر في ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٢٢ الموافق ١ فبراير سنة ١٩٠٥ م .

ويقول الأستاذ عباس العقاد ، أن المرصني ، أستاذ البارودي وحافظ وقدمتهما في الرأي والنقد وتذوق الكلام^(١) .

ويقول المفصل ، وأخذ عن (المرصني) كبار المتأديين في عصره من البارودي ، فصاحبوه ولازموه وعرضوا عليه بيانهم فهدى ونقح وهذب ، .
« والمرصني ، حين يتحدث عن البارودي ، يدل على أن البارودي ، تلقى عنه وتعلم منه ، فإنه يقول ، إن البارودي ، لم يقرأ كتابا في فن من فنون العربية غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع لبعض من له دراية وهو يقرأ بحضرته حتى تصور في برهة قصيرة هيئات التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسبما تقتضيه المعاني والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ، ولم نعرف أن البارودي ، اتصل بغير المرصني ، ممن له دراية أو قرأ بحضرته دواوين الشعر .

ويقول : وسمعت مرة يسكن ياء المنقوض والفعل المعتل بها المنصويين فقلت له في ذلك فقال : هو كذا في قول فلان وأنشد شعرا لبعض العرب ، فقلت تلك ضرورة ، وقال علماء العربية إنها غير شاذة ، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسبها ، واقفا على صوابها وخطأها ، مدركا ما ينبغي وفق الكلام وما ينبغي^(١) .

« فالمرصني ، يتحدث عنه حديث خبير به ويدل على أن البارودي ، كانت له معه دراسة وانتفاع وأن المرصني ، كان يراجع ويوجهه وينقده وما أظن إلا أن البارودي ، قرأ هذه الدواوين الضخمة عليه ، وسمعه ينقدها ويعلق عليها ويبدى رأيه فيها - « والبارودي ، يقدر صلته بأستاذه وبني حق الوفاء له ، يقول المرصني ، وكان حرصه الله كتب لأبناء وده كتبنا وهو في

(١) الوسيلة الأدبية الجزء الثاني ص ٤٧٤

خرب الروس ولم تصل إليهم وظن وصولها وتقضيرهم عن المبادرة بالإجابة ،
وقد وصل إلى أحد كتايب كتبهما لى يوم قدومه إلى مصر بعد مدة من
كتابته^(١) ومطلع هذه الآيات .

يا ناعس الطرف إلى كم تنام أسهرتنى فيك ونام الأنام
ويقول فيها :

طال النوى من بعدكم وانقضت بشاشة العيش وساء المقام
مولاي قد طال مرير النوى فكل يوم مربى ألف عام
إلى أن يقول فى ختامها :

فتلك حالى لا رمتك النوى فكيف أنتم بعدنا يا همام ؟
ويقول د المرصنى ، وقد شرفت عناية وده أسبى بهذه القصيدة التى
يقول فيها :

بلوت ضروب الناس طرا فلم يكن سوى د المرصنى ، الخبر فى الناس كامل
همام أراى الدهر فى طى برده وفقهنى حتى اتقننى الأمائل
أخ حين لا يبقى أخ ومجامل إذا قل عند النائبات المجامل
بعيد مجال الفكر لو خال خيلة أراك بظهر الغيب ما الدهر فاعل
طرحت بنى الأيام لما عرفته وما الناس عند البحث إلا مخايل
فلو سامنى ما يورد النفس حتفها لأوردتها والحب للنفس قائل
فلا برحت منى إليه تحية يناقلها عنى الضحى والأصائل
ولا زال غض العمر تمتع الذرا مريع الفنا يطوى إليه المراحل

يقول د المرصنى ، وعلى أن ليس من طبعى أن أقول الشعر إما لفوت
أو أن تحصيل وسائله ولم تكن إذ ذاك دواع ترشد إليه ، وإما لأن الاستعداد

(١) الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٩٧ - وأرسل البارودى إلى المرصنى قصيدة
أخرى يقول فى مطلعها :

هو البين حتى لا سلام ولا رد ولا نظرة يقضى بها حقه الوجد

الذى لا بد منه لم يكن فى خليقتى أنطقى حبه بأبيات أجملت فيها صفته وهى :

زكا أميرى طبعا واعتلى شرفا فدار حيث تدور الشمس والقمر
ونال ما نال عن كد الرجال فلا من عليه لشخص حين يفتخر
بفضله كل أهل الأرض معترف كما تصادق فيه الخبر والخبر
لا يجهل الرتبة العليا يعمرها ولا يتيه بها ما أعظم الخطر
صحبته وهو سر فى مخايله حتى تخير من أعلائه الكبر
فا أخذت عليه شبه بادرة ولا تخيلت أمرا منه يعتذر
أدامه الله نقى من فضائله ومن فواضله ما أنبت الشجر

* * *

الشيخ البسيونى وشوقى

قبل أن نتكلم عن إلتفاع أمير الشعراء المرحوم د أحمد شوقى بك ،
بثقافة الأزهر والأخذ من بعض من أساتذته نقدم بكلمة عن الشيخ د محمد
البسيونى ، أستاذه فإن الحديث يدور عليه .

من هو د البسيونى ، ؟

الشيخ د محمد البسيونى البيبانى ، ينسب إلى د بيان ، قرية من قرى
د البحيرة ، ولد بها فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى تقريبا ، وبعد
أن حفظ القرآن أشخص إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر ، وما أن استقر
به المقام بين جدرانها حتى طفق يدرس على أساتذته مختلف العلوم العقلية
والنقلية ولازم شيوخه بالأزهر سنين يقرأ عليهم أمهات الكتب فى الفنون
التي كانت تدرس إذ ذاك حتى حذوها ، ولما نضجت كفايته ، واكتملت
مقدرته تصدر للتدريس فكان معدودا من جلة الأساتذة ، وامتاز الشيخ
بنوع خاص فى دراسة العلوم العربية ، فكانت له طريقة فى التدريس لم تكن

معهودة في ذلك العصر إذ يعتمد إلى جوهر الموضوع فيبرزه في أبهى حلة ويجليه الطلاب غاية التجلية باحثا في سره دون التعرض للضجة اللفظية ولغط الكاتبين ، وقد ظهر أثر هذه الطريقة في كتابه « حسن الصنيع » الذي ألفه في المعاني والبيان والبديع ، وكتبه بأسلوب أدبي رقيق .

وجاوزت شهرته العلمية والأدبية المحيط الأزهرى إلى أفق غير الأزهر فأُسندت إليه نظارة المعارف تدريس علوم اللغة العربية بالمدرسة التجهيزية (الخديوية) .

واختاره الجالس على العرش الخديو « توفيق » ، إماما لحضرته ومدرسا لأنجاله ، فقام بما عهد إليه خير قيام .

ثم أُسند إليه مع عمله هذا تدريس اللغة العربية بمدرسة الإدارة التي سميت فيما بعد (مدرسة الحقوق) وكان من بين تلامذته النابهين في هذه المدرسة المرحوم « أحمد زكي » ، والمرحوم « أحمد شوقي بك » ، وكان يدرس علوم البلاغة في مصنفه المسمى « حسن الصنيع » .

ثم عين الشيخ « البسيوني » مفتيا للمعية السنية وظل في وظيفته هذه إلى أن جاور ربه في ليلة الخميس ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٣١٠ هـ الموافقة ٣ من نوفمبر سنة ١٨١٢ م في عهد الخديو « عباس الثاني » ، رحمه الله تعالى .

شعره والعوامل المحيطة به :

في أثناء هذه الحقبة التي قضاها « البسيوني » ، في خدمة بيت الملك كان يقرض الشعر في مدح الخديو كلما حل موسم أو أهل عيد ، أو بدت فرصة وقلبا نظم الشعر في غير هذه الأغراض .

ولم يكن من الميسور له وهو من رجال الملك وخلصائه أن يتعرض في شعره إلى السياسة إلا بقدر يسير جدا ، كما لم يكن من المستطاع وهو من رجال الدين أن يتحدث إلا قليلا عن اللهو والخمر والنساء وما لا يتفق مع جلال الدين ووقار العلم ، لذلك جاء شعره في دائرة ضيقة ، فلم نعثر له على

شعر إلا في المدائح والتهاني وغيرها مما تنشره له الوقائع المصرية مما كان يزجيه لصاحب العرش .

وفيا وقفنا عليه يهني بها الخديو ، توفيق ، بعودته من الإسكندرية إلى العاصمة بعد اخفاق الثورة العرابية ووقوع الثوار في قبضته .

وفي هذه القصيدة يؤرخ العودة بسنة ١٢٩٩ هجرية ، ويضني على وليه حللا من الثناء ، ثم يعرض إلى الثوار فينال منهم ويسفه أحلامهم ، وإلى الثورة فيصف مآسها وشرها ، وأخيرا يكل أمر هؤلاء الخارجين على طاعة ولي الأمر في أسلوب جيد بالنسبة لعصره ويقول في مطلعها :

رجوعك يا توفيق مصر هناؤها وشمس بهاها دائما وضياؤها

١٢٩٩ هـ

فأنت خديويها وأنت مليكها	وأنت لها من كل سقم شفاؤها
وأنت لها حصن على رغم حسد	وأنت لها بدر وأنت سماؤها
وما هي إلا روضة وفكاهة	وما أنت إلا حسنها وازدهاؤها
وأنت لها إنسان عين حياتها	ولولا تلاقيا لخيف عناؤها
وما هي إلا جثة أنت روحها	وما أنت إلا مجدها وملاؤها
وما مثلها إلا لملك ينتمى	فيسمو بها بين الأنام اتماؤها
لبعدك كم قاست لعمرى شدا ئدا	فاضت إلى أن تستباح دماؤها
ولولا تلافيا لأصبح تالفا	بقية أهلها وعز نماؤها
وأضحت لأرواح الرياح ملاعبا	وما طاب فيها للقيم هواؤها

ومنها :

على عصبة البهتان لا تأس إذ هوى بها في مهاوى الموبقات افتراؤها
فقد خلعت ثوب النجاة مذ اكتست

ثياب الردى جهلا وبش اكتساؤها

(١٤ - أزهري - ثالث)

وحيث أبت إلا هواها سفاهة وساق لها الأخذ الويل شقاؤها
رأيت لها رأى الملوك فأصبحت وقد ساء لها إصباحها ومساؤها
فإن شئت فاصفح أو إذا شئت فانتقم فنك بقاها لوتشا وفناؤها

شوقى ثمرة البسيونى

حين تولى الشيخ « البسيونى » تدريس اللغة العربية بمدرسة الادارة (الحقوق) ، كان بين تلامذتها « أحمد شوقى (بك) » ، « وأحمد زكى (باشا) » ، كما قلنا فانتفعا بعلمه وغنيا بثقافته وتغطفن الأستاذ إلى الموهبة الشابة فى نفس شوقى ، فأقبل عليها بالتوجيه ، ويحدثنا « أحمد زكى باشا » فى حفل تأبين شوقى الذى أقامته وزارة المعارف فى ديسمبر سنة ١٩٣٢ م بأن الشيخ البسيونى أستاذهما فى فنون البلاغة كان لا تخطئه النكتة البارعة اللاذعة أو الساحرة الساخرة ، ومالبت أن رأى فى تلميذه شوقى بواكير العبقرية وبوادر المواهب الربانية فأنشأ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها إلى المعية السنية وإلى جريدة الوقائع المصرية وغيرها من الصحف العربية وكان شوقى ببساطة التليذ الناشئ يشير بمحو هذه الكلمة وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت وتعديل ذيك الشطر والأستاذ يغتبط بقوله وينزل على رأيه .

ويقول « أحمد زكى باشا » وأحسن ما أذكر لأستاذى البسيونى رحمه الله أنه كان يتحدث بذلك إلينا وإلى الفرق المتقدمة علينا (وفيها أصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى ، وأبو بكر يحيى باشا ، وعلى ثاقب باشا ، وشاكر بك أحمد) دون أن تأخذ العزة بالإثم وأن يغريه الكبرياء اللازم للمدرس بانكار الفضل الذى منحه الله للدارس ، فهذه أول سعادة أحرزها (شوقى)

أجل هذه أول سعادة أحرزها ، فما من شك فى أن إقبال الشيخ البسيونى على شوقى وتنزله معه إلى هذا الحد قد ملأ نفسه ثقة بشاعريته وإيمانا بموهبته وكان أول ما أخذ بيده إلى النهوض وشجعه على المضى فى سبيل مجده صعدا فما شئ يدنى الأمل من نفس التليذ ويوطئ له أسباب المجد والسعادة مثلبا

ثفغله رعاية أستاذہ البار الکريم الطيب النفس النزيه المسالك ، الحخير بأسلوب التريية وطرق التشجيع .

على أن الأستاذ البسيوني تحدث بهذا النبوغ الباكر إلى صاحب العرش وأفهمه أن بين أثواب هذا الفتى الناشئ براعة نادرة وذكاء فذاً وأنه خليق بالرعاية العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها في مشارق الأرض ومغاربها وكانت هذه الشهادة من أكبر الأسباب التي حفزت الحديو «توفيق» في سنة ١٨٨٧ إلى إيفاد شوقي إلى باريس ليمدراسته على نفقته الخاصة ولتغذية مواهبه بروائع الغرب وبدائعہ ، وقد تحققت به وفيه الآمال ، فكانت هذه ثانية السعادات .

ومن هنا نرى أن الأزهر ممثلاً في شخص الأستاذ البسيوني ، هو الذي كشف عن هذه القوة الكامنة في نفس شوقي ، وهو الذي تهدي بشاعرية أشد أبنائه وفراسته إلى عبقريته أكبر الشعراء فوجهها التوجيه الصالح وتعهدا حتى نمت وأزهرت وأنبتت نباتاً حسناً ، وأثمرت ثمراً لا يفنى ولا يبيد .

وجميل حقاً أن يتفطن شيخ أزهرى لميرمفاتن الغرب ، ولم يكتحل بمشاهده ومجاليه ، إلى ما يجب لشوقي أن يطلع عليه من روائع باريس وحضارتها ومباهجها ومفاتنها فيشير على ولى الأمر بإرساله إليها ليتسبع أفقه ويخصب خياله ويمتلئ خاطره بأسباب القول ودواعي الشعر .

فلا عجب إذن أن يكون شوقي أمير الشعراء من أفق الأزهر ، وثمره من ثماره أو فكرة من أفكاره .

* * *

اعتراف شوقي :

ولشوقي حديث آخر بصدد الأزهر يشهد بحسن تقديره لهذا المعهد العظيم وإجلاله لمهبط أساتذته ، فقد أقيم حفل لتأبين المرحوم «عاطف

بركات باشا ، بمدرسة المعلمين العليا في الخميس الثالث عشر من صفر سنة ١٣٤٣ هـ الموافق الحادى عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ وأرسل أمير الشعراء قصيدته لتلقى في الحفل وكان مما قاله فيها :

وحارب دونها صرعى قديم كأن بهم على الزمن انقطاعا
إذ ألمح الجديد لهم تولوا كذى رمد على الضوء امتناعا

وكان في الحفل صفوة من رجال مصر وجمهرة من شيوخ الأزهر منهم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفضيلة مفتى الديار المصرية إذ ذاك فعدوا ذلك جرحا لكرامتهم وطعنة في صدورهم ، وكتب أحد علماء الأزهر إذ ذاك مقالا بعنوان « أمير الشعراء ، ورجال الأزهر — للحقيقة والتاريخ » . ونشرته جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ من صفر سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٤ ، وقد كانت براعته رجحا رد بينيا شك أمير الشعراء الذى نفي عنه الكاتب أن يكون كنادبة المسجى التى تجامل الحاضرين بذكر شىء من محاسن موتاهم وقد ظهرت جريدة الأخبار بعدهذا المقال بيوم واحد وفى صدرها حديث لأمير الشعراء ينفي ما فهمه صاحب المقال من تنسك شوقى للأزهر ورجاله فكان مما قاله « وما أنا من ينسى أن معظم أساتذة مدرسة القضاء نفسها فى العلوم الشرعية بوجه خاص كانوا من شيوخ الأزهر ورجاله وليس من المعقول أن يكون هؤلاء الأفاضل حربا عليها وهم فى النهوض بها شركاء .

إن للأزهر عندى حرمة لا أحب أن يتشكك فيها الأستاذ وأعتقد أن الأزهر قد سد فراغا كبيرا كان التعليم فى مصر والبلاد الشرقية جميعا لا يرجو له بدون الأزهر من سداد .

وسأظل غفورا دائما بأن من أساتذتى شيوخا من صميم الأزهر الشريف وكبار علمائه .

ذلك هو ما قاله شوقى تلافيا لما عساه أن يكون قد فهم من قصيدة التآيين

وإفصاحاً عن تقديره الأزهر الذى يفخر أمير الشعراء بأن فيه أساتذة
من شيوخته .

على أن أمير الشعراء أراد أن يزيد فى تأكيد تقدير الأزهر وينبئ عنه
مظنة النيل من أبنائه فالتمس إصلاح الأزهر فى أقرب فرصة ونظم آيته الكبرى
التي قالها فى نفس العام الذى أدلى فيه بحديثه عن الأزهر ويقول فيها :-

قم فى فم الدنيا وحى الأزهر	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدر إن فصلته	فى مدحه خرز السماء النيرا
واذكره بعد المسجدين معظما	لمسجد الله الثلاثة مكبرا ^(١)
واخشع مليا واقضى حق أئمة	طلعوا به زهرا وما جوا أبجرا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا وأنخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم الأمان وكان ظلهم الذرا ^(٢)
من كل بحر فى الشريعة زاهر	ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

ثم يقول :-

يا معهدا أغنى القرون جدارة	وطوى الليالى ركنه والأعصرا
ومشى على يبس المشارق نوره	وأضاء أبيض لجها والأحمرا

إلى أن يقول :-

عين من الفرقان فاض نيمرها	وحيا من الفصحى جرى وتحذرا
ماضرنى أن ليس أفقك مطلعى	وعلى كواكبه تعلت السرى

وهو يشير فى هذا البيت إلى أنه وإن لم يكن طلع فى أفقه ودرج فى رحابه
فقد اهتدى بأساتذته وتعلم السرى على كواكبه ثم يقول :-

لا والذى وكل البيان إليك لم أك دون غايات البيان مقصرا

(١) المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

(٢) الذرا الملقب .

شوقي وكتاب الوسيلة الأدبية :

وما دمنا بصدد انتفاع أعلام الشعر بأساتذة الأزهر وجهودهم الأدبية في هذا العصر فقد يطيب الحديث عن هذا الكتاب الذي نهل منه « شوقي » ، وحافظ ، وكان الكتاب الأول الذي راض خيال شوقي وصقل طبعه وصحح نشأته الأدبية كما كانت منه بصيرة « حافظ » .

وليس سر هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة فقد كان ذلك في مصر قديماً ولم يخرج لها شاعر مثل شوقي ، ولكن السر في هذا الكتاب من شعر « البارودي » ، لأنه معاصر والمعاصرة اقتداء ومتابعة ، وقد تقضت القرون الكثيرة والشعراء يتناقلون ديوان المتنبي وغيره ثم لا يجيئون إلا بشعر الصناعة والتكلف ولا يخلد الجليل منهم إلا لما رأى في عصره ولا يستفتح غير الباب الذي فتج له إلى أن كان البارودي فجاء بذلك الشعر الجزل الذي نقله « المرصفي » ، بإلهام من الله تعالى ليخرج للعربية « شوقي » وحافظ ، وغيرهما ، فكل ما في الكتاب أنه ينقل روح المعاصرة إلى روح الأديب الناشئ فتبعته هذه الروح على التمييز وصحة الاقتداء ، فإذا هو على ميزة وبصيرة ، وإذا هو على الطريق التي تنتهي به إلى ما في نفسه ما فيه ذكاء وطبع ، وبهذا ابتداء « شوقي » وحافظ ، من موضع واحد وانتهى كلاهما إلى طريقة غير طريقة الآخر (١) .

* * *

(١) من مقال للبرحوم مصطفى صادق الرافعي في المقتطف الصادر في ٢ من رجب سنة ١٣٥١ (أول نوفمبر سنة ١٩٣٢ م)

الشيخ محمد عبده وحافظ

«حافظ» رحمه الله أحد الشعراء الذين تفخر بهم العربية في هذا العصر ولواء من ألوية الشجر الخفاقة في هذا الجيل ، وقد كان هبة الإمام «محمد عبده» إلى الحياة ، وغرسه الذي نما في رعايته .

فحين عاد «حافظ» من السودان إلى مصر واستقال من الجيش ، اتصل بالشيخ «محمد عبده» وفرغ للأدب ، فبدأ من ثم تكوينه الأدبي المندمج المحكم ، وكان شعره من قبل ظاهر المتكلف واهن النسج مضطرب الفكرة لم تنضج موهبته ولم تشرق عبقريته .

درس في مدرسة الشيخ «محمد عبده» من سنة ١٨٩٩ م إلى سنة ١٩٠٥ م وهذا الإمام رحمه الله كان من كل نواحيه رجلاً فذا^(١) وكأنه نبي متأخر عن زمنه فأعطى الشريعة ولكن في عزيمته ، ووهب له الوحي ولكن في عقله ، واتصل بالسر القدسي ولكن من قلبه ، ولولا هو ولولا أنه بهذه الخصائص لكان «حافظ» شاعراً من الطبقة الثانية ، فانه من الشيخ وحده كانت له هذه القوة التي جعلته يصيب الإلهام من كل عظيم يعرفه ، وكان له من أثرها الشعر المتين في وصف العظماء والعظماء .

إلا أن حافظاً وجد في الإمام ما هو أسمى من ذلك في النفس والجاذبية وبهره منه ما هو عليه من ذوق الأدب والبلاغة ، وحضر دروس الإمام في المنطق وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فنضج منها أسلوبه المتمكن وذوقه الدقيق ولازمه وحضر مجالسه فكانت مادة موضوعاته الاجتماعية وأغراضه الوثابة ، وكشف له من الشيخ عن آراء في الفكر والسياسة والمسائل التي تشغل مصر والشرق فطبع عليه متأثراً بها ، وحضر نظرات عينية وخرج

(١) نقلنا ذلك عن بحث للمرحوم مصطفى صادق الرافعي في المقتطف (٢٠) من

ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هـ — أول يولية سنة ١٩٢٦ م)

منها بروحانية قوية هي التي تتضرم في شعره الى الأبد ، لحافظ إحدى حسنات الشيخ على العالم العربي . وهو خطوة من خطته في عمله للإصلاح الشرق الإسلامي والنهضة المصرية الوطنية ، وإحياء العربية وآدابها ، وإذا ذكرت حسنات الشيخ أو عدت للتأريخ وجب أن يقال أصلح وفعل وفسر القرآن وأنشأ حافظ إبراهيم .

على أن أذن الإمام هي التي أتمت ملكة الشعر في «حافظ» ، فقد ألف أن يسمعه شعره ، واعتاد أن يعرض على ذوقه الأدبي المصقول كل ما يقرضه وصار ذلك طبعاً في «حافظ» حتى أنه ليستحسن مواطن الأدباء والشعراء في المجالس والأندية كي يسمعهم نظمه .

وكان المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، قد نظم أول عهده بالشعر قصيدة في مدح الإمام وأنفذها إليه ثم لقي «حافظاً» فقال : حافظ ، أنه تلاها على الإمام وأنه استحسناها ، فقال له الرافعي فإذا كانت كلمته فيها ؟ قال أنه قال لا بأس بها فاضطرب شيطان الرافعي من الغضب وقال إن الشيخ ليس بشاعر فليس لرأيه في الشعر كبير معنى ، فقال له «حافظ» ويحك أن هذا مبلغ الاستحسان عنده ، قال الرافعي — قلت «لحافظ» وماذا يقول لك أنت حين تنشده ؟ قال أعلى من ذلك قليلاً ، فأرضاني والله أن يكون بيني وبين «حافظ» (قليل) وطمعت من يومئذ ، وأنا أرى أن «حافظ إبراهيم» إن هو إلا ديوان الشيخ محمد عبده لولا أن هذا لما كان ذلك (١)

* * *

قراءة وعبد المطلب

فضل الأزهر على المرحوم «محمد عبد المطلب» الشاعر المعروف لا يحسد فقد اغتذى بثقافته في الصبا سبع سنين قضاها بين طلابه وهي فترة ليست قصيرة في حساب ذوى الملكات والموهوبين ، ثم التحق بمدرسة دار العلوم فدرس كتب الأزهر فيها ، وتلقى العلم على أساتذة الأزهر بها كالشيخ «حسن الطويل» والشيخ «حسونه النواوى» والشيخ «سليمان العبد» وغيرهم من العلماء والأدباء الذين أمدوا هذه المدرسة بالحياة ، ولولا أننا قصرنا حديث دراستنا على الأزهرين بدءاً ونهاية لكان «عبد المطلب» أحد الذين نتناول حياتهم بالإسهاب وشعرهم بالدراسة والتحليل ، ولكننا نلجح إلى اغتذائه بثقافة الأزهر وانتفاعه بعد مرحلة الطلاب به بعلم من شعرائه الأفاضل وهو المرحوم الشيخ «عبد الرحمن قراءة» ،

حين تخرج «محمد عبد المطلب» من مدرسة دار العلوم أصبح مدرسا بمدرسة سوهاج الابتدائية حيث قضى بها بضع سنين ، ذاع صيته فيها بين كبار الحكام والأعيان وتعطرت مجالسهم بخطبه وقصائده واختصه منهم بصداقته علامتنا الفاضل الشيخ «عبد الرحمن قراءة» فاقتبس كثيرا من علمه وأدبه وطيب أخلاقه وسجاياه^(١)

انعقدت الصداقة بين الرجلين ، والمرحوم الشيخ «قراءة» أديب كبير وعالم فذ وشاعر ضخم فكان ذلك قادحا ففكر عبد المطلب ، باعثا على نمو قريحته وبسط أفقه وتلشيط موهبته ، ولا شك أن «قراءة» كان أسبق منه قرصنا للشعر وأكثر منه دراية بالعلم والأدب وفنونه ، وهو بهذه المثابة أولى بتوجيه (عبد المطلب) وتهذيب فكره وتقويم شعره ، ولعلنا لا ننسى أثر المرحوم اسماعيل صبرى باشا في ترويح الشعر وتهذيبه وصقله فقد كانت

(١) من كلمة الأستاذ السكندرى فى تأبين عبد المطلب وهى فى مقدمة ديوانه

منتدى للشعراء يقرضون شعرهم على أذنه الموسيقية التي يؤذيها نبو الوتر ،
وكذلك كان (قراءة) اتخذ من بيته كلبا حل ناديا للأدباء والشعراء وكان
(عبد المطلب) ألصق الناس به وأكثرهم ملازمة له ، وهو يحدث بذلك في
ديوانه إذ يقول (وكانت بيني وبين الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن قراءة ،
صدافة انعقدت بيننا منذ سنة ١٨٩٧ م وكنت من الذين يعرفون فضله في
العلم والأدب فلا غرو أن ترى لي فيه قصائد عدة)

أهديت إليه خلعة تشریف العلماء فقلت أهنته :

أجد عهدك بالتشبيب بالغيد وجد يجد بتحنان الأغاريد
ويقول في هذه القصيدة مادحا (قراءة)

وللفصاحة من ألفاظه درر تعلو فرائدها من غير تنضيد^(١)
تجلو المعاني للاسماع صافية تروى النفوس بمحلول ومعقود^(٢)
وللبلاغة في أسلوبه نغم يغنى الأديب بها عن نغمنا لعود
بكل معنى جرى حسن البيان به مع البلاغة جرى الماء في العود

ويقول — وكان صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ (عبد الرحمن
قراءة) جارا لي بسوهاج فلما نقل الى أسوان ونازعني الشوق الى رؤيته
كتبت إليه مشطر البيتين أمر على الديار ديار سلى . . . الخ . وقد رد عليه
(قراءة) بشعر رقيق لطيف ، وفي ديوان (عبد المطلب) كثير من شعره
الذي قاله في صديقه (قراءة)

ومن الطريف أن أول قصيدة في ديوان (عبد المطلب) في حرف الألف
وجهها الى (قراءة) ردا على كتاب ورد منه ، وأن الديوان يكاد يختم

(١) الفرائد — الجواهر النفيسة واحدا فريدة وتنضيدها ضم بعضها إلى
بعض في اتساق .

(٢) المحلول من الشراب الرقيق والمعقود الغليظ التخين .

بقصيدة قالها (عبد المطلب) في توديع الشيخ (قراة) يوم نقل من سوهاج
إلى أسوان في فبراير سنة ١٩٠٥ م — وما جاء فيها :-

فيا قاضيا بالدين تجرى فعالة ويرضاه في أحكامه العمران
ويا نائبا في دينه عن نبيه نيابة فضل لا تشان لشان
وياها البهران كيف افترقتما وقد مرج البحرين يلتقيان
تقاسمتا منا قلوبا قد اغتدت بسوهاج من آدابكم ببيان

وغير هؤلاء كثير من ألوية الشعر في هذا العصر راض شعراء الأزهر
وأدباؤه ببيانهم وصقلوا شعرهم ، وهذبوا فكرهم ، ووجهوهم الى الأدب
الناصح والبيان الكريم ، من أمثال : (محمود صفوت الساعاتي) و (حنفي بك
ناصر) وغيرهما . فقد وجدوا من خول البيان في الأزهر معنا لا ينضب
وهدي لا يضل .



خاتمة

أما بعد

فهذا بيان لأثر الأزهر في النهضة الأدبية الحديثة ، وعلى رغم الجهد الموفور الذى بذلته والبحث المضنى الذى اضطلعت به أعد عملى هذا الذى أَرْضِيت به ضميرى وأبنت به عن وفائى لمعهدى محاولة ان لم تبلغ الكمال فقد قاربته وان لم توف على التمام فقد شارفته ، وحسب هذه البراعة أنها خُطت فى هذا البحث أول مكتوب ونقشت فى صفحته أول بيان .

ولعل من اليمين أن يكون فراغى من الحديث عن فضل الأزهر فى مثل اليوم الذى تم فيه انشاء الأزهر فى التاسع من شهر رمضان المبارك ، فعسى أن يكون ذلك بشير خير ويمن وفأل بركة واسعاد .

وأسأل الله أن يجعل فضل الأزهر على العلم والأدب موصولا وأن يظل أبناؤه للدين والأدب العربى أعضاءا وحماة يفيثون إلى رعاية الله .

فهرست الجزء الأول

صفحة	الموضوع
ج	المقدمة
١	أثر الأزهر في النهضة الأدبية الحديثة
٧	الفاطميون في مصر
٨	إنشاء الأزهر
٨	تاريخ إنشاء الأزهر
٩	المعز وجوهر
١٣	المساجد الجوامع
١٦	الغرض من إنشاء الأزهر
١٦	تطور تسمية الجامع الأزهر
١٧	مكان الأزهر
١٧	عناية الفاطميين بالأزهر
٢٠	صلاة الجمعة في الأزهر
٢٢	تاريخ التعليم في الأزهر
٢٤	نشأة الحياة المدرسية في الأزهر
٢٧	تأثر الأزهر بإنشاء دار الحكمة
٢٩	طريقة التعليم في الأزهر
٣٢	مواد الدراسة في الأزهر
٣٥	الكتب التي كانت تدرس بالأزهر
٣٧	العصر الحديث
٣٨	الحملة الفرنسية على مصر وأثرها الفكري
٤١	صلة الأزهر بالحملة الفرنسية
٤٦	محمد علي باشا واستعانت به بالأزهريين

صفحة	الموضوع
٤٧	خلفاء محمد علي باشا
٥٣	كلمة عامة في فضل الأزهر
٥٧	الأزهر مصدر الثقافة
٥٩	اعتماد محمد علي في إنشاء المدارس على الأزهر
٥٩	الأزهر ومدرسة الطب
٦١	الأزهر ومدرسة الآلسن
٦٣	إمداد الأزهر للدارس الابتدائية والتجهيزية والخصوصية
٦٥	فروع من دوحه الأزهر
٦٦	دار العلوم — الجامعة المصرية
٦٨	مدرسة القضاء الشرعى
٦٩	البعوث العلمية
٧٣	الأزهر والبعوث
٧٥	أثر المبعوثين من الأزهر في النهضة
٧٥	البعث الأول والثاني والثالث . . الخ
٨٢	الترجمة والتأليف ونهوض الأزهر بهما
٨٥	أثر الأزهرين في الترجمة والتأليف
٨٦	إبراهيم النبراوى — أحمد حسن الرشيدى
٨٥	أبو السعود
٩٠	رفاعة بك رافع الطهطاوى
١١٥	الأزهر والتحرير
١١٦	محمد عمر التونسى
١٢٠	محمد عمران الهراوى
١٢١	الأزهر والتصحيح
١٢٣	محمد فظة العدوى

الموضوع	صفحة
أبو الوفا نصر الهويني	١٢٧
إبراهيم الدسوقي	١٣٠
مصححون آخرون أزهريون	١٣٧
لمحة تاريخية عن طباعة الصحافة بمصر	١٤٠
الأزهر والصحافة	١٤٢
الوقائع المصرية	١٤٤
تحرير القسم العربي بالوقائع المصرية	١٤٦
الوقائع في عهد الإمام	١٤٩
إنشاء قسم أدبي في الوقائع . نفوذها الجديد	١٥٠
صحيفة وادي النيل	١٥٧
• روضة المدارس	١٥٨
• أبو نظارة	١٦١
صحف النديم	١٦٣
التنكيك والتبكيك - الطائف - الأستاذ	١٦٣
العروة الوثقى	١٦٦
الشيخ علي يوسف وصحفه	١٧٠
مجلة الآداب - المؤيد	١٧١
الأزهريون والصحف الحاضرة	١٨٩

فهرست الجزء الثانى

صفحة	الموضوع
٣	الخطابة فى العصر الحاضر
٦	الآزهر والخطابة .
٨	الآزهر والخطابة السياسية
١٤	الدينية
١٦	القضائية
١٨	أشهر الخطباء السياسيين بالآزهر
١٨	السيد عبد الله نديم
٤٩	سعد زغلول
٧٦	أشهر الخطباء الدينيين من الأزهر
٧٦	الشيخ محمد مصطفى المراغى
٨٨	أشهر الخطباء القضائيين من الأزهر
٨٨	إبراهيم الهلباوى بك
٩٩	الكتابة فى هذا العصر
٩٩	الكتابة الديوانية
١٠٠	الآزهر ولغة الدواوين
١٠٢	كتابة التأليف
١٠٣	الكتابة الفنية
١٠٦	الآزهر والنشر
١٠٨	الشيخ عبد الرحمن الجبرقى
١١٦	عبد الله فكرى (باشا)

صفحة	الموضوع
١٢٦	الشيخ محمد عبده
١٤٦	الشيخ عبد الكريم سليمان
١٥٢	الشيخ عبد المجيد الشرنوبى
١٦٤	المنفلوطى
٢٥٥	الشيخ محمد شاكر

فهرست الجزء الثالث

الموضوع	صفحة
الشيخ عبد العزيز البشري	٣
أزهريون لغويون أدباء	٢١
الشيخ حسن قويدر الخليلي	٢٣
الشيخ عبد الهادي نجا الإياري	٣٠
الشيخ حسين المرصفي	٤٠
الشيخ حمزه فتح الله	٤٧
الشيخ سيد المرصفي	٥٨
الشيخ حسين والي	٧٤
الشعر في العصر الحديث	٨٥
التجديد في الشعر	٩٠
شعراء الأزهري والتجديد في الشعر	٩٣
الثورة على الأوزان الشعرية	٩٥
نظر علماء الأزهري إلى الشعر	٩٧
الصبغة العامة في شعر الأزهريين	١٠٩
شعراء الأزهري	١١٩
السيد اسماعيل الخشاب	١٢١
الشيخ حسن العطار	١٣٢
السيد علي الدرويش المصري	١٤٧
الشيخ محمد شهاب الدين المصري	١٦٠
السيد علي أبو النصر المنفلوطي	١٧٠
الشيخ علي الليثي	١٧٩
الشيخ عبد الرحمن قراة	١٨٩

الموضوع	صفحة
الأزهريون أساتذة شعراء العصر	٢٠٢
المرصني والبارودي	٢٠٤
الشيخ البسيوني وشوقي	٢٠٧
الشيخ محمد عبده وحافظ	٢١٥
قراءة وعبد المطلب	٢١٧
خاتمة	٢٢٠

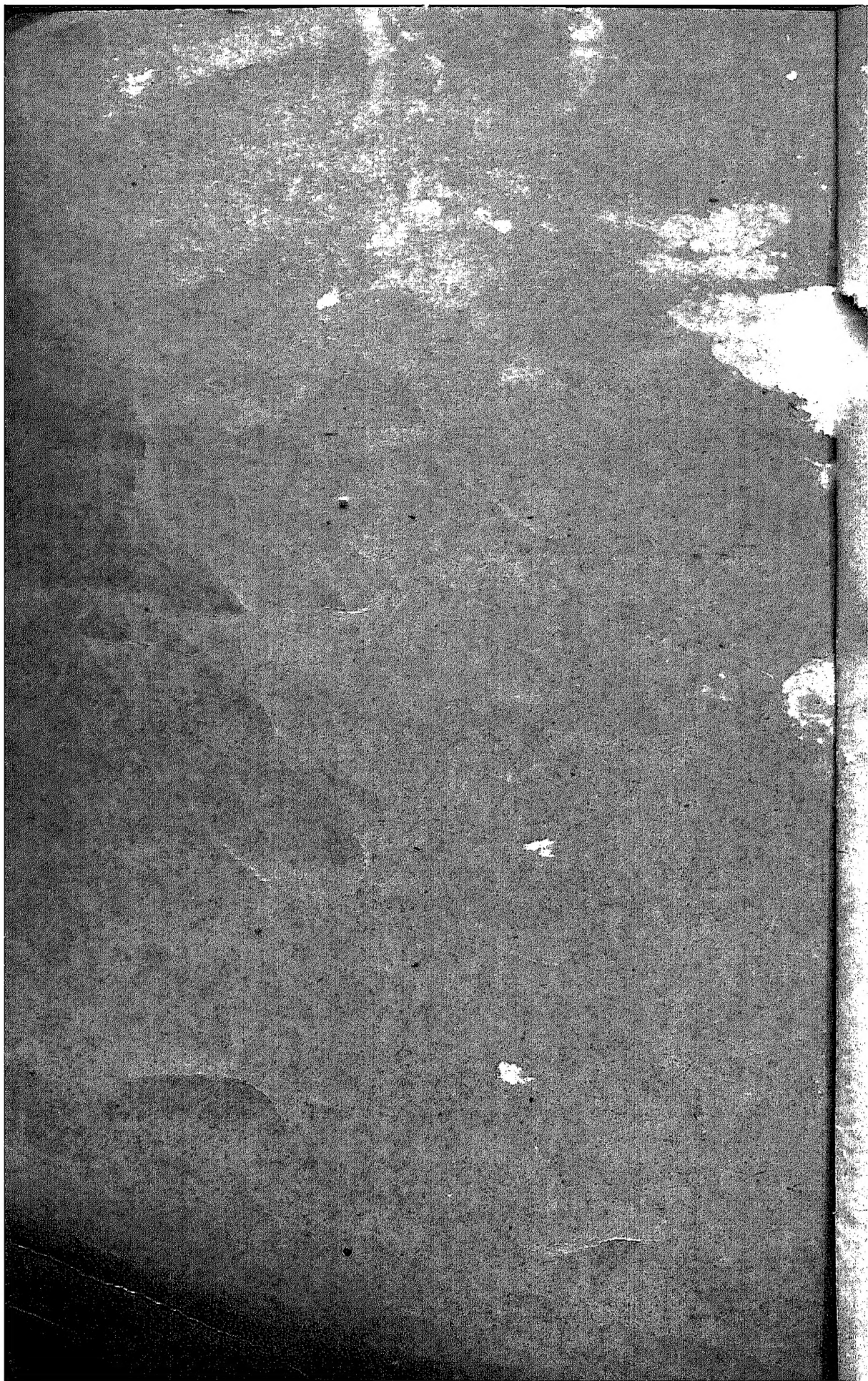
أهم مراجع البحث

- ١ — خطط المقرئى
- ٢ — الخطط التوفيقية لعلى (باشا) مبارك
- ٣ — وفيات الأعيان لابن خلكان
- ٤ — صبح الأعشى للقلقشندي
- ٥ — السلوك فى دول الملوك للمقرئى
- ٦ — عجائب الآثار فى تراجم الرجال والأخبار للجبرقى
- ٧ — تاريخ الأزهر لمصطفى يبرم
- ٨ — كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر للشيخ سليمان رصد
- ٩ — تقويم النيل لأمين (باشا) سامى
- ١٠ — دائرة المعارف للبستانى
- ١١ — تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان (بك)
- ١٢ — تراجم مشاهير أدباء الشرق لجورجى زيدان (بك)
- ١٣ — المفصل فى تاريخ الأدب العربى
- ١٤ — الوسيط فى الأدب العربى
- ١٥ — الآداب العربية فى القرن التاسع عشر للويس شيخو
- ١٦ — أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر لأحمد تيمور (باشا)
- ١٧ — تاريخ التعليم فى عهد محمد على لأحمد عزت عبد الكريم
- ١٨ — المختار لعبد العزيز البشرى
- ١٩ — المرأة لعبد العزيز البشرى
- ٢٠ — الوسيلة الأدبية للعلوم العربية للشيخ حسين المرصنى

- ٢١ — أعيان البيان لحسن السندوبى
- ٢٢ — أشهر مشاهير أدباء الشرق لحسن السندوبى
- ٢٣ — مرآة العصر لإلياس زخوره
- ٢٤ — الإسلام والتجديد لتشار لزا د مس
- ٢٥ — تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الرافعى
- ٢٦ — الثورة العراقية لعبد الرحمن الرافعى
- ٢٧ — تاريخ الأستاذ الإمام للسيد رشيد رضا
- ٢٨ — البعثات العلمية للأمير عمر طوسون
- ٢٩ — تطور الصحافة المصرية لابراهيم عبده
- ٣٠ — تاريخ الوقائع المصرية لابراهيم عبده
- ٣١ — تاريخ الصحافة العربية للكونت دى طرازى
- ٣٢ — مصر للمصريين لسليم خليل النقاش
- ٣٣ — تجديد ذكرى أبى العلاء للدكتور طه حسين
- ٣٤ — حديث الأربعاء للدكتور طه حسين
- ٣٥ — شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد
- ٣٦ — مراجعات فى الآداب والفنون للعقاد
- ٣٧ — تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات
- ٣٨ — مذكرات الأدب العربى للأستاذ محمود مصطفى
- ٣٩ — رغبة الأمل من كتاب الكامل للسيد المرصنى
- ٤٠ — مقدمة ابن خلدون
- ٤١ — الأزهر لمحِب الدين الخطيب
- ٤٢ — تاريخ الأزهر للدكتور عبد الواحد وافى

هذا عدا كتب أخرى تتصل بالبحث من بعيد أو قريب وعدا جميع
الصحف والمجلات التي هي سجل لآثار النهضة من مستهل نشأتها وعدا الوثائق
والمحفوظات والمخطوطات المودعة في خزائن المكتب المختلفة والدواوين
الرسمية التي أودع فيها رسائل ومكاتبات مما هو مرآة للحياة الثقافية في
مظاهرها ومراحلها المختلفة. يضاف إليها دواوين الشعر وآثار الأدباء
والشعراء الذين تدور عليهم الرسالة ما طبع من هذه الآثار وتلك المؤلفات
وما لم يطبع .





5

Bibliotheca Alexandrina



0392849

To: www.al-mostafa.com